المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً ـ.

أما بعد، فإن علم العقيدة أشرف العلوم، وأعظمها، وأهمها.

وإن من أجلّ النعم وأوفاها وضوحَ العقيدة الإسلامية، وموافقتَها للفطر القويمة، والعقول السليمة، وسلامتها من التناقض والاضطراب واللبس والغموض؛ فألفاظها سلسة، ومعانيها بينة يفهمها العالم والعامي، والصغير والكبير.

وأدلتها المستقاة من الكتاب والسنة تسبق إلى الأفهام ببادئ الرأي، وأول النظر، ويشترك كافة الخلق في إدراكها؛ فهي مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان، بل كالماء الذي ينتفع به الصبي والرضيع، والرجل القوي والضعيف؛ فأدلة الكتاب والسنة سائغة جلية تقنع العقول، وتسكن النفوس، وتغرس الاعتقادات الصحيحة الجازمة في القلوب.

ألا ترى أن من قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ سورة الروم:٢٧، وأن التدبير لا ينتظم في دار واحدة بمُدبِّرين فكيف في جميع العالم؟! ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾

سورة الأنبياء: ٢٢، وأن من خلق علم، ثم خلق كما قال ـ تعالى ـ ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ سورة الملك: ١٤.

فهذه الأدلة وأمثالها تجري مجرى الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي[١].

هذا وإن باب القدر لمن أعظم أبوب العقيدة، وشأنه شأن غيره من الأبواب الأخرى من حيث الوضوح والبيان، بل إن له شأناً عجيباً؛ لأن عامة الناس أعلم به من المتكلمين والفلاسفة؛ لأنه مسألة بديهية، والبديهي كلما زاد التعمق فيه بعد عن الإدراك[٢]، فالإيمان بالقدر أمر فطري، والعرب في جاهليتها وإسلامها لم تكن تنكر القدر، كما صرَّح بذلك أحد أئمة اللغة وهو أحمد بن يحيى ثعلب بقوله: «ما في العرب إلا مثبت القدر خيره وشره أهل الجاهلية وأهل الإسلام»[٣].

وإثباتهم للقدر مبثوث في ثنايا أشعارهم وخطبهم ـ كما سيمر بنا قريباً عند الحديث عن أدلة القدر ـ فهم يثبتون القدر ولا ينكرونه، وإن كان هذا الإثبات قد يشوبه بعض التخبط والجهل في فهم حقيقة القدر.

فنجد ـ على سبيل المثال ـ زهير بن أبي سلمى يقول في معلقته المشهورة:

---

(١) أشار إلى هذا المعنى اللطيف ابن الوزير اليماني، انظر «ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان» ص٣٤٨.

(٢) أشار إلى هذا المعنى الشيخ محمد رشيد رضا، انظر «منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة» لتامر متولي ص٥٨٦.

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي ٤/٧٠٤ـ٧٠٥.

فـلا تكـتُمنَّ الله مـا في نفوسـكم ليخفـى ومهمـا يُكْـتَمِ الله يعلـمِ

يـؤخر فيوضـع في كتـاب فَيُـدَّخَرْ ليوم الحساب أو يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ(١)

ثم تراه في موضع آخر من تلك المعلقة يقول :

رأيت المنايا خبطَ عشوَاءَ مـن تُصِبْ تُمِتْـهُ ومن تخطـئْ يُعَمَّرْ فيهـرمِ(٢)

فهو لا ينكر القدر، وإنما يرى أن الأقدار كالناقة العشواء ـ ضعيفة البصر ـ تسير في الطريق، فمن أصابته مات، ومن أخطأته عاش.

وهذا جهل وتخبط في باب القدر؛ ذلك أن المنايا مكتوبة مقدرة، كما صرح بذلك غيره من أهل الجاهلية، كعمرو بن كلثوم أحد شعراء المعلقات حيث قال :

وأنَّـا سـوف تـدركنا المنايـا مقـدرةً لنـا ومقـدرينا(٣)

وكما قال لبيد بن ربيعة العامري في معلقته المشهورة يصف البقرة الوحشية وحالها مع الوحوش الضارية :

صـادفنَ منهـا غِـرَّةً فأصـبنها إن المنايـا لا تطـيش سـهامها(٤)

وعندما بعث النبي ﷺ بيَّن هذا الأمر ـ كغيره ـ غاية البيان؛ فإن كلماتِه الجوامعَ النوافع في هذا الباب وغيره كفت وشفت، وجمعت وفرقت،

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٢٥.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى ص٣٢.

(٣) شرح القصائد المشهورات لابن النحاس ٩١/٢.

(٤) شرح المعلقات العشر للزوزني ص ١٧٦ وديوان لبيد بن ربيعة العامري ص١٧١.

وأوضحت وبينت، وحلَّت محل التفسير والبيان لما تضمنه القرآن.

ثم تلاه أصحابه من بعده، وتلقوا ذلك عنه، فاتبعوا طريقه القويم، وساروا على نهجه المستقيم، فجاءت كلماتهم كافية شافية، مختصرة نافعة؛ لقرب العهد، ومباشرة التلقي من مشكاة النبوة، التي هي مظهر كل نور، ومنبع كل خير، وأساس كل هدى؛ فكانوا بذلك أعظم الناس فهماً وفقهاً لهذا الباب، وأكثرهم إيماناً به وعملاً بمقتضاه، فأثَّر ذلك فيهم أيما تأثير، فكانوا ـ رضوان الله عليهم ـ أتقى الناس، وأكرم الناس، وأشجع الناس بعد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

ثم سلك أثرهم التابعون لهم بإحسان، فاقتفوا طريقهم، واهتدوا بهداهم، ودعوا إلى ما دعوا إليه، ومضوا إلى ما كانوا عليه[1].

ثم بعد ذلك دبَّ في هذه الأمة داء الأمم، فركبت سنن من كان قبلها، فدخلت الفلسفات اليونانيةُ، والهنديةُ، والفارسيةُ، وغيرُها بلادَ المسلمين، وظهرت بدعة القدرية في البصرة ودمشق، فوقع أول شرك في هذه الأمة، وهو نفي القدر، وكان ذلك في عهد أواخر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ الذين أنكروا تلك البدعة، وأعلنوا البراءة منها ومن أهلها.

ثم جاء من بعدهم علماء السلف، فتصدوا لتلك البدعة، وبينوا زيفها، وهتكوا سجفها، ودحضوا باطلها، وأظهروا الحق ونشروه، ودعوا الأمة إليه.

---

(١) انظر شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم ص٤.

ولهذا فإن موضوع هذا البحث هو : (الإيمان بالقضاء والقدر)

أهمية موضوع القدر:

من خلال ما مضى يتبين لنا شيء من شأن القدر ، وفيما يلي مزيد بيان لأهميته :

١ـ ارتباطه بالإيمان بالله: فالقدر قدرة الله[١] **و**المؤمن به مؤمن بقدرة الله ، والمكذب به مكذب بقدرة الله ـ عز وجل ـ.

ثم إنه مرتبط بحكمة الله ـ عز وجل ـ وعلمه ، ومشيئته ، وخلقه.

٢ـ كثرة وروده في أدلة الشرع: فنصوص الكتاب والسنة حافلة ببيان حقيقة القدر ، وتجلية أمره ، وإيجاب الإيمان به.

وهذا ما سيتضح في ثنايا هذا البحث.

٣ـ أنه من الموضوعات الكبرى: التي خاض فيها جميع الناس على اختلاف طبقاتهم وأديانهم؛ والتي شغلت أذهان الفلاسفة ، والمتكلمين ، وأتباع الطوائف من أهل الملل وغيرهم.

٤ـ ارتباط القدر بحياة الناس وأحوالهم: فهو مرتبط بحياتهم اليومية وما فيها من أحداث وتقلبات ليس لهم في كثير منها إرادة أو تأثير.

ولو لم يكن هناك إلا مسألة الحياة والموت ، وتفاوت الناس في الأعمال

---

(١) هذه مقولة للإمام أحمد رحمه الله ، انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٠٨/٨ ، وطريق الهجرتين لابن القيم ص٧٠.

والمواهب، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والهداية والإضلال ـ لكان ذلك كافياً في أن يفكر الإنسان في القدر.

٥ـ كونه أعوصَ أبواب العقيدة: فمع أن باب القدر معلوم بالفطرة ـكما مرـ وأن نصوص الشرع قد بينته غاية البيان إلا أنه يظل أعوص أبواب العقيدة؛ فدقة تفاصيله، وتشعب مسائله، وكثرة الخوض فيه، وتنوع الشبهات المثارة حوله ـ كل ذلك يوجب صعوبة فهمه، وتعسر استيعابه.

فلا غرو أن يحار الناس في شأنه في القديم والحديث؛ فلقد سلك العقلاء في هذا الباب كل واد، وأخذوا في كل طريق، وتولجوا كل مضيق، وقصدوا إلى الوصول إلى معرفته، والوقوف على حقيقته؛ فلم يرجعوا بفائده، ولم يعودوا بعائده، لأنهم التمسوا الهدى من غير مظانِّه، فتعبوا وأتعبوا، وحاروا وتحيروا، وضلوا وأضلوا.

٦ـ ما يترتب على الإيمان به على الوجه الصحيح: فذلك يثمر السعادة في الدنيا والآخرة، ويورث اليقين، ويكسب الأخلاق الفاضلة، والهمم العالية، والإرادات القوية.

٧ـ ما يترتب على الجهل به: فالجهل به، أو فهمه على غير الوجه الصحيح يورث الشقاء، والعذاب في الدنيا والآخرة.

والواقع يشهد بذلك في أمم الكفر؛ إذ يشيع فيها قلة التحمل، والانتحار، والقلق.

وكذلك الحال في أمة الإسلام؛ فما تخلفت في عصورها المتأخرة إلا لأسباب

أبرزُها جهلُ كثير من المسلمين، وانحرافهم في باب العقيدة ـ عموماً ـ وفي باب القدر ـ خصوصاً ـ.

وذلك عندما اتخذ كثير منهم من الإيمان بالقدر مسوغاً واهياً لعجزهم، وانهيارهم، وإخلادهم إلى الأرض، تاركين الأخذ بالأسباب، ناسين أو متناسين أن أقدار الله إنما تجري وَفْقَ سننه الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل، ولا تحابي أحداً كائناً من كان.

فلعل الأمة الإسلامية تفيق من رقدتها، وتتولى قوامة البشرية، وتأخذ مكانها اللائق بها، وذلك بعودتها إلى عقيدتها الصافية النقية التي هي مصدر مجدها، ومنبع عزها.

هذه بعض الأمور التي تبين أهمية موضوع القدر.

أسباب البحث في الموضوع:

وإن مما دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع أمور منها:

١ـ أهمية هذا الباب ـ كما مر ـ.

٢ـ أن هذا الموضوع كان يشغل بالي منذ مدة طويلة؛ فكنت أكثر البحث فيه، والقراءة حوله، وكنت أكتب بعض ما أتوصل إليه، وأعرضه على بعض أهل العلم وعلى رأسهم سماحة الوالد الإمام العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـرحمه الله وأجزل مثوبتهـ وكنت أفيد من ملحوظاته في هذا الشأن؛ ومن هنا كانت الرغبة في الكتابة في هذا الباب بصورة أشمل وأوسع.

٣ـ الرغبة في تيسير فهم القدر، وتقريبه إلى الأذهان.

٤ـ الرغبة في الإجابة عما يُثار حول هذا الباب من أسئلة تُطرح، وإشكالات تتكرر، وشبهات تُلقى.

هذا ما دفعني للكتابة في باب القدر، فجمعت ما تيسر من متناثره، وحرصت ـ قدر المستطاع ـ على إيضاح ما دق من مسائله، مستنيراً بأضواء الكتاب والسنة، مستعيناً عليه بفهم سلف هذه الأمة، مستفيداً مما رقمته يراعة العلماء والباحثين في هذا الباب.

الدراسات السابقة:

فالعلماء الأوائل أودعوا مصنفاتهم الحديث عن القدر، وكان ذلك ضمن أبواب العقيدة الأخرى، كما في صنيع الإمام عبدالله بن أحمد في كتابه السنة، والإمام الآجري في الشريعة، والإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة وغيرهم.

وَقلَّ أن يفردوا كتاباً يتعلق بالقدر وحده، ومن القليل من ذلك كتابُ القدر للفريابي وهو يعنى ـ في غالبه ـ بذكر الآثار المروية في القدرِ.

ومن ذلك رسائلُ وفتاوى متعددة لشيخ الإسلام ابن تيمية مبثوثة في كثير من كتبه خصوصاً المجلد الثامن من مجموع الفتاوى، وشفاء العليل لابن القيم.

أما في العصور المتأخرة فظهرت كتب في القدر منها الكبير، ومنها الرسائل الصغيرة، ومنها ما يتناول جزئية معينة من هذا الموضوع، ومن الكتب المؤلفة في ذلك:

١ـ القضاء والقدر للعلامة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله وهي رسائل صغيرة.

٢ـ القضاء والقدر للشيخ د.عمر الأشقر، وهو كتاب متوسط نافع.

٣ـ القضاء والقدر للشيخ د.عبدالرحمن المحمود، وهو مجلد كبير ويكاد يكون أحسن ما كُتب في هذا الباب.

وهناك كتب أخرى كثيرة في هذا الباب، ولا يخلو غالبها من ملحوظات.

أما خطة هذا البحث فقد اشتملت على هذه المقدمة، وعلى تمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وذلك كما يلي:

المقدمة

وفيها بيان مجمل لموضوع القدر، وأهميته، والسبب من وراء البحث فيه، كما أن فيها بياناً لخطة البحث.

تمهيد

وفيه الحديث عن مسألة حكم البحث في القدر، وتفصيل القول فيها، ومتى يجوز، ومتى لا يجوز، مع توجيه النصوص الواردة في ذلك.

الباب الأول: الاعتقاد الحق في القدر

وتحته ثلاثة فصول

الفصل الأول: مفهومُ الإيمانِ بالقدر وأدلتُه.

وتحته أربعة مباحث

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر، والعلاقة بينهما:

وتحته حديث عن تعريف القضاء والقدر في اللغة والشرع وعن إطلاقات كل واحد منهما، وعن العلاقة والفرق بينهما.

المبحث الثاني : أدلة الإيمان بالقضاء والقدر :

وتحته بيان لأدلة الإيمان بالقضاء والقدر من الكتاب، والسنة، والإجماع، والفطرة، والعقل، والحس.

المبحث الثالث : فهم السلف للقدر، وأقوالهم في ذلك :

وتحته، وكلمات توضح معنى القدر، وتحث على الإيمان به، وتدل على إيمان السلف العميق وفهمهم الدقيق لباب القدر.

المبحث الرابع : مجمل الاعتقاد الحق في القدر، والواجب على العبد في باب القدر :

الفصل الثاني: ما يتضمنه الإيمان بالقدر

وتحته ثلاثة مباحث

المبحث الأول : مراتب القدر وأركانه، وخلق أفعال العباد :

وفيه حديث عن مراتب القدر الأربع : العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق مع ذكر لأدلة كل منها، وفيه ـ أيضاً ـ بيان لمسألة خلق أفعال العباد، وذكر الأدلة على ذلك.

المبحث الثاني : أقسام التقدير :

وفيه حديث عن أقسام التقدير الخمسة وهي : التقدير العام، والتقدير البشري، والتقدير العمري، والتقدير السنوي، والتقدير اليومي.

المبحث الثالث : الإرادة الربانية :

وفيه تفصيل وتفريق بين الإرادة الكونية والشرعية.

الفصل الثالث: ثمرات الإيمان بالقدر

وتحته ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الثمرات الإيمانية العقدية:

المبحث الثاني: الثمرات الأخلاقية

المبحث الثالث: الثمرات النفسية

الباب الثاني: مسائل وإشكالات حول القدر

وتحته ثلاثة فصول

الفصل الأول: مسائل في القدر

وتحته ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الإيمان بالقدر ومشيئة العبد واختياره

المبحث الثاني: فعل الأسباب والإيمان بالقضاء والقدر

المبحث الثالث: الاحتجاج بالقدر على فعل المحرمات وترك الواجبات:

وتحته بيان لبطلان الاحتجاج بالقدر على هذا النحو من أوجه عديدة، كما أن فيه بياناً للحالة التي يسوغ فيها الاحتجاج بالقدر.

الفصل الثاني: الحكمة والتعليل في أفعال الله

وتحته تمهيد، وأربعة مباحث:

تمهيد: وفيه حديث عن مسألة تعليل أفعال الله، وإثبات الحكمة فيها.

المبحث الأول: نسبة الشر إلى الله ـ تعالى ـ وحكم ذلك، والحكمة من إرادة الله لما يحبه.

وتحته تمهيد، وخمسة مباحث:

تمهيد: وفيه حديث عن أقوال الناس في القدر بإجمال

المبحث الأول: قول الهنود والبابليين والمصريين القدماء في القدر

المبحث الثاني: قول الفلاسفة في القدر

المبحث الثالث: قول اليهود في القدر

المبحث الرابع: قول النصارى في القدر

المبحث الخامس: أقوال المفكرين والفلاسفة الغربيين المتأخرين في القدر

الفصل الثالث: القول بالقدر في الإسلام

وتحته ستة مباحث

المبحث الأول: نشأة القول بالقدر في الإسلام

المبحث الثاني: قول القدرية المعتزلة في القدر

المبحث الثالث: قول الجبرية في القدر

المبحث الرابع: قول الصوفية في القدر

المبحث الخامس: قول الأشاعرة في القدر

المبحث السادس: قول الشيعة في القدر

الفصل الرابع: مناقشة أقوال الفرق

وتحته تمهيد وثلاثة مباحث

المبحث الأول: المناقشة الإجمالية لأقوال الفرق

المبحث الثاني: مناقشة قول المعتزلة القدرية

المبحث الثالث: مناقشة قول الجبرية

الخاتمة

وفيها خلاصة لأهم ما ورد في البحث

منهج البحث:

أولاً : اقتضت مادة البحث أن يُستخدم في تناوله المنهجان التاريخي والوصفي؛ فالتاريخي يقوم على رصد موضوع القدر، وتتبع تاريخ الانحراف فيه سواء كان ذلك الانحراف قبل الإسلام أو بعده.

والوصفي وقد تم من خلاله عرض موضوع القدر، وبيان المنهج الصحيح فيه، وكذلك تم عرض أقوال الطوائف المنحرفة في القدر.

ثانياً : حرصت في البحث على :

١ـ ترقيم الآيات القرآنية وبيان سورها في أعلى الصفحة حتى لا تكثر الهوامش.

٢ـ تخريج الأحاديث النبوية، وبيان ما ذكره أهل الاختصاص في شأنها إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما؛ فإن كانت كذلك اكتفيت بالعزو إليهما أو إلى أحدهما، واكتفيت بالعزو إلى رقم الحديث إذا كان الكتاب الحديثي مرقماً؛ فأكتفي برقمه ووضعه بين قوسين، أما إذا كان غير مرقم فأشير إلى الجزء والصفحة إذا كان ثمَّ أجزاء هكذا على سبيل المثال ١/٢٠، أو إلى رقم الصفحة إذا لم يكن ذا أجزاء هكذا ص٢٠.

٣ـ العناية بإخراج البحث بحلة قشيبة منظمة.

٤ـ العناية بسلامة الأسلوب، وتيسيره، وسيره على قواعد اللغة العربية،

والحرص على جعله حالاً بين حالين: بين الوحشي الغريب، والسوقي القريب.

٥ـ مراعاة قواعد الإملاء من علامات ترقيم ونحوها مما ييسر فهم المقصود، وإبعاد اللبس.

٥ـ الترجمة للأعلام غير المشهورين ممن لهم صلة وثيقة بموضوع البحث.

٦ـ الاقتصار على ذكر اسم الكتاب والمؤلف عند أول ذكره إذا لم يكن هناك اشتباه بين الكتب؛ فإذا خُشي اللبس أُعيد ذكر المؤلف، أما تاريخ الطبعات ورقمها وما جرى مجرى ذلك فيرجئ إلى فهرس المصادر والمراجع.

٧ـ إلحاق البحث بالفهارس:

أـ فهرس الآيات القرآنية

بـ فهرس الأحاديث والآثار

جـ ـ فهرس قوافي الأشعار

د ـ فهرس الأعلام المترجم لهم

هـ ـ فهرس بعض الطوائف والمصطلحات

و ـ فهرس المصادر والمراجع

زـ فهرس الموضوعات

وفي الختام أتوجه بالشكر إلى الله ـ عز وجل ـ على ما يسر وأعان، وأسأله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يغفر لي ما كان فيه من زلل.

وبعد شكر الله ـ عز وجل ـ أتوجه بالدعاء لشيخنا العلامة الإمام سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله الذي تكرم بقراءة أصل هذا الكتاب، وتفضل بكتابة مقدمة عليه، وأفاد بملحوظاته القيمة؛ فأسأل الله أن يغفر له وأن يجزيه عن

الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ثم أتوجه بالشكر الجزيل لجامعة أم درمان الإسلامية في جمهورية السودان التي تكرمت بقبول الالتحاق بها، وأخص بالشكر كلية أصول الدين.

وأشكر فضيلة أستاذي الشيخ الدكتور المشرف محمد إبراهيم أحمد الذي تكرم بقبول الإشراف على هذا البحث، وأفادني بملحوظاته، فجزاه الله خير الجزاء، وبارك في علمه وعمره.

وكما أشكر أصحاب الفضيلة حضرات المشايخ الذين تكرموا بقبول مناقشة الرسالة، وهما الشيخ د. جمال محمد علي تبيدي، والشيخ د. عثمان علي حسن.

والشكر موصول لمن راجع هذه الرسالة وأمدني بملحوظاته.

كما أشكر كل من أعان على إخراج هذه الرسالة من الإخوة الكرام، وعلى رأسهم الأخوان الأستاذ محمد بن عبدالعزيز البحر، والأستاذ عبدالله بن مزعل الجبر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

محمد بن إبراهيم الحمد

٩/ ٩/ ١٤٢٦هـ

الزلفي ١١٩٣٢ـ ص.ب: ٤٦٠

www.toislam.net

alhamad@toislam.net

تمهيد
مسألة في حكم الحديث عن القدر

قبل الدخول في تفاصيل الحديث عن القضاء ـ يحسن الوقوف عند مسألة أُثيرت قديماً، وتثار حديثاً، مفادها: أنه لا ينبغي الحديث في مسائل القدر مطلقاً، بحجة أن ذلك يبعث على الشك والحيرة، وأن هذا الباب زلّت به أقدام، وضلَّت به أفهام.

والكلام هكذا ـ على إطلاقه ـ غير صحيح، لأمور عديدة منها:

١ـ أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان: ولا يتم إيمان العبد إلا به، فكيف يُعرف إذا لم يُتحدث عنه، ويُبيَّن للناس أمره؟!

٢ـ أن القرآن الكريم مليءٌ بذكر القدر وتفاصيله: والله ـعز وجلـ أمرنا بتدبر القرآن وعَقْلِه، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ سورة ص: ٢٩، وقوله: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ سورة محمد: ٢٤.

فما الذي يخرج الآيات التي تتحدث في القدر عن هذا العموم؟!

٣ـ أن الإيمان بالقدر ورد في أعظم حديث في الإسلام: وهو حديث جبريل ـعليه السلامـ وكان ذلك في آخر حياة النبي ﷺ وقد قال ﷺ في آخر الحديث:

«فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[(١)].

فمعرفته ـ إذاً ـ من الدين، وهي واجبة ولو على سبيل الإجمال.

٤ـ أن الصحابة سألوا النبي ﷺ عن أدق الأمور في القدر: كما جاء في حديث جابر في صحيح مسلم عندما جاء سراقة بن مالك بن جعشم إلى النبيﷺ فقال: يا رسول الله بيِّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت المقادير؟ أم فيما نستقبل؟

قال: «لا، بل فيما جفت به الأقلام، وجرت المقادير» قال: ففيم العمل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر».

وفي رواية «كل عامل ميسر لعمله»[(٢)].

٥ـ أن الصحابة علَّموا تلاميذهم ـ من التابعين ـ ذلك: وسألوهم؛ ليختبروهم، وينظروا في فهمهم لهذا الباب، كما جاء في صحيح مسلم أن أبا الأسود الدؤلي قال: قال لي عمران بن الحصين: «أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قُضي عليهم، ومضى عليهم من قَدَرِ ما سبق؟ أو فيما يُستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟

فقلت: بل شيءٌ قُضي عليهم.

---

(١) رواه مسلم (٨).

(2) مسلم (٢٦٤٨).

قال: فقال: أفلا يكون ظلماً؟

قال: ففزعت من ذلك فزعاً شديداً، قلت: كل شيء خلق الله، وملك يده، فلا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.

فقال لي: يرحمك الله، إني لم أُرِدْ بما سألتك إلا لأَحْزُر[1] عقلك»[2].

٦ـ أن أئمة السلف الصالح من العلماء كتبوا في هذا الباب: بل وأطنبوا فيه، فلو قلنا بمنع الحديث عن القدر لضللناهم، وسَفَّهْنَا أحلامهم.

٧ـ لو تركنا الحديث عن القدر لجهل الناس به: ولربما انفتح الباب لأهل البدعة والضلالة؛ ليروجوا باطلهم، ويَلبسوا على المسلمين دينهم.

٨ـ فوات العلم والخير: فلو تركنا الحديث عن القدر، وعن ثمراته لفاتنا علم غزير، وخير كثير.

فإن قيل: كيف نجمع بين هذا وبين ما ورد في ذم الخوض في القدر، كما في قوله ﷺ كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا»[3].

---

(1) الحَزْر: التقدير، والحَدْسُ، وإعمال الرأي، والمراد هنا: أني أردت أن أمتحن عقلَك، وأقدِّرَ ما وصلت إليه وأعمل رأيي في معرفة مدى فهمك. انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/٥٥، ولسان العرب لابن منظور ٤/١٨٥ـ١٨٦، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٩٩.

(2) مسلم باب القدر (٢٦٥٠).

(3) أخرجه الطبراني في الكبير، ١٠/٢٤٣ (١٠٤٤٨)، وأبو نعيم في الحلية، ٤/١٠٨، وقال أبونعيم: «غريب من حديث الأعمش تفرد به عنه مسهر».

=

وكذلك ما ورد أن النبي ﷺ غضب غضباً شديداً، عندما خرج على أصحابه يوماً وهم يتنازعون في القدر، حتى احمرَّ وجهه، حتى كأنما فُقِيء في وجنتيه حبُّ الرمان، فقال: «أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما أهلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر؛ عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه»(١).

فالجواب عن ذلك: أن النهي الوارد مُنْصَبٌّ على الأمور الآتية:

١ ـ الخوض في القدر بالباطل وبلا علم ولا دليل: قال ـ تعالى ـ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا

= وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٢/٧: «وفيه مسهر بن عبدالملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح».

وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار ٤١/١: «إسناده حسن».

وحسنه ابن حجر في الفتح ٤٨٦/١١، ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير فيض القدير ٣٤٨/١، وقال الألباني في صحيح الجامع رقم(٥٤٥): «صحيح»

وانظر السلسلة الصحيحة ٤٢/١ (٣٤).

وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي ٣٣٦/٦: «إسناده حسن».

وهذا الحديث جاء من حديث ثوبان ﷺ بلفظه عند الطبراني في الكبير ٩٦/٢ (١٤٢٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٢/٧: «وفيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف».

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة من كتاب القدر باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، (٢١٣٣) وقال: «وفي الباب عن عمر وعائشة وأنس، وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المري، وصالح المري له غرائب ينفرد بها لا يتابع عليها».

وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٧٣٢ـ ٢٢٣١): «حسن».

وله شاهد من حديث عمر بن الخطاب ﷺ بلفظ: «لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم» أخرجه أحمد، ٣٠/١، وأبو داود (٤٧١٠) و(٤٧٢٠)، والحاكم، ٨٥/١.

لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ سورة الإسراء: ٣٦، وقال عن المجرمين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ سورة المدثر: ٤٢ـ٤٥.

٢ـ الاعتماد في معرفة القدر على العقل البشري القاصر: بعيداً عن هدي الكتاب والسنة؛ ذلك أن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك على وجه التفصيل؛ لأن له حدوداً وطاقاتٍ يجب أن يقف عندها[١].

٣ـ ترك التسليم والإذعان لله ـ تعالى ـ في قدره: ذلك لأن القدر غيب، والغيب مبناه على التسليم.

٤ـ البحث عن الجانب الخفي في القدر: الذي هو سر الله في خلقه، والذي لم يطَّلع عليه مَلَك مقرب، ولا نبي مرسل، وذلك مما تتقاصر العقول عن فهمه ومعرفته[٢].

٥ـ الأسئلة الاعتراضية التي لا يجوز إيرادها: كمن يقول مُتَعَنِّتاً: لماذا هدى الله فلاناً، وأضل فلاناً؟ ولماذا كلَّف الله الإنسان من بين سائر المخلوقات؟ ولماذا أغنى الله فلاناً، وأفقر فلاناً؟ وهكذا...

أما «من سأل مستفهماً فلا بأس به؛ فشفاء العي السؤال، أما من سأل متعنتاً ـ

(١) انظر الإبانة لابن بطة العكبري ١/٤٢١ـ٤٢٢.

(٢) انظر الدين الخالص لصديق حسن ٣/١٧١.

غير متفقه ولا متعلم ـ فهو الذي لا يحل قليلُ سؤاله ولا كثيرُهُ» [(١)].

٦ـ التنازع في القدر: الذي يؤدي إلى اختلاف الناس فيه، وافتراقهم في شأنه، فهذا مما نهينا عنه.

ولا يدخل في التنازعِ المذمومِ منازعةُ الفرق الضالة، وردُّ شبههم، ودحض حججهم؛ لأن في ذلك إحقاقاً للحق، وإبطالاً للباطل.

ومن هنا يتبين لنا أن النهي عن الحديث في القدر على إطلاقه غيرُ صحيح، وإنما النهي كان عن الأمور الآنفة الذكر.

أما البحث فيما يستطيع العقل البشري أن يجول فيه، ويفهمه من منطلق النصوص ـ كالبحث في مراتب القدر، وأقسام التقدير، وخلق أفعال العباد، إلى غير ذلك من مباحث القدر ـ فهذا ميسَّر واضح لا يمنع من البحث فيه، على أنه لا يستطيع كل أحد أن يفهمها على وجه التفصيل، إلا أن هناك من يعلمها ويكشف ما فيها.

ومما يؤيد ذلك ـ من أن النهي ليس على إطلاقه ـ أنه ورد في الحديثِ السابقِ، حديثِ ابن مسعود، مع الأمر بالإمساك عن القدر ـ الإمساكُ عن الصحابة.

والإمساكُ عن الصحابة إنما المقصود به الإمساك عما شجر بينهم، والكف عن ذكر مساوئهم، وتنقصهم، وثلبهم.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٦٢، وانظر الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة ص٣٥، وشرح السنة للبربهاري ص٣٦.

أما ذكر محاسنهم، والثناء عليهم فهذا أمر محمود بلا أي خلاف؛ فقد أثنى الله عليهم في القرآن الكريم، وزكاهم، وكذلك الرسول ﷺ.

ومما يؤيد ذلك ـ أيضاً ـ أن سبب غضب النبي ﷺ كما في الحديث السابق ـ حديث الترمذي ـ إنما هو بسبب تنازع الصحابة في القدر.

«وهذا يعني أن الكلام في القدر، أو البحث فيه بالمنهج العلمي الصحيح غير محرم أو منهي عنه، وإنما الذي نهى عنه الرسول ﷺ هو التنازع في القدر»[(١)].

وخلاصة القول في هذه المسألة: أن الحديث عن القدر لا يفتح بإطلاق، ولا يغلق بإطلاق؛ فإن كان الحديث بحق فلا يمنع ولا ينهى عنه، بل قد يجب، وإن كان بباطل فيمنع، وينهى عنه.

---

(١) القضاء والقدر في الإسلام، د. فاروق الدسوقي ١/٣٦٨.

الباب الأول

الاعتقاد الحق في القدر

وتحته ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مفهومُ الإيمانِ بالقدرِ وأدلتُه

وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر والعلاقة بينهما

المبحث الثاني: أدلة الإيمان بالقضاء والقدر

المبحث الثالث: فهم السلف للقدر، وأقوالهم في ذلك

المبحث الرابع: مجمل الاعتقاد الحق في القدر، والواجب على العبد في باب القدر

الفصل الثاني: ما يتضمنه الإيمان بالقدر

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مراتب القدر وأركانه، وخلق أفعال العباد

المبحث الثاني: أقسام التقدير

المبحث الثالث: الإرادة الربانية

الفصل الثالث: ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر

وتحته تمهيد وثلاثة مباحث

المبحث الأول: الثمرات الإيمانية العقدية

المبحث الثاني: الثمرات الأخلاقية

المبحث الثالث: الثمرات النفسية

الفصل الأول

مفهومُ الإيمانِ بالقدرِ وأدلتُه

وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر والعلاقة بينهما

المبحث الثاني: أدلة الإيمان بالقضاء والقدر

المبحث الثالث: فهم السلف للقدر، وأقوالهم في ذلك

المبحث الرابع: مجمل الاعتقاد الحق في القدر، والواجب على العبد في هذا الباب

المبحث الأول

تعريف القضاء والقدر، والعلاقة بينهما

المطلب الأول: القضاء:

١ـ تعريف القضاء لغة: القضاء في اللغة مصدر الفعل قضى يقضي قضاءً.

قال ابن فارس[1] رحمه الله في مادة (قضى): «القاف، والضاد، والحرف المعتل ـ

(١) ابن فارس: هو أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المعروف بالرازي، والمشهور بابن فارس، ولد في أوائل القرن الرابع الهجري، ولم يذكر أحد من أصحاب التراجم الأقدمين تاريخاً محدداً لميلاده، لكنه يدور حول ٣١٢هـ، أما وفاته فكانت سنة ٣٩٥هـ على الرأي الصحيح، كما رجح ذلك العلامة عبدالسلام هارون رحمه الله، ولد بقزوين، ونشأ بهمذان، وكان أكثر مقامه في الري، لكن رحل إلى بلاد كثيرة؛ لتلقي العلم.

وقد أخذ عن كثيرين، أما علومه فكانت متنوعة شاملة، لاسيما اللغة التي أتقنها، وأكثر من التأليف في فروعها، وشُهر بها، ودُعي بـ: اللغوي، وكان فقيهاً شافعياً، ويناصر مذهب مالك، أما طريقته في النحو فطريقة الكوفيين، وكان يحسن الشعر، وكان نقَّادة فيه، وكان ذات عقلية جبارة، وموهبة فذَّة مبتكرة، وقد شهد له بذلك كثير من القدامى والمحدثين.

وقد امتاز بأخلاق العلماء حقاً من ورع، وتواضع، وكرم، ولابن فارس مؤلفات عديدة كثيرة تزيد على الستين منها المجمل، والمقاييس، والصاحبي، وأصول الفقه، وأخلاق النبي ﷺ، وجامع التأويل في تفسير القرآن، وحلية الفقهاء.

انظر ترجمته في إنباه الرواة للقفطي ٢/٢٩، ويتيمة الدهر للثعالبي ٣/٤٠٢، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ١/٥٣٥ـ٥٤٥، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١/١١٨، ومقدمة معجم المقاييس لعبدالسلام هارون ١/٣ـ٣٧، ودراسات في المعاجم العربية د.أمين فاخر ص٨٣، ومقدمة كتاب الصاحبي ص٥ـ٩.

أصل صحيح يدل على إحكام أمر، وإتقانه، وإنفاذه لجهته.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ سورة فصلت:١٢.

أي أحكم خلقهن، ثم قال أبو ذؤيب الهذلي[(١)]:

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو نَسَجُ السوابغ تبع[(٢)]

والقضاء: هو الحكم، والصنع، والحتم، والبيان.

وأصله القطع، والفصل، وقضاء الشيء، وإحكامه، وإمضاؤه، والفراغ منه؛ فيكون بمعنى الخلق[(٣)].

٢ـ إطلاقات القضاء في القرآن الكريم: يطلق لفظ القضاء في القرآن إطلاقات عديدة منها[(٤)]:

---

(١) هو خويلد بن خالد بن محرز بن زبيد بن أسد الهذلي، شاعر مجيد مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، قدم المدينة عند وفاة النبي ﷺ فأسلم وحسن إسلامه، له قصائد جياد، وشعره كله على نمط في الجودة وحسن السبك، قال ابن شبه: «تقدم ابو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي يرثي فيها بنيه»، توفي في غزوة إفريقية مع ابن الزبير.

انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص٤٣٥ـ٤٣٧، وانظر معجم الأدباء ٣/٣٠٦ـ٣٠٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/٩٩.

(٣) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٤٤١ـ٤٤٢ وانظر المفردات لغريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٤٢٣، وانظر لسان العرب لابن منظور ١٥/١٨٦، والقاموس للفيروزأبادي ص١٧٠٨.

(٤) انظر ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن لأبي عمر محمد بن عبدالواحد البغدادي المعروف بغلام ثعلب ص٢٥٣، ص٣٠٦، ص٥٧٦، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٤٤١ـ٤٤٢ ومعجم مقاييس اللغة ٥/٩٩، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٤٢٣ـ٤٢٤، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية ص٥٠٩ـ٥١١، والوجوه والنظائر د. سليمان القرعاوي ص٥٢٩ـ٥٣٦.

أـ الوصية والأمر: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ سورة الإسراء:٢٣، أي أمر وأوصى.

بـ الإخبار: قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ سورة الإسراء:٤.

جـ الفراغ: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ ﴾ سورة البقرة: ٢٠٠.

وقال: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ الصَّلاةَ ﴾ سورة النساء:١٠٣.

دـ الفعل: قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ سورة طه: ٧٢.

هـ الوجوب والحتم: قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَان ﴾ سورة يوسف:٤١.

وـ الكتابة: قال ـ تعالى ـ: ﴿ وكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً ﴾ سورة مريم: ٢١.

زـ الإتمام: قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ ﴾ سورة القصص:٢٩.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ أَيَّمَا الأَجَلَيْن قَضَيْتُ ﴾ سورة القصص: ٢٨.

حـ الفصل: قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ ﴾ سورة الزمر: ٦٩.

طـ الخلق: قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ سورة فصلت:١٢.

يـ القتل: قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَوكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ سورة القصص:١٥.

المطلب الثاني: القدر:

١ـ القدر في اللغة: «مصدر الفعل قَدِرَ يقْدَرُ قدَرَاً، وقد تسكن دالُه»[١].

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/٢٢.

قال ابن فارس رحمه الله في مادة (قدر): «قدر: القاف، والدال، والراء، أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنه، ونهايته؛ فالقدْر مبلغ كل شيء، يقال: قَدْرُه كذا أي مبلغه، وكذلك القدَرُ، وقدَرْت الشيء أقدِره وأقدُره من التقدير»[١].

والقدَر محركة: القضاء، والحكم، وهو ما يقدِّره الله -عز وجل- من القضاء، ويحكم به من الأمور.

والتقدير: التروية، والتفكير في التسوية أمر، والقَدَرُ كالقَدْر وجميعها جمعها: أقدار[٢].

والفرق بين القدر والتقدير ـ كما يقول أبو هلال العسكري[٣]ـ «أن التقدير

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٦٢/٥، وانظر ياقوتة الصراط ص٥٧٦، والنهاية ٢٣/٤.

(٢) انظر لسان العرب ٧٢/٥، والقاموس المحيط ص٥٩١.

(٣) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى، المعروف بأبي هلال العسكري.

وقد أجمعت التراجم المختلفة على ذلك، كما اتفق الذين ترجموا له أنه ينسب إلى مدينة (عسكرمُكْرَم) من أعمال الأهواز.

وأبو هلال فارسي الأصل، ومع كثرة مؤلفاته وحسن تصانيفه إلا أن المراجع التي تحدثت عنه لم تذكر السنة التي ولد فيها، ولا التي مات فيها على وجه التحديد والإجماع.

وبعض الذين ترجموا له استنتجوا أنه ولد سنة٣١٠هـ على وجه التقريب، وأما وفاته فمنهم من قال: إنه توفي عام٣٩٥هـ، وهم الأكثر، ومال القفطي إلى أنه عاش حتى بعد سنة ٤٠٠هـ.

ويعزى خمول ذكره ـ مع طول باعه واتساع علمه ـ إلى أسباب لعل جلَّها يعود إلى غلبة شهرة أستاذه أبي أحمد العسكري الذي يحمل الاسم ذاته، واسم الأب، والنسبة، مما أثر سلباً على التلميذ.

=

يُستعمل في أفعال العباد ولا يُستعمل القدر إلا في أفعال الله ـ عز وجل ـ»[(١)].

٢ـ إطلاقات القدر في القرآن الكريم: يطلق القدر في القرآن عدة إطلاقات منها[(٢)]:

أـ التضييق: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ سورة الفجر:١٦.

ب ـ التعظيم: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ سورة الأنعام:٩١.

جـ الاستطاعة، والتغلب، والتمكن: قال ـ تعالى ـ: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ سورة المائدة:٣٤.

دـ التدبير: قال ـ تعالى ـ: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ سورة المرسلات:٢٣، أي دبَّرنا الأمور، أو أردنا وقوعها بحسب تدبيرنا.

= ولأبي هلال مؤلفات كثيرة في الحديث، والتفسير، والتاريخ، واللغة، والأدب.

ومنها: كتاب التلخيص، وجمهرة الأمثال، والأوائل، وديوان المعاني، والصناعتين، والفروق اللغوية، والمعجم في بقية الأشياء، ورسالة في العزلة والاستئناس بالوحدة، وغيرها من الكتب.

ومنها كتاب الحث على طلب العلم، والاجتهاد في جمعه.

انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ١٧٧/٦، ومعجم الأدباء لياقوت ٢٣٣/٨، والوافي بالوفيات للصفدي ٢٨/١٢، ومقدمة كتاب الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه لأبي هلال تحقيق د.مروان قباني ص٧ـ١١.

(١) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص٣٢٨.

(٢) انظر ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن ص٥٧٦، والمفرادت في غريب القرآن ص٤١٠ـ٤١٣، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية ص٤٩٥ـ٤٩٦.

هـ تحديد المقدار، أو الزمان، أو المكان: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ سورة سبأ: ١٨، وقال: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ سورة فصلت:١٠.

و ـ الإرادة: قال ـ تعالى ـ: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ سورة القمر:١٢، أي دبِّر، وأريد وقوعه.

ز ـ القضاء والإحكام: قال ـ تعالى ـ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ سورة الواقعة:٦٠.

أي قضينا، وحكمنا.

ح ـ التمهل والتَّروي في الإنجاز: قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ سورة المدثر:١٨، أي تمهَّل، وتروَّى؛ ليتبين ما يقوله في القرآن.

وقال: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ سورة سبأ: ١١.

أي تمهلْ، وتروَّ في السرد؛ كي تحكمه.

ط ـ الصنع بمقادير معينة: قال ـ تعالى ـ: ﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً﴾ سورة الإنسان:١٦.

المطلب الثالث: العلاقة بين القضاء والقدر:

من خلال ما سبق من تعريف القضاء والقدر في اللغة وبيان إطلاقاتهما في القرآن يتبين مدى العلاقةِ بينهما، والعلاقةِ بين المدلول اللغوي والشرعي ـ كما سيأتي ـ.

فكلٌّ مِن القضاء والقدر يأتي بمعنى الآخر؛ فمعاني القضاء تؤول إلى إحكام

الشيء، وإتقانه، ونحو ذلك من معاني القضاء.

ومعاني القدر تدور حول ذلك، وتعود إلى التقدير، والحكم، والخلق، والحتم، ونحو ذلك.

ولهذا سيكون التعريف الشرعي شاملاً للقضاء والقدر، ثم بعد ذلك يكون الحديث عن الفروق بينهما.

المطلب الرابع: القضاء والقدر في الاصطلاح الشرعي:

هناك بعض ممن تطرق لتعريف القضاء والقدر يعرفه ببعض أفراده أو بعمومه دون تفصيل، أو إشارة إلى مراتبه وأركانه.

فهذا الجرجاني[1] رحمه الله يعرف القدر فيقول:

«القدر: خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقاً للقضاء.

والقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال»[2]

وقال رحمه الله في تعريف القضاء: «القضاء لغة: الحكم.

---

(١) هو علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالشريف (٧٤٠هـ-٨١٦هـ)، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، ولد في تاكو قرب استراباد، ودرس في شيراز، ولما دخلها تيمور سنة ٧٨٩ خرج الجرجاني إلى سمرقند ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي.

له نحو خمسين مصنفاً، منها التعريفات، وشرح مواقف الإيجي، وتحقيق الكليات، وغيرها.

انظر الأعلام للزركلي ١٥٩/٥-١٦٠.

(٢) التعريفات للجرجاني ص١٧٤.

وفي الاصطلاح: عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد[١]»[٢].

وهذا التعريف صحيح، ولكن ينقصه الشمول، واستيعاب جميع الأفراد؛ وهي مراتب القدر الأربع.

ويمكن أن يعرف القضاء والقدر بأحد التعريفات التالية:

أـ هو ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه -عز وجل- قدر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تقع في الأزل، وعلم - سبحانه وتعالى - أنها ستقع في أوقات معلومة عنده -تعالى- وعلى صفات مخصوصة؛ فهي تقع على حسب ما قدرها»[٣].

ب- وعُرِّف بأنه: تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمُه، واقتضته حكمته[٤].

وهو تعريف مختصر لطيف.

جـ هو تقدير الله - تعالى - للأشياء في القِدَم، وعلمه - سبحانه - أنها ستقع في

---

(١) الأزل: هو الشيء الذي لا بداية له، والأبد: هو الشيء الذي لا نهاية له.

أو يقال: الأزل: هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية من جانب الماضي، والأبد: هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية من جانب المستقبل. انظر التعريفات للجرجاني ص٧.

(٢) التعريفات للجرجاني ص١٧٧.

(٣) هذا تعريف السفاريني رحمه الله انظر لوامع الأنوار البهية ٣٤٨/١.

(٤) هذا تعريف الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله انظر كتابه رسائل في العقيدة ص٣٧.

أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقه لها.[١]

وهذا التعريف من أجمع التعاريف، وأشملها.

د- ويمكن أن يعرف القضاء والقدر تعريفاً مختصراً فيقال:

هو علم الله بالأشياء، وكتابته، ومشيئته، وخلقه لها.

المطلب الخامس: الفروق بين القضاء والقدر:

اختلف العلماء في ذلك على أقوال، وفيما ذكر لشيء من ذلك:

١- قيل: «المراد بالقدر: التقدير، وبالقضاء: الخلق كقوله -تعالى-: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ سورة فصلت:١٢، أي خلقهن.

فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء؛ فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه»[٢].

وقال الراغب الأصفهاني[٣] رحمه الله: «والقضاء من الله أخص من القدر؛ لأنه

---

(١) هذا تعريف الشيخ د. عبدالرحمن المحمود. انظر كتابيه: القضاء والقدر ص٣٩ وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٣١٠/٣.

(٢) لسان العرب ١٨٦/٥، والنهاية ٧٨/٤، وانظر الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص٣٢٨.

(٣) هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني أو الأصبهاني، أديب حكيم، وصاحب تصانيف منها: المفردات في غريب القرآن، وكتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة، ومحاضرات الأدباء، وجامع التفاسير، وأفانين البلاغة، توفي سنة ٥٠٢هـ. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨/ ٢٠، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٣٦، والأعلام للزركلي ٢٥٥/٢.

الفصل بين التقدير؛ فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع.

وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المُعَدِّ للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل»[(١)].

٢ـ وقيل العكس؛ فالقضاءُ هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقدرُ هو وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق[(٢)].

قال الجرجاني رحمه الله: «والفرق بين القدر والقضاء هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها»[(٣)].

وقال مثل ذلك عند تعريفه للقضاء والقدر ـ كما مر ـ.

٣ـ أنه لا فرق بين القضاء والقدر؛ فكل واحد منهما بمعنى الآخر؛ فإذا أطلق التعريف على أحدهما شمل الآخر؛ ويعبر عن كل واحد منهما كما يعبر عن الآخر؛ فهما مترادفان من هذا الاعتبار، فيقال: هذا قدر الله، ويقال: هذا قضاء الله، ويقال: هذا قضاء الله وقدره[(٤)].

ولعل الأقرب ـ والله أعلم ـ أنهما إذا اجتمعا افترقا؛ بحيث يصبح لكل واحد

---

(١) المفردات ص٤٢٣ـ٤٢٤.

(٢) انظر القضاء والقدر د.عمر الأشقر ص٢٧.

(٣) التعريفات ص١٧٤.

(٤) انظر القضاء والقدر د.عبدالرحمن المحمود ص٤١.

منهما مدلول بحسب ما سبق في الأقوال السابقة.

وإذا افترقا اجتمعا؛ بحيث إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر[١].

وبالجملة فالأمر يسير، والخلاف فيها لا يترتب عليه شيء.

---

(١) انظر الدرر السنية، جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم ١/٥١٢ـ٥١٣.

المبحث الثاني

أدلة الإيمان بالقضاء والقدر

دلَّ على هذا الركن العظيم من أركان الإيمان ـ الكتابُ، والسنةُ، والإجماعُ، والفطرةُ، والعقلُ، والحسُّ.

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم: الأدلة من القرآن الكريم على الإيمان بالقضاء والقدر كثيرة جداً منها:

١ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾ سورة الأحزاب: ٣٨.

ومعنى هذه الآية: أن الله ـ عز وجل ـ قدَّر أن يخلق خلقاً، ويأمرهم وينهاهم، ويجعل ثواباً لأهل طاعته، وعقاباً لأهل معصيته، فلما قدَّره كتب ذلك وغيَّبه، فسماه الغيب وأم الكتاب، وخلق الخلق على ذلك الكتاب: أرزاقهم، وآجالهم، وأعمالهم، وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة، فكان أمر الله الذي مضى، وفرغ منه، وخلق الخلق عليه قدراً مقدوراً[(١)].

٢ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ سورة القمر: ٤٩.

ومعنى الآية: أن الله ـ سبحانه ـ قدر الأشياء، أي علم مقاديرها وأحوالها، وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه، فلا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه

---

(١) انظر تفسير جامع البيان للطبري ١٢/١٥.

ـتعالىـ وقدرته، وإرادته(١).

٣ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ سورة الحجر: ٢١.

وهذا عام في كل شيء، وذهب قوم من المفسرين إلى أن المراد به المطر خاصة(٢).

٤ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ سورة المرسلات: ٢٢ـ٢٣.

٥ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ سورة طه: ٤٠.

٦ـ قوله ـتعالىـ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ سورة الفرقان: ٢.

٧ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ سورة عبس: ١٩.

٨ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ سورة الأعلى: ٣.

٩ـ قوله ـتعالىـ: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾ سورة الأنفال: ٤٢.

١٠ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ سورة الإسراء: ٤.

ثانياً: الأدلة من السنة: لقد تظافرت الأدلة من السنة المطهرة على الإيمان بالقضاء والقدر، ومنها:

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن لابن العربي ١٤٨/١٧.

(٢) انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٩٢/٤.

١ـ قال ﷺ كما في حديث جبريل ـ عليه السلام ـ: «وتؤمن بالقدر خيره وشره»[(١)].

٢ـ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»[(٢)].

٣ـ روى مسلم في الصحيح عن طاووس[(٣)] قال: «أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر، قال: وسمعت عبدالله بن عمر يقول: كل شيء بقدر حتى العجز والكيْس، أو الكيس والعجز»[(٤)].

٤ـ قال ﷺ: «وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن

---

(١) رواه مسلم(٨).

(2) رواه الترمذي (٢١٤٤) وقال: «وهذا حديث لا نعرفه إلا من حديث عبدالله بن ميمون، وعبدالله بن ميمون منكر الحديث، ولكن الحديث له شواهد تؤيده»، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٧٢٣)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٤٣٩).

(٣) هو طاووس بن كيسان الفقيه القدوة عالم اليمن أبو عبدالرحمن الفارسي ثم اليمني الجندي، الحافظ، سمع من زيد بن ثابت وعائشة وأبي هريرة وزيد بن أرقم وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ ولازم ابن عباس مدة، وهو معدود في كبراء أصحابه، روى عنه عطاء ومجاهد وجماعة من أقرانه، توفي سنة ١٠٦هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٣٨/٥ـ٤٩.

(٤) مسلم (٢٦٥٥)، ورواه مالك في الموطأ ٨٧٩/٢، ورواه أحمد في المسند، تحقيق: أحمد شاكر ١٥٢/٨ (٥٨٩٣).

قل: قَدَرُ اللهِ وما شاء فعل»[١].

هذا وسيمر بنا في ثنايا الكتاب أدلة كثيرة من الكتاب والسنة زيادةً على ما مضى.

ثالثاً: الإجماع: فقد أجمع المسلمون على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره من الله، قال النووي[٢] رحمه الله: «وقد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة، وأهل الحل والعقد من السلف والخلف ـ على إثبات قدر الله ـ سبحانه وتعالى ـ»[٣].

وقال ابن حجر[٤] رحمه الله: «ومذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) النووي: هو الشيخ الإمام يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن حزام الحازمي العالم محي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي شيخ المذهب وكبير الفقهاء في زمانه ولد سنة ٦٣١هـ، وتوفي سنة ٦٧٦هـ، كان لا يضيع شيئاً من أوقاته، وكان يقرأ في كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ، ثم اعتنى بالتصنيف، فجمع شيئاً كثيراً، منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله، فمما أكمله شرح مسلم، والروضة، والمنهاج، ورياض الصالحين، والأذكار، وتهذيب الأسماء واللغات، ومما لم يتمه «المهذب» الذي سماه المجموع، وصل فيه إلى باب الربا، فأبدع وأجاد وأحسن الانتقاد ـ كما يقول ابن كثير رحمه الله ـ كان صواماً زاهداً أماراً بالمعروف نهَّاءاً عن المنكر. انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٣/٢٩٤.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١/١٥٥.

(٤) هو الحافظ العلامة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، توفي سنة ٨٢٥هـ، له المصنفات البارعة أشهرها فتح الباري شرح صحيح البخاري، ولسان الميزان، والتقريب، وغيرها. انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٧/٢٧١، والبدر الطالع للشوكاني ١/٧٨.

ـتعالى ـ» [(١)].

رابعاً: دلالة الفطرة: الإيمان بالقدر يتضمن ـ كما مرَّ ـ علم الله بالأشياء، وكتابته لها، ومشيئته، وخلقه.

وهذه الأمور معلومة بالفطرة.

وكذلك فإن الإيمان بالقدر معلوم بالفطرة قديماً وحديثاً، ولم ينكره إلا الشواذُّ من المشركين من الأمم، ولم يقع الخطأ في نفي القدر وإنكاره، وإنما وقع في فهمه على الوجه الصحيح؛ ولهذا قال ـ سبحانه ـ عن المشركين: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا﴾ سورة الأنعام: ١٤٨[(٢)].

فهم أثبتوا المشيئة لله، لكنهم احتجوا بها على الشرك، ثم بيَّن ـسبحانهـ أن هذا هو شأنُ من كان قبلهم، فقال: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ سورة الأنعام: ١٤٨.

وكانت العرب في الجاهلية تعرف القدر ولا تنكره، ولم يكن هناك من يرى أن الأمر مستأنف.

وهذا ما نجده مبثوثاً في أشعارهم كما مر في المقدمة، وكما في قول عنترة:

---

(١) فتح الباري ٢٨٧/١١ وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٥٣٤/٣ـ٥٣٨ حيث نقل الإجماع على ذلك عن جمع غفير من السلف، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٥٩/٨، ٤٥٢، ٤٤٩.

(٢) انظر جامع البيان لابن جرير ٧٩/٥.

يـا عبـلُ أيـن مـن المنيـة مهربـي   إن كان ربي في السماء قضاها[(١)]

وكما في قول طرفة بن العبد:

فلو شاء ربي كنت قيسَ بن خالدٍ   ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد[(٢)]

وقول سويد بن أبي كاهل[(٣)]:

كتـب الـرحمنُ والحمـد لـه   سَـعَةَ الأخـلاقِ فينـا والـضَّلَعْ[(٤)]

وقول المُثَقِّب العبدي[(٥)]:

فأيقنـت إن شـاء الإلـه بأنـه   سَـيَبْلُغني أجلادُهـا وقـصيدُها[(٦)]

وقول زهير:

---

(١) ديوان عنترة، ص٧٤.

(٢) شرح المعلقات العشر، للزوزني، ص١١٩.

(٣) هو سويد بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر ابن وائل بن قاسط، شاعر مقدم مخضرم، عاش في الجاهلية دهراً، وعُمِّر في الإسلام عمُراً طويلاً، عاش إلى ما بعد سنة ٦٠هـ، قرنه أبو عبيد بطرفة، والحارث بن حلزة، وعمرو بن كلثوم، وكان أبوه شاعراً. انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص٢٧٠-٢٧١، والمفضليات بتحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون ص١٩٠.

(٤) المفضليات للمفضل الضبي ص١٩٧.

(٥) هو عائذ الله بن حصن بن ثعلبة بن وائلة بن عدي بن عوف بن دهن بن عذرة بن منبه بن نكرة ابن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، شاعر فحل قديم جاهلي، سُمِّي المُثقب لقوله في قصيدة له:

********** وثقَّبن الوصاوص للعيون

والوصاوص: البراقع. انظر المفضليات تحقيق وشرح أحمد شاكر وعبدالسلام هارون ص١٤٩.

(٦) المفضليات ص١٥١.

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ... ليخفى ومهما يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ في كتاب فَيُدَّخَرْ ... ليوم الحساب أو يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ[1]

كما نجد ذلك ـ أيضاً ـ في خطبهم، كما في قول هانئ بن مسعود الشيباني[2] في خطبته المشهورة في يوم ذي قار: «إنَّ الحذر لا يُنجي من القدر»[3].

ولم يقل أحد منهم بنفيه إطلاقاً، كما صرح بذلك أحد كبار علماء العربية، وهو أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب[4] رحمه الله بقوله: «لا أعلم عربياً قدرياً، قيل له: يقع في قلوب العرب القول بالقدر؟ قال: معاذ الله، ما في العرب إلا مثبت القدر خيره وشره أهل الجاهلية والإسلام، وكلامهم كثير بيِّن، ثم أنشد:

تجري المقادير على غرز الإبر ... ما تنفذ الإبرة إلا بقدر

قال: وأنشد لامرئ القيس:

---

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٢٥.

(٢) هو هانئ بن مسعود بن عمرو الشيباني، من سادات العرب، وأبطالهم في الجاهلية، وهو الذي هاج القتال بين بني بكر وبين بني تميم وضبة والرباب (يوم ذي قار)، وهو أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وللشعراء قصائد كثيرة في وصف هذا اليوم. انظر الأعلام ٥٢/٩ـ٥٣.

(٣) الأمالي لأبي علي القالي ١٧١/١، وجمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت ٣٧/١ وتاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص٣٣.

(٤) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء المشهور بثعلب، إمام الكوفيين في اللغة والنحو، كان مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة، وكان ثقة حجة، له مصنفات منها: الفصيح المعروف بفصيح ثعلب، ومعاني القرآن، توفي سنة ٢١٩هـ. انظر الأعلام للزركلي ٦٢٧/١.

إن الشقاء على الأشقين مكتوب » [(١)].

وقال لبيد:

إن تقوى ربِّنا خير نفل ... وبإذن الله ريثي وعجلْ

أحمد الله فلا ندَّ له ... بيديه الخير ما شاء فعل

من هداه سبلَ الخير اهتدى ... ناعمَ البال ومن شاء أضل [(٢)]

وقال كعب بن سعد الغنوي [(٣)]:

ألم تعلمي ألا يراخي منيتي ... قعودي ولا يدني الوفاة رحيلي

مع القدرِ الموقوفِ حتى يصيبني ... حِمامي لو آنَّ النفسَ غيرُ عجولِ [(٤)]

خامساً: دلالة العقل: أما دلالة العقل فهي أن العقل الصحيح يقطع بأن الله هو خالق هذا الكون، ومدبره، ومالكه، ولا يمكن أن يوجد على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب والمسببات هكذا صدفة؛ إذ الموجود صدفة ليس له نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظماً

---

(١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، ٥٣٨/٣، وانظر ٧٠٤/٤-٧٠٥ من الكتاب نفسه.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، ٧٠٥/٤، وانظر شعر لبيد بن ربيعة بين جاهليته وإسلامه، لزكريا صيام، ص٩٥.

(٣) هو كعب بن سعد بن عمر بن عقبة بن عوف بن رفاعة الغنوي، يُقال له: كعب الأمثال؛ لكثرة ما في شعره من الأمثال، قيل: إنه شاعر إسلامي، والظاهر أنه تابعي. انظر الأصمعيات شرح وتحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون ص٧٣.

(٤) الأصمعيات، للأصمعي عبدالملك بن قريب ص٧٤.

حال بقائه وتطوره؟

فإذا تقرر عقلاً أن الله هو الخالق لزم ألا يقع شيء في ملكه إلا ما قد شاءه وقدَّره(١).

ومما يدل على هذا التقرير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ سورة الطلاق: ١٢.

ثم إن تفاصيل القدر لا ينكرها العقل، بل هي مما يتفق معه تمام الاتفاق، كما سيمر بنا قريباً.

سادساً: دلالة الحس: فنحن نشاهد ونسمع، ونقرأ أن الناس تستقيم أمورهم بالإيمان بالقضاء والقدر، وسيمر شيء من ذلك عند الحديث عن ثمرات الإيمان بالقدر، فالمؤمنون به على الوجه الصحيح هم أسعد الناس، وأصبرهم، وأشجعهم، وأكرمهم، وأكملهم، وأعقلهم.

ولو لم يكن الإيمان بالقدر حقاً لما حصل لهم ذلك.

ثم إن القدر «هو نظام التوحيد»(٢) كما قال ابن عباس ـرضي الله عنهماـ والتوحيد هو نظام الحياة، فلا تستقيم حياة الناس استقامة حقيقية إلا بالتوحيد،

---

(١) انظر الرياض الناضرة للشيخ عبدالرحمن السعدي ص١٩٤، ورسائل في العقيدة للشيخ محمد بن عثيمين ص١١ـ١٥.

(٢) أخرجه الفريابي في كتاب القدر ص١٥٩ـ١٦٠، وانظر مجموع الفتاوى ١١٣/٣.

والتوحيد لا يستقيم إلا بالإيمان بالقضاء والقدر.

ثم إن فيما أخبرنا الله ورسوله ﷺ من أمور الغيب المستقبلية التي وقعت كما جاء في الخبر ـ دليلاً حسيًّاً واضحاً على أن الإيمان بالقدر حق وصدق[١].

---

(١) انظر الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في العقيدة د. عبدالرزاق البدر ص٧٢ـ٧٣.

المبحث الثالث

فهم السلف للقدر، وأقوالهم في ذلك

ورد عن السلف الصالح أقوال جميلة، وكلمات مضيئة، توضح معنى القدر، وتدل على أهميته، وتحث على الإيمان به، وتوصي بالرضا بما يقدره الله ويقضيه، وتحذر من ضد ذلك، وتبين إيمان السلف العميق، وفهمهم الدقيق لذلك الركن العظيم من أركان الإيمان.

كما ورد شيءٌ من ذلك على ألسنة بعض الشعراء والحكماء.

فمن ذلك مايلي:

١ـ قال الوليد ابن الصحابي الجليل عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه أوصني، واجتهد لي.

فقال: أجلسوني، فلما أجلسوه قال: يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله ـ تبارك وتعالى ـ حتى تؤمن بالقدر خيره وشره.

قلت: يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وما شره؟

قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله ـتعالى ـ القلم، ثم قال: اكتب، فجرى بتلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة».

يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار» [١].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٣١٧/٥، والترمذي (٤١٥٥)، وقال الألباني بعد أن تتبع طرقه: «فالحديث صحيح بلا ريب» حاشية مشكاة المصابيح ٣٤/١.

٢ـ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : «القدر نظام التوحيد فمن وحَّد الله ـ عز وجل ـ وآمن بالقدر فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن وحد الله ـ تعالى ـ وكذَّب بالقدر نقض التوحيد»[١].

ويُروى هذا الأثر بلفظ: «القدر نظام التوحيد؛ فمن وحَّد الله، وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحّد الله، وكذَّب بالقدر نقض توحيده»[٢].

٣ـ وقال ـ أيضاً ـ : «كل شيء بقدر حتى وضْعُكَ يَدَكَ على خدك»[٣].

٤ـ قال عكرمة[٤]: «سُئِل ابن عباس: كيف تَفَقَّدَ سليمانُ الهدهدَ من بين الطير؟

قال: إن سليمان ـ صلوات الله عليه ـ نزل منزلاً فلم يَدْرِ ما بُعْدُ الماء، وكان الهدهد مهندساً، قال: فأراد أن يسأله عن الماء ففقده.

قلت: وكيف يكون مهندساً؟ والصبي ينصب له الحبالة فيصيده؟

قال: إذا جاء القدر حال دون البصر»[٥].

---

(١) أخرجه الإمام عبدالله بن أحمد في السنة ٤٢٢/٢، والفريابي في القدر ص١٥٩ـ١٦٠، وكذا الآجري في الشريعة ص٢١٥.

(٢) وانظر مجموع الفتاوى ١١٣/٣، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٦٨١/٤.

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص٢٦.

(٤) هو العلامة المفسر أبو عبدالله القرشي مولاهم المدني البربري الأصل، قيل: كان لحصين بن أبي الحر العنبري فوهبه لابن عباس، حدث عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة وابن عمر وابن عمرو، وحدث عنه النخعي والشعبي ومات قبله، قيل لسعيد بن جبير: «تعلم أحداً أعلم منك، قال: نعم، عكرمة»، توفي سنة ١٠٥هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٢/٥ـ٣٧.

(٥) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة ٤١٢/٢.

٥ـ قال كعب بن زهير رضي الله عنه :

لو كنت أعْجَبُ من شيءلأعجبني سعيُ الفتى وهو مخبوءٌ له القدرُ

يسعى الفتى لأمورٍ ليس يدركها والنفسُ واحدٌ والهمُّ منتشر

والمرءُ ما عاش ممدودٌ له أمل لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر[١]

٦ـ قال الحسن[٢] رحمه الله : « إن الله خلق خلقاً ، فخلقهم بقدر ، وقسم الآجال بقدر ، وقسم أرزاقهم بقدر ، والبلاء والعافية بقدر » [٣].

٧ـ وقال ـ أيضاً ـ : « من كذب بالقدر فقد كذب بالإسلام » [٤].

٨ـ وقال في مرضه الذي مات فيه : « إن الله قدر أجلاً ، وقدر معه مرضاً ، وقدر معه معافاة ، فمن كذب بالقدرفقد كذب بالقرآن ، ومن كذب بالقرآن فقد كذب بالحق » [٥].

٩ـ وهذه أبيات جميلة للشافعي رحمه الله تبين حقيقة الإيمان بالقدر ، قال عنها

---

(١) ديوان كعب بن زهير ص٧٧.

(٢) هو الإمام الزاهد سيد التابعين في زمانه في البصرة أبو سعيد الحسن بن يسار البصري مولى الأنصار ، أبوه مولى زيد بن ثابت ، أمه خيرة مولاة أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ ولد بالمدينة سنة ٢١هـ ، وتوفي بمستهل رجب سنة ١١٠هـ. انظر وفيات الأعيان ٢/٧١ـ٧٢ ، الأعلام للزركلي ٢/٢٤٢.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/٦٨٢.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/٦٨٢.

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/٦٨٢.

الإمام ابن عبد البر[1] رحمه الله في (الانتقاء): «إنها من شعره الذي لا يختلف فيه، وهو أصح شيء عنه»[2].

وقال: «وهذه الأبيات من أثبت شيء في الإيمان بالقدر»[3].

والأبيات هي:

ومـا شـئتَ كـان وإن لم أشـأْ ... ومـا شـئتُ إن لم تـشأْ لم يكـنْ

خلقـتَ العبـاد علـى مـا علمـتَ ... وفي العلـم يجـري الفتـى والمسنْ

علـى ذا مننـتَ وهـذا خـذلتَ ... وهـذا أعنـت وذا لم تُعِـنْ

فمـنهم شـقيٌّ ومـنهم سـعيد ... ومـنهم قبـيح ومـنهم حـسنْ[4]

يقول: «وما شئت» أي أنت يا رب «كان» أي بأمرك لا محالة؛ لأن مشيئتك نافذة، و«إن لم أشأ» أنا أيها العبد، و «ما شئتُ» أنا «إن لم تشأ» يا رب «لم يكن»؛ لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئتك.

---

(١) هو أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر الأندلسي القرطبي المالكي المحدث الفقيه الثقة صاحب التمهيد والاستذكار والاستيعاب وبهجة المجالس وغيرها من المصنفات الماتعة، فهو ممن فُتح عليه في التصنيف والتأليف، توفي سنة ٤٦٣. انظر سير أعلام النبلاء ١٥٣/١٨، وشذرات الذهب لابن العماد ٣١٤/٣.

(٢) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبدالبر ص٨٠.

(٣) المصدر السابق ص٨١.

(٤) الانتقاء ص٨٠، وانظر الاعتقاد للبيهقي ص٨٨، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٧٠٢/٤، وديوان الشافعي ص١٣١-١٣٢، تحقيق د. محمد عبدالمنعم خفاجي.

«خلقت العباد على ما علمت» : أي حسب ما سبق من علمك الأزلي، «وفي العلم يجري الفتى والمسن» : أي بمقتضى هذا العلم السابق يجري ويعمل الصغير والكبير، ولا يخرج أحد عن ذلك.

«على ذا مننت» رحمةً وتفضلاً، «وهذا خذلت» حكمةً وعدلاً، «وهذا أعنت» بمنك وفضلك، «وذا لم تعن» بحكمتك وعدلك؛ «فمنهم شقي» ممن سبقت له الشقاوة، «ومنهم سعيد» ممن سبقت له الحسنى والسعادة، «ومنهم قبيح ومنهم حسن» فالله ـ عز وجل ـ هو الذي يصورهم في الأرحام كيف يشاء.

١٠ ـ قال الإمام أحمد رحمه الله : «القدر قدرة الله» [(١)].

قال ابن القيم[(٢)] تعليقاً على هذه الكلمة: «واستحسن ابن عقيل[(٣)] هذا

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٠٨/٨، وطريق الهجرتين لابن القيم ص١٧٠، وشفاء العليل ص٥٩.

(٢) هو الإمام الفقيه الأصولي المفسر النحوي الحافظ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي أبو عبدالله شمس الدين، ولد وتوفي في دمشق، ولد سنة ٦٩١هـ، وتوفي سنة ٧٥١هـ، سمع من جماعة من العلماء، وتتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية ولازمه، وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس، وله مؤلفات كثيرة منها: أعلام الموقعين، وشفاء العليل، والجواب الكافي، وإغاثة اللهفان، وغيرها. انظر طبقات الشافعية للسُبكي ٤٤/٦، والأعلام للزركلي ٢٨٠/٦.

(٣) هو أبوالوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي، فقيه أصولي، كان من أذكياء العالم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان ممن يعظم مذهب السلف إلا أن له تأثراً بمذهب أهل الكلام، ولد ببغداد سنة ٤٣١هـ، وقيل ٤٣٢هـ، وتوفي سنة ٥١٣هـ، وله كتاب الفنون الذي يقع في ثمانمائة مجلدة كما يقول ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة ١٥٦/١، وكان رحمه الله من ذوي الهمم العالية يقول: «وإني لأجد من =

الكلام جداً، وقال: هذا يدل على دقة علم أحمد وتَبَحُّره في معرفة أصول الدين.

وهو كما قال أبو الوفاء؛ فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الرب على خلق أعمال العباد، وكتابتها، وتقديرها» (١).

١١ـ وقال مطرِّف بن عبدالله(٢) رَحِمَهُ اللهُ: «ليس لأحد أن يصعد، فيلقي نفسه من شاهق، ويقول: قدَّر لي ربي، ولكن يحذر، ويجتهد، ويتقي؛ فإن أصابه شيء علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له» (٣).

١٢ـ قال المبرِّد(٤) عن أبي عثمان المازني(١) قال: «سُئل علي بن موسى الرضا:

= حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما أجده وأنا ابن عشرين سنة»، انظر طبقات الحنابلة لأبي يعلى ٢/٢٥٩، ودرء التعارض ٧/٣٤ـ٣٥، ٨/٦٠ـ٦١، ونقض المنطق ص١٣٩، ومنهاج السنة ١/٤٢٤، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ١/١٤٦ـ١٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/٤٤٣.

(١) شفاء العليل ص ٥٩ـ٦٠.

(٢) هو مطرف بن عبدالله بن الشخير الإمام القدوة الحجة أبو عبدالله الحرشي العامري البصري، حدث عن أبيه وعن عثمان وعلي وعمار وأبي ذر وعائشة وغيرهم ـ رضي الله عنهم ـ وحدث عنه الحسن البصري وثابت البناني ومحمد بن واسع وخلق كثير، وكان حكيماً واعظاً مجاب الدعوة، توفي سنة ٨٦هـ وقيل غير ذلك. انظر سير أعلام النبلاء ٤/١٨٧ـ١٩٥.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/١٩١.

(٤) هو محمد بن يزيد بن عبدالأكبر، وهو من ثُمالة ثم ينتهي إلى الأسد بن الغوث وهو الأزد فهو الثُمالي الأزدي البصري أبو العباس النحو اللغوي الأديب، ولد بالبصرة سنة ٢١٠هـ، كان إمام العربية ببغداد وإليه انتهى علمها بعد طبقة الجرمي والمازني، كان حسن المحاضرة فصيحاً بليغاً مليح الأخبار ثقة =

أَيُكَلِّف الله العباد ما لا يُطيقون؟ قال: هو أعدل من ذلك، قيل: فيستطيعون أن يفعلوا ما يريدون؟ قال هم أعجز من ذلك»[(٢)].

١٣ـ قال محمود الوراق[(٣)]:

ليس عندي إلا الرضا بقضاء اللّـ ـــه فيمــا أحببتُــه أو كرهتُــه

لـــوليِّ الأمـــور يختـــار منهـــا خيرَهـــا لـــي عواقبـــاً مـــا عرفتـــه

فــــأرى أن أردَّ ذاك إلى مـــــن عنـده العلـم الـذي قـد جهلتـه[(٤)]

١٤ـ وقال الآخر:

= فيما يرويه كثير النوادر فيه ظرافة ولباقة، وإنما لُقِّب بالمبرد لأنه لما صنَّفَ المازني كتاب «الألف واللام» سأله عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب فقال له المازني قم فأنت المبرد بكسر الراء أي المثبت للحق، فحرفه الكوفيون وفتحوا الراء، له كتب منها: الكامل، والروضة، معاني القرآن، وغيرها. كثير. انظر معجم الأدباء ٤٧٩/٥ـ٤٨٧.

(١) هو أبو عثمان بكر بن محمد بن حبيب بن بقيه من مازن شيبان من أئمة النحو البصريين، توفي بالبصرة سنة ٢٤٩هـ، له مؤلفات منها كتاب «ما تلحن فيه العامة»، يقول الطحاوي: سمعت القاضي ـ بكار بن قتيبة ـ يقول: ما رأيت نحوياً قط يُشبه الفقهاء إلا حيان ابن هرمه والمازني. انظر وفيات الأعيان ٢٨٣/١ـ٢٨٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٩١/١٩.

(٣) هو محمود بن الحسن الوراق، شاعر أكثر شعره في المواعظ والحكم والزهد، روى عنه أبو بكر ابن أبي الدنيا، وأبو العباس بن مسروق وغيرهما، ويُقال: إنه كان نخَّاساً يبيع الرقيق، مات في خلافة المعتصم. انظر تأريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي ١٠٢/١٥ـ١٠٣، وسير أعلام النبلاء ٤٦١/١١.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٦٩٣/٤.

مـا قـضى الله كـائنٌ لا محالـهْ   والـشقيُّ الجهولُ مـن لامَ حالَـهْ[1]

١٥ـ وقال الآخر:

اقنــعْ بمــا تــرزقُ يــا ذا الفتــى   فلـــيس ينـــسى ربُنـــا نملـــهْ

إن أقبــل الـــدهرُ فَقُـــمْ قائمـــاً   وإن تـــولى مـــدبراً نَـــمْ لَـــهْ[2]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٧٠.

(٢) المرجع السابق.

المبحث الرابع

مجمل الاعتقاد الحق في القدر، والواجب على العبد في هذا الباب

المطلب الأول: مجمل الاعتقاد الحق في القدر:

للسلف الصالح عناية في باب القدر تفصيلاً وإجمالاً، والحديث في هذا المبحث سيكون حول مجمل الاعتقاد الحق في القدر وذلك من خلال النقل عن إمامين عظيمين من أئمة السلف وهما الإمام الصابوني[1] والإمام ابن تيمية[2] ـرحمهما الله ـ.

---

(١) الصابوني: هو الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني النيسابوري الحافظ المفسر المحدث الفقيه الواعظ الملقب بـ: شيخ الإسلام، عاش في الفترة ـ ٣٧٣ـ٤٤٩ ـ ولد في بوشنج، وكان ذا ذكاء وعقل، وحسن إيراد للكلام ـ عربيه وفارسيه ـ وكان من أكابر المحدثين في عصره، وكان ذا تأله، وعفاف، وصيانة نفس، وكان ينظم الشعر أحياناً، وله عدد كبير من التلاميذ، وخلف العديد من المؤلفات، منها: عقيدة السلف وأصحاب الحديث، والأربعون حديثاً، وكتاب الانتصار، وكتاب الدعوات وغيرها. انظر معجم الأدباء لياقوت ١٦/٧ـ١٩، والوافي بالوفيات ١٤٣/٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١١٧/٣.

(٢) هو تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، ولد سنة ٦٦١هـ، وتوفي سنة ٧٢٨هـ.

الإمام الحبر، والعلامة البحر، فارس المنقول والمعقول، الذي دنت له قطوف العلوم، ودانت له نواصي الحكمة، والذي طبقت شهرته الخافقين، وسار بحديثه الركبان، فهو أمة في الخير، وقدوة في الهدى والتقى.

=

أولاً : أقوال الإمام الصابوني رحمه الله :

١ ـ قال رحمه الله :« ويشهدون ـ يعني أهل السنة ـ أنَّ الله ـ تعالى ـ يهدي من يشاء لدينه ، ويُضل من يشاء عنه ، لا حجة لمن أضله عليه ، ولا عذر لديه.

قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ سورة الأنعام :١٤٩.

وقال : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ سورة السجدة :١٣.

سبحانه خلق الخلق بلا حاجة إليهم ، فجعلهم فريقين : فريقاً للنعيم فضلاً ، وفريقاً للجحيم عدلاً ، وجعل منهم غوياً ورشيداً ، وشقياً وسعيداً ، وقريباً من

= والحديث عن جوانب النبوغ والألمعية في سيرة هذا الإمام يطول ، والمقام لا يتسع للإسهاب ، والإطناب ، لأن جوانب العظمة في شخصيته كثيرة جداً يصعب حصرها ، والوقوف عليها.

قال الحافظ البزار :« أما غزارة علومه فمنها ذكر معرفته بعلوم القرآن المجيد ، واستنباطه لدقائقه ، ونقله لأقوال العلماء في تفسيره ، واستشهاده بدلائله ، وما أودعه الله ـ تعالى ـ فيه من عجائبه ، وفنون حكمه ، وغرائب نوادره ، وباهر فصاحته ، وظاهر ملاحته ، فإنه فيه الغاية التي ينتهى إليها والنهاية التي يعول عليها » . الأعلام العلية للبزار ٢٢ـ٢٣.

وكان رحمه الله مضرب المثل في الزهد والتواضع والخلق والعفو والصفح والعبادة والكرم والشجاعة.

وله مؤلفات كثيرة منها : مجموع الفتاوى ، ودرء تعارض العقل والنقل ، ومنهاج السنة النبوية ، والصارم المسلول.

انظر الأعلام العلية للبزار ، والشهادة الزكية لمرعي الكرمي الحنبلي ، والجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الشيخ محمد عزير شمس ، والشيخ علي العمران إشراف وتقديم الشيخ بكر أبو زيد.

رحمته وبعيداً ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ »[(١)].

٢ـ وقال رحمه الله :« يشهد أهل السنة ، ويعتقدون أنَّ الخيرَ والشرَ والنفعَ والضرَّ بقضاء الله وقدره لا مردَّ لها ، ولا محيص ولا محيد عنها لا يصيب المرء إلا ما كتبه ربه ، ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يقضه لم يَقْدروا »[(٢)].

٣ـ وقال رحمه الله :« ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله ـ عز وجل ـ مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها ، ولم يؤمن أحدٌ إلا بمشيئة الله ، ولو شاء لجعل الناس أمةً واحدةً ، ولو شاء ألا يعصى ما خلق إبليس؛ فكفر الكافرين ، وإيمان المؤمنين بقضائه ـ سبحانه وتعالى ـ وقَدَرِه وإرادته ومشيئته ، أراد كلَّ ذلك وشاءه وقضاه.

ويرضى الإيمان والطاعة ، ويسخط الكفر والمعصية.

قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ .... ﴾ سورة الزمر : ٧ »[(٣)].

ثانياً : أقوال الإمام ابن تيمية رحمه الله :

١ـ سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله سؤالاً عن القدر ، فأجاب عنه إجابة مطولة ، ضمنها مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في هذا الباب ، ومما قاله :

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص٢٨٠.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص٢٨٤.

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص٨٥ـ٨٦.

«مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وهو أن الله خالق كل شيء، وربه، ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها، من أفعال العباد، وغير أفعال العباد.

وأنه ـ سبحانه ـ ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته، وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه، وأنه ـ سبحانه ـ يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وقد دخل في ذلك أفعال العباد، وغيرها، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم؛ قدر آجالهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة، وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون» [(١)].

٢ـ إلى أن قال: «وسلف الأمة وأئمتها متفقون ـ أيضاً ـ على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به، منهيون عما نهاهم عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده، ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة، ومتفقون على أنه لا حجة لأحد

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨/٤٤٩ـ٤٥٠.

على الله في واجب تركه، ولا محرم فعله، بل لله الحجة البالغة على عباده»[١].

٣ـ وقال: «ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ـ مع إيمانهم بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء ـ أن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بمشيئتهم، وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، مع قولهم: إن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ، فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ، وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ سورة المدثر: ٥٤ـ٥٦.[٢]

المطلب الثاني: الواجب على العبد في هذا الباب:

الواجب على العبد في هذا الباب أن يُؤمن بقضاء الله، وقدره، وأن يُؤمن بشرع الله، وأمره، ونهيه، فعليه تصديق الخبر، وطاعة الأمر[٣].

فإذا أحسن حَمِدَ الله، وإذا أساء استغفر الله، وعلم أن ذلك كله بقضاء الله وقدره؛ فإن آدم ـ عليه السلام ـ لما أذنب تاب، فاجتباه ربه وهداه، وإبليس أصرَّ واحتج فلعنه الله وأقصاه، فمن تاب كان آدمياً، ومن أصرَّ واحتج بالقدر صار إبليسياً، فالسعداء يتبعون أباهم، والأشقياء يتبعون عدوهم إبليس[٤].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨/٤٥٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٨/٤٥٢.

(٣) انظر جامع الرسائل لابن تيمية ٢/٣٤١، وانظر درء تعارض العقل والنقل ٨/٤٠٥.

(٤) انظر مجموع الفتاوى ٨/٦٤، وطريق الهجرتين ١٧٠.

«وبالمراعاة الصحيحة لقدر الله، وشرعه، يصير الإنسان عابداً ـحقيقةـ فيكون مع الذين أنعم الله عليهم من أنبياء، وصديقين، وشهداء، وصالحين، وكفى بهذه الصحبة غبطة وسعادة» [1].

وبالجملة فعليه أن يؤمن بمراتب القدر الأربع السابقة، وأنه لا يقع شيء إلا وقد علمه الله، وكتبه، وشاءه، وخلقه، ويؤمن ـ أيضاً ـ بأن الله أمر بطاعته، ونهى عن معصيته، فيفعل الطاعة، ويترك المعصية، فإذا وفقه الله لفعل الطاعة وترك المعصية فليحمد الله، وليستمر على ذلك، وإن خُذِل ووُكل إلى نفسه فَفَعَل المعصية، وترك الطاعة فعليه أن يستغفر ويتوب.

ثم إن على العبد ـ أيضاً ـ أن يسعى في مصالحه الدنيوية، ويسلك الطرق الصحيحة الموصلة إليها، فيضرب في الأرض، ويمشي في مناكبها، فإن أتت الأمور على ما يريد حمد الله، وإن أتت على خلاف ما يريد تعزى بقدر الله، وعلم أن ذلك كله واقع بقدر الله ـ عز وجل ـ وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

«وإذا علم العبد من حيث الجملة أن لله فيما خلق وما أمر به حكمة عظيمة كفاه هذا، ثم كلما ازداد علماً وإيماناً ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يبهر

---

(١) التحفة المهدية في شرح الرسالة التدمرية، للشيخ فالح بن مهدي ٢/١٤٠، وانظر التدمرية ص٢١٨ و ٢٢٨ـ٢٢٩، وانظر تقريب التدمرية، للشيخ ابن عثيمين ١١٩.

عقله، ويبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه »[1].

ولا يلزم كل أحد أن يعلم تفاصيل الحديث عن الإيمان بالقدر، بل يكفي هذا الإيمان المجمل، فأهل السنة والجماعة ـ كما هو مقرر عندهم ـ لا يوجبون على العاجز ما يجب على القادر.

هذا ـ ولله الحمد ـ مقتضى الأدلة الشرعية، والفطرية، والعقلية، والحسية، لا تناقض فيه، ولا لبس.

---

(١) مجموع الفتاوى ٩٧/٨.

الفصل الثاني

ما يتضمنه الإيمان بالقدر

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مراتب القدر وأركانه، وخلق أفعال العباد

المبحث الثاني: أقسام التقدير

المبحث الثالث: الإرادة الربانية

المبحث الأول

مراتب القدر وأركانه[1]، وخلق أفعال العباد

الإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان تُسمى مراتب القدرأوأركانه، وهي المدخل لفهم باب القدر، ولا يتم الإيمان به إلا بتحقيقها كلها؛ فبعضها مرتبط ببعض، فمن أقر بها جميعاً اكتمل إيمانه بالقدر، ومن انتقص واحداً منها أو أكثر اختل إيمانه بالقدر، وهذه الأركان هي:

١ـ العلم. ٢ـ الكتابة.

٣ـ المشيئة. ٤ـ الخلق.

وقد نظمها بعضهم بقوله:

عِلْـمٌ كِتابـةُ مولانـا مـشيئَتُهُ وخَلْقُـهُ وهـو إيجـادٌ وتكـوينُ

المرتبة الأولى: العلم: وهو الإيمان بأن الله عالم بكل شيء جملة وتفصيلاً،

---

(1) انظر تفاصيل الحديث عن هذه المراتب في العقيدة الواسطية مع شرحها، الروضة الندية، للشيخ زيدبن فياض، ص٣٥٣، والتنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة للشيخ ابن سعدي مع تعليقات سماحة الشيخ ابن باز ٧٥ـ٨٠، وانظر شفاء العليل٦١ـ١١٦، ومعارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي ٢/٢٢٥ـ٢٣٨، وأعلام السنة المنشورة، للحكمي أيضاً ص١٢٦ـ١٢٩، ورسائل في العقيدة، للشيخ ابن عثيمين ص ٣٧، وتقريب التدمرية، لابن عثيمين، ص١٠٨ـ١٠٩، والقضاء والقدر، د. عمر الأشقر، ص٢٩ـ٣٦، وشرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح الفوزان ص١٥٠إلى١٥٦، وخلاصة معتقد أهل السنة، للشيخ عبدالله بن سليمان المشعلي ص٢٩ـ٣٠.

أزلاً، وأبداً، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله، أو بأفعال عباده؛ فعلمه محيط بما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

ويعلم الموجود، والمعدوم، والممكن، والمستحيل، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

وقد عَلِمَ جميع خلقه قبل أن يخلقهم، فعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وجميع حركاتهم، وسكناتهم، وأهل الجنة، وأهل النار.

وهذه المرتبة ـ وهي العلم السابق ـ اتفق عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم، واتفق عليها جميع الصحابة، ومن تبعهم من هذه الأمة، وخالفهم مجوسُ هذه الأمة ـ القدرية الغلاة ـ[1].

والأدلة على هذه المرتبة من القرآن الكريم والسنة المطهرة كثيرة جداً منها:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ سورة الحشر: ٢٢.

أي عالم ما غاب من الإحساس وما حضر، وقيل: عالم السر والعلانية، وقيل: ما كان وما يكون، وقيل: الآخرة والدنيا.

وقدم الغيب على الشهادة؛ لكونه متقدماً وجوداً[2].

---

(١) انظر شفاء العليل ص٦١.

(٢) انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ٢٥١/٥، ط دار الكتب.

٢ـ قوله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة : ٣٠.

قيل : إنه علم من إبليس المعصية وخلقه لها[١].

وقيل : كان علمه أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة[٢].

٣ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ سورة الجاثية : ٢٣.

قال ابن عباس : «علم ما يكون قبل أن يخلقه.

وقال ـ أيضاً ـ : على علم قد سبق عنده.

وقال ـ أيضاً ـ : يريد الأمر الذي سبق له في أم الكتاب»[٣].

٤ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ سورة الأنعام : ٢٨.

فهذا إضلال ناشئ عن علم الله السابق في عبده أنه لا يصلح للهدى ، ولا يليق به ، وأن محله غير قابل له؛ فالله أعلم حيث يضع هداه وتوفيقه كما هو أعلم حيث يجعل رسالته[٤].

---

(١) هذا القول لمجاهد بن جبر. انظر شفاء العليل ص٦١.

(٢) هذا القول لقتادة بن دعامة السدوسي. انظر شفاء العليل ص٦١.

(٣) انظر شفاء العليل ص٦٢.

(٤) انظر شفاء العليل ص٦٥.

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، ومنها:

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ سورة الأنعام: ٥٩.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً﴾ سورة التوبة: ٤٧.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ سورة الأنفال: ٣٢.

وأما من السنة فمن ذلك ما يلي:

١ـ روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: سُئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[1].

قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: «قال ابن قتيبة[2]: معنى قوله «الله أعلم بما كانوا عاملين»: أي لو أبقاهم؛ فلا تحكموا عليهم بشيء، وقال غيره: أي علم أنهم لا يعملون شيئاً، ولا يرجعون فيعملون، أو أَخْبَرَ بعلم شيء لو

---

(١) البخاري (٦٥٩٧).

(٢) هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري، خطيب أهل السنة، من أئمة العلم والأدب، ومن المصنفين المكثرين، ولي قضاء الدنيور مدة، فنُسب إليها، وتوفي ببغداد سنة ٢٧٦هـ، ومن كتبه: تأويل مختلف الحديث، وتأويل مشكل القرآن، وأدب الكاتب، والشعر والشعراء، وعيون الأخبار، والمعارف. انظر وفيات الأعيان ٢٥١/١، والأعلام ١٣٧/٤.

وجد كيف يكون مثل قوله ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا ﴾[(١)].

٢ـ قال ﷺ : «ما منكم من نفس إلا وقد عُلم منزلها من الجنة والنار»[(٢)].

المرتبة الثانية : الكتابة : وهي الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ.

وقد أجمع الصحابة، والتابعون، وجميع أهل السنة والحديث على أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب[(٣)]، التي هي اللوح المحفوظ، والذكر، والإمام المبين، والكتاب المبين.

والأدلة على هذه المرتبة كثيرة من الكتاب والسنة منها :

١ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ سورة الحج : ٧٠.

فما كتبه الله ـ عز وجل ـ وأثبته عنده كان في علمه قبل أن يكتبه، ثم كتبه كما في علمه، ثم وُجِدَ كما كتبه ـ عز وجل ـ[(٤)].

٢ـ قوله ـتعالىـ: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ سورة يس **١٢**.

قوله : «وكل شيء» أي من الأعمال والنيات وغيرها.

«أحصيناه في إمام مبين» أي في كتاب هو أم الكتاب، وإليه مرجع الكتب التي

---

(١) فتح الباري ٣/٢٤٧.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٤٧).

(٣) انظر شفاء العليل ص٨٩.

(٤) انظر شفاء العليل ص٧٤.

تكون بأيدي الملائكة، وهو اللوح المحفوظ[١].

٣ـ قوله: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ سورة التوبة: ٥١.

أي ما قدره الله، وأجراه في اللوح المحفوظ[٢].

٤ـ قال ـ سبحانه ـ عن موسى ـ عليه السلام ـ دعاءه: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ سورة الأعراف: ١٥٦.

أي من علم نافع، ورزق واسع، وعمل صالح[٣].

٥ـ وقال ـ تعالى ـ عن محاجة موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لفرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ سورة طه: ٥١ـ٥٢.

أي قد أحصى أعمالهم من خير وشر، وكتبه في كتابه، وهو اللوح المحفوظ، وأحاط به علماً وخُبْراً؛ فلا يضل عن شيء منها، ولا ينسى ما علمه منها[٤].

٦ـ وقال ـ عز وجل ـ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾ سورة الأنبياء: ١٠٥.

أي كتبنا في الكتاب المزبور، والمراد: الكتب المنزلة كالتوراة ونحوها «من بعد

---

(١) انظر شفاء العليل ص٨٦، وتفسير السعدي ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ ٣٣٧/٦.

(٢) انظر تفسير السعدي ٢٤٦/٣.

(٣) انظر فتح القدير ٣٠٦/٢، وتفسير السعدي ٩٨/٣.

(٤) انظر تفسير السعدي ١٦٣/٥.

الذكر» أي كتبناه في الكتب المنزلة بعدما كتبنا في الكتاب السابق، وهو اللوح المحفوظ، وأم الكتاب الذي توافقه جميع التقادير المتأخرة عنه[١].

٧ـ وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَوْلا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ سورة الأنفال:٦٨.

أي سبق به القضاء والقدر أنه قد أحل لكم الغنائم، وأن الله قد رفع عنكم ـ أيتها الأمة ـ العذاب «لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم»[٢].

وأما السنة فمن ذلك ما يلي:

١ـ روى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»[٣].

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير؛ فإن ذلك أزلي لا أول له»[٤].

وقوله: «وعرشه على الماء» أي قبل خلق السماوات والأرض والله أعلم».

٢ـ قال النبي ﷺ: «ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله

(١) انظر شفاء العليل ص٨٤، والدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، ط دار الكتب العلمية ٤/٦١١ـ٦١٣، وتفسير السعدي ٥/٢٦٦ـ٢٦٧.

(٢) انظر تفسير السعدي ٢/١٩٠ـ١٩١.

(٣) مسلم (٢٦٥٣).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/٢٠٣.

مكانها من الجنة أو النار، إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة»[(١)].

المرتبة الثالثة: المشيئة: وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة، ولا سكون، ولا هداية، ولا إضلال إلا بمشيئته.

«وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقل والبيان»[(٢)].

والنصوص الدالة على هذا الأصل كثيرة جداً من الكتاب والسنة، منها:

١ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ سورة القصص: ٦٨.

في هذه الآية دليل على عموم خلقه ـ تعالى ـ لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريات، وانفراده ـ عز وجل ـ باختيار من يختاره ويختصه من الأشخاص، والأوامر، والأزمان، والأماكن، وأن أحداً ليس له من الأمر والاختيار شيء[(٣)].

٢ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة التكوير: ٢٩.

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٢ و ٤٩٤٥ و ٤٩٤٦ و ٦٢١٧ و ٧٥٥٢) ومسلم (٢٦٤٧).

(٢) شفاء العليل ص٩٢.

(٣) انظر شفاء العليل ص٦٦، وتفسير السعدي ٦/٥٢.

٣ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً، إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ سورة الكهف: ٢٣ـ٢٤.

٤ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ الْمَلائِكَةَ وكَلَّمَهُمْ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إلاَّ أَنْ يَشَاءَ الله ﴾ سورة الأنعام: ١١١.

٥ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ الأنعام: ٣٩.

ومن الأدلة من السنة ما يلي:

١ـ قال ﷺ: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يُصَرِّفه حيث يشاء»[1].

٢ـ وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل، أو طلبت إليه حاجة ـ قال: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء»[2].

ومشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان، وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن، ولا هو كائن، فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ كونه فإنه لا يكون؛ لعدم مشيئته له، لا لعدم قدرته عليه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ البقرة: ٢٥٣.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٥)

(٢) رواه البخاري (٧٤٧٦)، ومسلم (٢٦٢٧)

فعدم اقتتالهم ليس لعدم قدرة الله، ولكن لعدم مشيئته ذلك، ومثله قوله ـتعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ سورة الأنعام: ٣٥، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ سورة الأنعام: ١٠٧، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾ سورة يونس: ٩٩[1].

المرتبة الرابعة: الخلق: وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، وبأن كل من سوى الله مخلوق مُوْجَدٌ من العدم، كائن بعد أن لم يكن.

وهذه المرتبة دلت عليها الكتب السماوية، وأجمع عليها الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ واتفقت عليها الفطر القويمة، والعقول السليمة[2]، والأدلة على هذه المرتبة لا تكاد تحصرمنها:

١ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ سورة الزمر: ٦٢.

٢ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ سورة الأنعام: ١.

٣ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ الملك: ٢.

٤ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ

---

(١) انظر كتاب الصفدية، لابن تيمية ٢/١٠٩، وشفاء العليل ص٩٧ـ١٠٤.

(٢) انظر شفاء العليل ص١٠٨.

وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ سورة النساء : ١.

٥ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ سورة الأنبياء : ٣٣.

٦ـ قال ـ سبحانه ـ: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ سورة فاطر : ٣.

ومن الأدلة من السنة ما يلي :

١ـ أخرج البخاري في خلق أفعال العباد عن حذيفة ﵁ قال : قال النبي ﷺ : « إن الله يصنع كل صانع وصنعته » [1].

٢ـ وعن زيد بن أرقم ﵁ قال : لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول ، كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ، والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها ، وزكِّها أنت خير من زكَّها ، أنت وليها ومولاها » [2].

والشاهد من ذلك قوله ﷺ « اللهم آت نفسي تقواها ، وزكِّها... » فالفاعل هو الله ـ تعالى ـ فهو الذي يطلب منه ذلك.

٣ـ عن ورَّاد مولى المغيرة بن شعبة قال : كتب معاوية إلى المغيرة : اكتب إلي ما سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة ، فأملى عليَّ المغيرة ، قال : سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، اللهم لا مانع لما

---

(١) خلق أفعال العباد للبخاري ص٢٥.

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٢)

أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[1].

والشاهد من ذلك قوله: «اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت»، فالمعطي والمانع هو الله ـ تعالى ـ فهو الفاعل لذلك، وهذا يدل على أنَّ الخالق هو الله ـ عز وجل ـ[2].

مسألة خلق أفعال العباد:

أفعال العباد داخلة في عموم خلقه ـ تعالى ـ ولا يخرجها شيء من عموم قوله ـ تعالى ـ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ سورة الزمر: **٦٢**، وإنما أفردت هنا لوقوع اللبس فيها.

وخلاصة القول في هذه المسألة: أفعال العباد كلَّها من الطاعات، والمعاصي، داخلةٌ في خلق الله، وقضائه، وقدره؛ فقد علم الله ـ عز وجل ـ ما سيخلقه في عباده، وعلم ما هم فاعلون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وخلقهم الله كما شاء، ومضى فيهم قدره، فعملوا على النحو الذي شاءه فيهم، وهدى الله من كتب لهم السعادة، وأضل من كتب عليهم الشقاوة، وعلم أهل الجنة ويسرهم لعمل أهلها، وعلم أهل النار ويسرهم لعمل أهلها.

فأفعال العباد هي من الله خلقاً وإيجاداً وتقديراً، وهي من العباد فعلاً وكسباً، فالله هو الخالق لأفعالهم، وهم الفاعلون لها، فنؤمن بجميع نصوص الكتاب

---

(١) رواه البخاري (٦٦١٥)

(٢) انظر «القضاء والقدر» د. عبدالرحمن المحمود ص٨٠.

والسنة الدالة على شمول خلق الله، وقدرته على كل شيء من الأعمال والأوصاف، كما نؤمن بنصوص الكتاب والسنة الدالة على أن العباد هم الفاعلون حقيقةً للخير والشر، وعلى هذا اتفق أهل السنة والجماعة(١).

والنصوص التي مرت بنا في المرتبة الرابعة من مراتب القدر تدل على ذلك، وهناك أدلة أصرح في الدلالة على هذه المسألة كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ سورة الصافات: ٩٦.

قال المفسرون: في معنى ﴿ما﴾ في الآية وجهان:

«**أحدهما:** أن تكون بمعنى المصدر؛ فيكون المعنى: والله خلقكم وعملكم.

والثاني: بمعنى الذي؛ فيكون المعنى، والله خلقكم وخلق الذي تعملونه

---

(١) انظر المسائل والرسائل، للإمام أحمد بن حنبل ١٤٧/١ـ١٥٠، والإبانة للأشعري ص١٠٧ـ١٣٠، ورسالة الثغر للأشعري ص٧٥، ٧٨، ٨٣، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، لابن قتيبة ص٢١ـ٢٣، عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني ص٢٧٩ـ٢٨٠، والفرق بين الفرق للبغدادي ص١١٥، وأصول الدين للبغدادي ص١٣٤ـ١٣٧، والدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم ص٢٩٩ـ٣٠٠، والاعتقاد للبيهقي ٧٣وانظر لمعة الاعتقاد لابن قدامه ٢١، والنبوات لابن تيمية ص٤٣٧، ودرء تعارض العقل والنقل ٨٥/١ـ٨٦، ومنهاج السنة ٢٩٨/٢، ١١٢/٣، ١٢٨، ١٢٩، وشفاء العليل ص١٠٨ـ١٤٠، وشرح قصيدة ابن القيم النونية لابن عيسى ١٣٥/٢، وانظر المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ابن سعدي ٦٥/٣، والقضاء والقدر، لعمر الأشقر ص٣٧، وانظر كتاب القاضي أبي يعلى وكتاب مسائل الإيمان، دراسة وتحقيقاً، لسعود بن عبدالعزيز الخلف، ص٩٨ـ٩٩، وانظر العقيدة الواسطية بتعليق الشيخ ابن مانع ص٥٠ـ٥١، ومعارج القبول ٢٣٨/٢ـ٢٤٠، والتعليقات على لمعة الاعتقاد للشيخ ابن جبرين ٦١ـ٦٤، ولمعة الاعتقاد بشرح ابن عثيمين ص٩٥.

بأيديكم من الأصنام.

وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله»[(١)].

وبعد بيان الحق في مسألة خلق أفعال العباد ينتهي الحديث في هذا المبحث عن مراتب القدر الأربع التي لا يتم الإيمان بالقدر إلا بها.

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٧٠/٧، وانظر جامع البيان، لابن جرير الطبري ٧٥/١٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥/٤، وانظر خلق أفعال العباد للبخاري ص٢٦، وشفاء العليل ص١١٥-١١٧.

المبحث الثاني

أقسام التقدير[1]

يمكن تقسيم التقدير باعتبار نسبته إلى الله ـ عز وجل ـ إلى خمسة أقسام، وهي كما يلي:

١ ـ التقدير العام: وهو تقدير الرب لجميع الكائنات، بمعنى علمه بها، وكتابته لها، ومشيئته، وخلقه لها.

ويدل على هذا النوع أدلة كثيرة منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سورة الحج: ٧٠.

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»[2].

٢ـ التقدير البشري[3]: وهو التقدير الذي أخذ الله فيه الميثاق على جميع البشر

(١) انظر أعلام السنة المنشورة ص١٢٩ـ١٣٣، وتعليق سماحة الشيخ ابن باز على الواسطية ص٧٨ـ٨٠.

(٢) رواه مسلم: (٢٦٥٣).

(٣) يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله عن هذا التقدير: «التقدير البشري داخل في التقدير العام؛ ولهذا أعرض عنه أبو العباس ابن تيمية رحمه الله في العقيدة الواسطية، وأكثر أهل العلم فيما أعلم»؟

بأنه ربهم، وأشهدهم على أنفسهم بذلك، والذي قدر الله فيه أهل السعادة وأهل الشقاوة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ سورة الأعراف: ١٧٢.

وعن هشام بن حكيم أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أَتُبْدَأُ الأعمال أم قد قُضِيَ القضاء؟ قال رسول الله ﷺ: «إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه فقال: هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار؛ فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار» (١).

٣ـ التقدير العمري: وهو تقدير كل ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله، وكتابةُ شقاوته، أو سعادته.

وقد دل على ذلك حديث الصادق المصدوق في الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعاً: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل المَلَك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة بتحقيق الشيخ الألباني ٧٣/١، وقال الألباني: «إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات، والسيوطي في الدر المنثور ٦٠٤/٣ وقال: أخرجه ابن أبي جرير والبزار والطبراني والآجري في الشريعة، وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات».

بأربع كلمات، بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيٌّ أو سعيدٌ»[(١)].

٤ـالتقدير السنوي: وذلك في ليلة القدر من كل سنة، ويدل عليه قوله ـتعالى ـ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ سورة الدخان: ٤، وقوله: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ سورة القدر: ٤ـ٦.

قيل: يكتب فيها ـ أي هذه الليلة ـ ما يحدث في السنة من موت وحياة، وعز وذل، ورزق ومطر، حتى الحجاج يُقال: يحج فلان، ويحج فلان.

رُوي هذا عن ابن عمر، وابن عباس، وكذا الحسن وسعيد ابن جبير[(٢)(٣)].

٥ـالتقدير اليومي: ويدل عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ سورة الرحمن: ٢٩.

قيل في تفسيرها: شأنه أن يُعِزَّ ويُذِل، ويرفع ويخفض، ويُعطي ويمنع، ويُغني ويُفقر، ويُضحِكَ ويُبكي، ويُميت ويُحيي، إلى غير ذلك[(٤)].

---

(١) رواه البخاري(٣٢٠٨ و ٣٣٣٢ و ٦٥٩٤ و ٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣)، وابن ماجه (٧٦).

(٢) هو سعيد بن جبير بن هشام الإمام التابعي الحافظ المقرئ أبو محمد ويُقال: أبو عبدالله الأسدي الوالبي بالولاءِ الكوفيُّ أحد الأعلام، روى عن بعض الصحابة كابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد وعائشة ـ رضي الله عنهم ـ قرأ القرآن على ابن عباس وحدَّث عنه أبو صالح السمَّان وعطاء ابن السائب والزهري وخلق كثير، كان فقيهاً عابداً فاضلاً ورعاً وكان لا يدع أحداً يغتاب عنده، وكان يحرم في كل سنة مرتين مرةً للحج ومرةً للعمرة، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ، وعمره ٤٩سنة. انظر سير أعلام النبلاء ٢١٣/٤.

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٣٣٨/٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤٠/٤، وفتح القدير للشوكاني ٥٧٢/٤، وانظر أعلام السنة المنشورة ص١٢٩ـ١٣٣.

(٤) انظر زاد المسير ١١٤/٨، وتفسير القرآن العظيم ٢٧٥/٤، وفتح القدير ١٣٦/٥.

المبحث الثالث

الإرادة الربانية

تنقسم الإرادة الربانية إلى قسمين:

١-إرادة كونية قدرية: وهي مرادفة للمشيئة، وهذه الإرادة لا يخرج عن مرادها شيء؛ فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء؛ فالطاعات، والمعاصي، كلها بمشيئة الرب، وإرادته.

ومن أمثلتها قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ﴾ سورة الرعد: ١١، وقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ سورة الأنعام: ١٢٥.

٢-إرادة شرعية دينية: وتتضمن محبة الربّ، ورضاه.

ومن أمثلتها قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ سورة البقرة: ١٨٥، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ سورة النساء: ٢٧، وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ سورة المائدة: ٦[١].

(١) انظر منهاج السنة النبوية ٣/١٥٦-١٥٧، والاستقامة ١/٤٣٣، وانظر تعليق الشيخ ابن باز على الواسطية ص٤١.

الفرق بين الإرادتين[1] : بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية فروق تُميز كلَّ واحدة منهما عن الأخرى ، ومن تلك الفروق ما يلي :

١ ـ الإرادة الكونية قد يحبها الله ويرضاها ، وقد لا يحبها ولا يرضاها.

أما الشرعية فيحبها الله ويرضاها؛ فالكونية مرادفة للمشيئة ، والشرعية مرادفة للمحبة.

٢ـ الإرادة الكونية قد تكون مقصودة لغيرها كخلق إبليس مثلاً ، وسائر الشرور؛ لتحصل بسببها محابّ كثيرة ، كالتوبة ، والمجاهدة ، والاستغفار.

أما الشرعية فمقصودة لذاتها؛ فالله أراد الطاعة وأحبها ، وشرعها ، ورضيها لذاتها.

٣ـ الإرادة الكونية لابد من وقوعها؛ فالله إذا شاء شيئاً وقع ولابد ، كإحياء أحد أو إماتته ، أو غير ذلك.

أما الشرعية كالإسلام ـ مثلاً ـ فلا يلزم وقوعها ، فقد تقع وقد لا تقع ، ولو كان لابد من وقوعها لأصبح الناس كلهم مسلمين.

٤ـ الإرادة الكونية متعلقة بربوبية الله وخلقه ، أما الشرعية فمتعلقة بألوهيته وشرعه.

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية ٣/١٨٠ـ١٨٣ ، ٥/٣٦٠ و٤١٣ و٤١٤ و٧/٧٢، ٧٣، وانظر شفاء العليل ص٥٥٧ ، ومدارج السالكين ١/٢٦٤ـ٢٦٨ ، وتنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة ، للشيخ ابن سحمان ص٦١ـ٦٢ ، وتعليق الشيخ ابن باز على الواسطية ص٤١ ، وشرح الواسطية للهراس ص١٠٠ ، وشرح الواسطية للشيخ صالح الفوزان ص٤٢ـ٤٣ ، والقضاء والقدر للأشقر ص١٠٦٢ ، والتعليقات على لمعة الاعتقاد للشيخ عبدالله بن جبرين ص٦٠ـ٦١.

٥ـ الإرادتان تجتمعان في حق المطيع، فالذي أدى الصلاة ـ مثلاً ـ جمع بينهما؛ وذلك لأن الصلاة محبوبة لله، وقد أمر بها، ورضيها، وأحبها، فهي شرعية من هذا الوجه، وكونها وقعت دلَّ على أنَّ الله أرادها كوناً؛ فهي كونية من هذا الوجه؛ فمن هنا اجتمعت الإرادتان في حق المطيع.

وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي، فكونها وقعت فهذا يدلُّ على أن الله شاءها؛ لأنه لا يقع شيء إلا بمشيئته، وكونها غير محبوبة ولا مرضية لله دليل على أنها كونية لا شرعية.

وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر، وطاعة العاصي، فكونها محبوبة لله فهي شرعية، وكونها لم تقع ـ مع أمر الله بها ومحبته لها ـ هذا دليل على أنها شرعية فحسب؛ إذ هي مرادة محبوبة لم تقع.

٦ـ الإرادة الكونية أعمّ من جهة تعلّقها بما لا يحبه الله ولا يرضاه، من الكفر والمعاصي، وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر، وطاعة الفاسق.

والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به، واقعاً كان أو غير واقع، وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به.

هذه فوارق بين الإرادتين، فمن عرف الفرق بينهما سلم من شُبهات كثيرة، زلَّت بها أقدام، وضلَّت بها أفهام، فمن نظر إلى الأعمال الصادرة عن العباد بهاتين العينين كان بصيراً، ومن نظر إلى الشرع دون القدر أو العكس كان أعور[1].

---

(١) انظر الاستقامة لابن تيمية ٧٨/٢.

نماذج لأمور شرعية وكونية:

كما أن الإرادة منها ما هو كوني قدري، ومنها ما هو شرعي ديني ـ فكذلك الكتابة، والأمر، والإذن، والجعل، والكلمات، والبعث، والإرسال، والتحريم، والإيتاء، والكره، ونحوها، كل هذه الأمور منها ما هو شرعي ومنه ما هو كوني.

فمن أمثلة الكتابة الكونية قوله ـ تعالى ـ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ سورة المجادلة: ٢١، ومن أمثلة الكتابة الشرعية قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ﴾ سورة البقرة: ١٨٣، والأمر الكوني قوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ سورة القمر: ٥٠، والشرعي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ سورة النحل: ٩٠، والإذن الكوني قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ سورة البقرة: ١٠٢، والشرعي قوله: ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ سورة يونس: ٥٩ وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ سورة الشورى: ٢١، والجعل الكوني قوله: ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ سورة الأنعام: ١٢٥، والشرعي: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ﴾ سورة المائدة: ١٠٣، أما قوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ سورة المائدة: ٩٧، فهذا يتناول الأمرين، فإن الله جعلها كذلك بقدره وبشرعه.

وكذلك الكلمات منها ما هو كوني كقوله: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ سورة يونس: ٣٣، ومنها الشرعي كقوله:

﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ سورة التوبة: ٦، واجتمع النوعان في قوله ـتعالى ـ: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ سورة التحريم: ١٢، وكذلك البعث منه الكوني كقوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا﴾ سورة الإسراء: ٥، والشرعي كقوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ سورة البقرة: ٢١٣، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ﴾ سورة الجمعة: ٢، وكذلك الإرسال منه الكوني كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾ سورة الأعراف: ٥٧، ومنه الديني كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ سورة الصف: ٩، والتحريم الكوني كقوله: ﴿وحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ سورة القصص: ١٢، والشرعي: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً﴾ سورة المائدة: ٩٦، والإيتاء الكوني كقوله: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ سورة البقرة: ٢٤٧، والديني كقوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ سورة البقرة: ٩٣، وقوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ سورة البقرة: ٢٦٩، يشمل النوعين؛ فإنه يؤتيهما أمراً وديناً وتوفيقاً وإلهاماً.

والكره ـ كذلك ـ منه ما هو كوني كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ سورة التوبة: ٤٦، ومنه ما هو شرعي كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾ سورة الإسراء: ٣٨.

والفروق بين هذه الأمور ـ من جهة أن منها ما هو شرعي ديني، ومنها ما هو كوني قدري ـ كالفروق بين الإرادتين الكونية القدرية، والشرعية الدينية[1].

---

(١) انظر شفاء العليل صفحة ٥٥٨ـ٥٦٧.

الفصل الثالث

ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر

وتحته تمهيد وثلاثة مباحث

المبحث الأول: الثمرات الإيمانية العقدية

المبحث الثاني: الثمرات الأخلاقية

المبحث الثالث: الثمرات النفسية

تمهيد

الإيمان بالقضاء والقدر على الوجه الصحيح يثمر ثمراتٍ جليلة، وأخلاقاً جميلة، وعبودياتٍ متنوعةٍ، يعود أثرها على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة، وسيتضح ذلك من خلال المباحث التالية، علماً بأنَّ بعضها قريب من بعض داخل في بعض[1].

---

(١) انظر في الحديث عن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر في الفوائد لابن القيم ص ١٣٧ـ١٣٩و١٧٨و١٩٩و٢٠٠و٢٠٢ أوالجامع الصحيح في القدر للشيخ مقبل بن هادي الوداعي ص١١ـ١٢، ومجموعةدروس وفتاوى الحرم المكي للشيخ محمدابن عثيمين ٣٧/١ والقضاء والقدر د. عمر الأشقر ص١٠٩ـ١١٢، والإيمان د. محمد نعيم ياسين والقضاء والقدر د. عبد الرحمن المحمود ص٤٤٧ـ٤٥٨.

المبحث الأول

الثمرات الإيمانية العقدية

للإيمان بالقدر ثمرات إيمانية عقدية تعود على إيمان العبد بالزيادة، وعلى عقيدته بالثبات، ومن ذلك:

١ـ أداء عبادة الله ـ عز وجل ـ: فالإيمان بالقدر مما تعَبَّدنا الله به، وكمال المخلوق في تحقيقه العبودية لربه، وكلما ازداد تحقيقاً للعبودية ازداد كمالُه، وعلت درجتُه، وكان كل ما يجري عليه مما يكرهه خيراً له، وحصل له من جرَّاء ذلك الإيمانِ عبودياتٌ كثيرة، سيأتي ذكرٌ لشيء منها[١].

٢ـ الخلاص من الشرك: فالمجوس[٢] زعموا أن النورَ خالقُ الخيرِ، والظلمةَ خالقةُ الشرِّ، والقدرية قالوا: إن الله لم يخلق أفعال العباد، بل العباد يخلقون أفعالهم؛ فأثبتوا خالِقِينَ مع الله ـ جل وعلا ـ.

وهذا الضَّلال شركٌ، والإيمان بالقدر على الوجه الصحيح توحيد لله ـعز وجل ـ.

ثم إن المؤمن بالقدر يعلم أن جميع الكائنات واقعة تحت قهر الله، محكومة بقدره، وليس لها من الأمر شيء، فلا تملك لنفسها ـ فضلاً عن غيرها ـ نفعاً أو

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٠/١٧٦.

(٢) هم عبدة النار والقائلون بالأصلين. انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٣٣. وسيأتي الحديث عنهم في مواضع متعددة من هذا البحث.

ضرّاً، كما يعلم علم اليقين بأن أزمَّة الأمور بيد الله؛ فهو المعطي لمن شاء، المانع لمن شاء، لا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه.

وهذا يبعثه إلى إفراد الله بالعبادة وحده دون من سواه، فلا يتقرب لغير الله، ولا يتمسح بأتربة القبور وعتبات الصالحين.

٣ـ حصول الهداية وزيادة الإيمان: فالمؤمن بالقدر على الوجه الصحيح يتحقق توحيده، ويزيد إيمانه، ويسير على هُدى من ربه؛ ذلك أن الإيمان بالقدر من الاهتداء، والله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾ سورة محمد: ١٧.

ويقول: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ سورة التغابن: ١١.

قال علقمة[١] رحمه الله في هذه الآية: «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من قِبلِ الله ـ تعالى ـ فيسلِّم ويرضى»[٢].

٤ـ الإخلاص: فالإيمان بالقدر يحمل صاحبه على الإخلاص، فيكون الباعث له في جميع أعماله امتثال أمر الله؛ ذلك أن المؤمن بالقدر يعلم أن الأمر

---

(١) هو التابعي الجليل علقمة بن قيس بن عبدالله أبو شِبل النخعي الكوفي، روى عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وحذيفة وأبي الدرداء وغيرهم، وكان مقدماً في الفقه والحديث، مات سنة اثنين وسبعين، وله تسعون سنة. انظر تأريخ مدينة السلام ١٤/٢٤٠ـ٢٤٥.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٨/٢٨٣.

أمر الله، وأن الملك ملكه، وأن ما شاءه الله كان، وما لم يشأه لم يكن، لا راد لفضله، ولا معقب لحكمه، فيقوده ذلك إلى إخلاص العمل لله، وتصفيته من كل شائبة تشوبه؛ لأن الحامل على عدم الإخلاص أو قِلَّتِه مراءاةُ الناس، أو طلب التزيُّن في قلوبهم، أو طلب مدحهم والهرب من ذمهم، أو طلب أموالهم أو خدمتهم أو محبتهم، أو نحو ذلك من الشوائب والعلل التي يجمعها إرادة ما سوى الله في العمل[1].

فإذا أيقن العبد أن هذه الأمورَ لا تُنال إلا بتقدير الله ـ عز وجل ـ وأن الناس ليس لهم من الأمر شيء في أنفسهم ولا في غيرهم ـ لم يعد يبالي بالناس، ولم يَسْعَ إلى إرضائهم بسخط الله، فينقاد إلى إيثار الحق على الخلق، وإلى الإخلاص والتفريد، بعيداً عن كل رياء وتنديد.

ومن هنا ينال فضيلة الإخلاص وأكرم بها من فضيلة؛ فالإخلاص يرفع شأن الأعمال حتى تكون مراقيَ للفلاح، وهو الذي يحمل الإنسان على مواصلة عمل الخير، وهو الذي يجعل في عزم الرجل متانة، ويربط على قلبه، فيمضي حتى يبلغ الغاية.

٥ـ صحة التوكل وتمامه: فالتوكل على الله هو لُبُّ العبادة، ولا يصح التوكل ولا يستقيم إلا لمن آمن بالقدر على الوجه الصحيح.

---

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٢/٩٣.

قال ابن القيم رحمه الله : «قال شيخنا[١] رضي الله عنه : ولذلك لا يصح التوكل ولا يتصور من فيلسوف، ولا من القدرية النفاة القائلين بأنه يكون في ملكه ما لا يشاء، ولا يستقيم ـ أيضاً ـ من الجهمية النفاة لصفات الرب ـ جل جلاله ـ ولا يستقيم التوكل إلا من أهل الإثبات» [٢].

والتوكل في لسان الشرع إنما يراد به توجه القلب إلى الله حال العمل، واستمداد المعونة منه، والاعتماد عليه وحده؛ فذلك سر التوكل وحقيقته.

والشريعة أمرت العامل بأن يكون قلبه مطوياً على سراج التوكل والتفويض.

والذي يحقق التوكل هو القيام بالأسباب المأمور بها؛ فمن عطَّلها لم يصحَّ توكله.

فإذا توكل العبد على ربه، وسلَّم له، وفوض إليه أمره أمده الله بالقوة، والعزيمة، والصبر، وصرف عنه الآفات التي هي عُرْضَةُ اختيارِ العبد لنفسه، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه.

وهذا يريحه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات، ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات التي يصعد منه في عقبة، وينزل في أخرى[٣].

---

(١) يعني ابن تيمية رحمه الله.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٢/٢١٨.

(٣) انظر الفوائد لابن القيم ص٢٠١-٢٠٢.

٦ـ الخوف من الله: فالمؤمن بالقدر تجده دائماً على خوف من الله، وعلى حذر من سوء الخاتمة؛ إذ لا يدري ما يُفعل به، ولا يأمن مكر الله.

ومن هنا يستقل عمله، ولا يغتر به مهما كان؛ فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء، والخواتيم علمها عند الله ـ عز وجل ـ.

قال النبي ﷺ: «فوالله إن أحدكم أو الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو باع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها.

وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها»[1].

وقال ﷺ: «إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار؛ وإنما الأعمال بالخواتيم»[2].

٧ـ قوة الرجاء وإحسان الظن بالله: فالمؤمن بالقدر حَسَنُ الظن بالله، قويُّ الرجاء به؛ لعلمه بأن الله لا يقضي قضاءً إلا وفيه تمام العدل والرحمة والحكمة.

فلا يتهم ربه فيما يجريه عليه من أقضيته وأقداره، وذلك يوجب له استواء الحالات عنده، ورضاه بما يختاره له سيده، كما يوجب له انتظار الفرج وترقبه، وذلك يخفف حمل المشقة، ولاسيما مع قوة الرجاء، أو القطع بالفرج؛ فإنه يجد

---

(١) رواه البخاري (٦٥٩٤).

(٢) رواه البخاري (٦٦٠٧).

في حشو البلاء من رَوْح الفرج ونسيمه وراحته ما هو من خفي الألطاف، وما هو فرج مُعَجَّل[١].

٨ـ الرضا: فالمؤمن بالقدر قد تسمو به الحال، فَيَصِلُ إلى منزلة الرضا، فمن رضي عن الله رضي الله عنه، بل إن رضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عنه؛ فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده: رضاً قبله أوجب له أن يرضى عنه، ورضاً بعده هو ثمرة رضاه عنه.

ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين، وقرة عيون المشتاقين[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: «من ملأ قلبه من الرضا بالقدر ملأ الله صدره غنىً، وأمناً، وقناعةً، وفرَّغ قلبه لمحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه.

ومن فاته حظه من الرضا امتلأ قلبه بضد ذلك، واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه» [٣].

«وقيل ليحيى بن معاذ[٤]: متى يبلغ العبد مقام الرضا؟

---

(١) انظر مدارج السالكين ١٦٦/٢ـ١٩٩.

(٢) انظر مدارج السالكين ١٧٢/٢.

(٣) مدارج السالكين ٢٠٢/٢.

(٤) هو يحيى بن معاذ أبو زكريا الرازي الواعظ، له أقوال مشهورة في الزهد والوعظ والحكمة، مات في نيسابور يوم الاثنين لست عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين ومائتين.

انظر تأريخ مدينة السلام للبغدادي ٣٠٦/١٦ـ٣١٠، وسير أعلام النبلاء ١٥/١٣، ووفيات الآعيان ١٦٦/٦.

فقال: إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه؛ فيقول: إن أعطيتني قبلت، وإن منعتني رضيت، وإن تركتني عبدت، وإن دعوتني أجبت» [١].

وقال بعضهم: «ارض عن الله في جميع ما يفعله بك؛ فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك؛ فإياك أن تفارق الرضا عنه طرفة عين، فتسقط من عينه» [٢].

ومما ينبغي أن يُعْلم أنه ليس من شرط الرضا ألا يحس العبد بالألم والمكاره، بل ألا يعترض على الحكم، ولا يتسخطه [٣].

قال أحد الحكماء:

إذا اشتدت البلوى تخفف بالرضا ... عن الله قد فاز الرضيُّ المراقب

وكم نعمة مقرونة ببلية ... على الناس تخفى والبلايا مواهب [٤]

ومع هذا فلا خروج للعبد عما قدر عليه، فلو رضي باختيار الله أصابه القدر وهو محمود، مشكور، ملطوف به، وإلا جرى عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به.

ومتى صح تفويضه ورضاه اكتنفه في المقدورِ العطفُ عليه، واللطف فيه،

---

(١) مدارج السالكين ٢/١٧٢.

(٢) مدارج السالكين ٢/٢١٦.

(٣) انظر مدارج السالكين ٢/١٦٩-٢٣٢ ففيه كلام مفصل عن الرضا.

(٤) الأبيات لابن ناصر الدين الدمشقي. انظر كتابه برد الأكباد عند فقد الأولاد ص٣٧.

فيصير بين عطفه ولطفه؛ فعطفه يقيه ما يحذره، ولطفه يُهَوِّنُ عليه ما قدر له.

٩ـالشكر: فالمؤمن بالقدر يعلم أن ما به من نعمة فهي من الله وحده، وأن الله هو الدافع لكل مكروه ونقمة، فيبعثه ذلك على إفراد الله بالشكر؛ فإذا نزل به ما يحب شكر الله عليه؛ إذ هو المنعم المتفضل، وإذا نزل به ما يكرهه شكر الله على ما قدَّره عليه، كظماً للغيظ، وستراً للشكوى، ورعاية للأدب، وسلوكاً لمسلك العلم؛ فإن العلم بالله والأدب مع الله يأمران بشكر الله على المحاب والمكاره، وإن كان الشكر على المكاره أشقَّ وأصعبَ؛ ولذلك كان الشكر أعلى من الرضا.

فإذا لزم الإنسان الشكر قرت نعمه ودرَّت؛ فالشكر قيد النعم الموجودة، وصيد النعم المفقودة، والله ـ تبارك وتعالى ـ يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ سورة إبراهيم: ٧.

فمتى لم تر حالك في مزيد فاستقبل الشكر[١].

قال ابن ناصر الدين الدمشقي[٢] رحمه الله:

يجري القضاءُ وفيه الخيرُ نافلة ... لمؤمن واثق بالله لا لاهي

إن جاءه فرحٌ أو نابه ترحٌ ... في الحالتين يقول: الحمد للهِ[٣]

---

(١) انظر مدارج السالكين ١٩٩/٢ و٢٣٥ و٢٤٣.

(٢) هو الإمام القدوة الحافظ أبو عبدالله محمد بن ناصر الدين الشافعي الدمشقي صاحب كتاب «الرد الوافر» في الدفاع عن شيخ الإسلام ابن تيمية، ذلك الكتاب الذي قرَّظه سبعة وثمانون عالماً من علماء الأمة على اختلاف مذاهبهم كابن حجر، والبلقيني، والعيني وغيرهم، توفي رحمه الله سنة ٨٤٢هـ. انظر الشهادة الزكية لمرعي الكرمي الحنبلي ص٧١ـ٩٨.

(٣) برد الأكباد ص٩.

١٠ ـ الفرح : فالمؤمن بالقدر يفرح بهذا الإيمان الذي حرم منه أكثر الخلق ، قال ـ تعالى ـ : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ سورة يونس : ٥٨.

ثم إن المؤمن بالقدر قد يرتقي به الحال من الرضا بقضاء الله والشكر له فيما يقدره حتى يصل إلى منزلة الفرح ، فيفرح بكل ما يقدره الله ويقضيه عليه.

قال ابن القيم رحمه الله : «والفرح أعلى نعيم القلب ، ولذته وبهجته ، فالفرح والسرور نعيمه ، والهم والحزن عذابه.

والفرح بالشيء فوق الرضا به؛ فإن الرضا طمأنينة ، وسكون ، وانشراح.

والفرح لذة ، وبهجة ، وسرور؛ فكلُّ فَرِحٍ راضٍ ، وليس كلُّ راضٍ فَرِحاً؛ ولهذا كان الفرح ضد الحزن ، والرضا ضد السخط ، والحزن يؤلم صاحبه ، والسخط لا يؤلمه إلا ما كان مع العجز عن الانتقام ، والله أعلم»[١].

١١ ـ العلم بحكمة الله ـ عز وجل ـ : فالإيمان بالقدر على وجه الحقيقة يكشف للإنسان حكمة الله ـ عز وجل ـ فيما يقدره من خير أو شر ، فيعلم أن وراء تفكيره ، وتخيلاته من هو أعظم وأعلم ، وأحكم.

ولهذا كثيراً ما يقع الشيء فنكرهه وهو خير لنا؛ وكثيراً ما نرى الشيء مصلحة ظاهرة فنحبه ، ونرغب فيه ، ولكن الحكمة لا تقتضيه؛ فالمدبر للإنسان أعلم بمصالحه وعاقبة أمره ، كيف وقد قال: ﴿وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ

---

(١) مدارج السالكين ٣/١٥٠.

خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة: ٢١٦.

ومن أسرار هذه الآية وحِكَمها أنها تقتضي من العبدِ التفويضَ إلى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يقضيه عليه؛ لما يرجوه من حسن عاقبته.

ومن أسرارها ألا يقترح على ربه، ولا يسأله ما ليس له به علم؛ فلعل مضرتَه فيه وهو لا يعلم، فلا يختار على ربه، بل يسأله حسن العاقبة فيما يختاره له، فلا أنفع له من ذلك.

ولهذا من لطف الله بعبده أنه ربما طمحت نفسه لسبب من الأسباب الدنيوية التي يظن أن بها إدراكَ بغيته، فيعلم الله أنها تضره، وتصده عما ينفعه، فيحول بينه وبينها، فيظل العبد كارهاً، ولم يَدْرِ أن الله قد لطف به؛ حيث أبقى له الأمر النافع، وصرف عنه الأمر الضار[1].

فكم من الناس ـ على سبيل المثال ـ من يندم ويتحسر إذا فاته موعد إقلاع الطائرة، وما هي إلا مدة يسيرة، ثم يُعْلَن عن سقوط الطائرة، ووفاة جميع ركابها.

وكم من الناس من يتبرم ويضيق صدره؛ لفوات محبوب، أو نزول مكروه.

وما إن ينكشف الأمر، ويستبين سرُّ القدر إلا وتجده جذلاً مسروراً؛ لأن العاقبة كانت حميدة بالنسبة له.

وما أجمل قول من قال:

---

(١) انظر المواهب الربانية من الآيات القرآنية لابن سعدي ص١٥١.

كـم نعمـةٍ لا تـستقل بـشكرها ... لله في طـي المكـاره كامنـهْ[1]

وقول الآخر:

تجري الأمور على حكم القضاء ... طـيِّ الحـوادث محبـوب ومكـروه

وربمـا سـرني مـا كنـت أحـذره ... وربمـا سـاءني مـا كنـت أرجـوه[2]

١٢ـ تحرير العقول من الخرافات والأباطيل: فمن بدهيات الإيمان بالقدر الإيمانُ بأن ما جرى وما يجري، وما سيجري في هذا الكون إنما هو بقدر الله ـ عز وجل ـ وأن قدر الله سر مكتوم، لا يعلمه إلا هو، ولا يُطلع عليه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً.

ومن هذا المنطلق تجد المؤمن بالقدر لا يعتمد على الدجَّالين والمشعوذين، ولا يذهب إلى الكهان والمنجمين والعرافين، فلا يعتد بأقوالهم، ولا ينطلي عليه زيفهم ودجلهم؛ فيعيش سالماً من زيف هذه الأقاويل، متحرراً من جميع تلك الخرافات والأباطيل[3].

وقال لبيد بن ربيعة ﵁:

لعمـرك مـا تـدري الـضوارب ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع

سـلوهن إن كـذبتموني متـى ... يذوق المنايا أو متى الغيث واقع[4]

---

(١) جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى للغرناطي ٥٢/٣.

(٢) جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى ٥٢/٣.

(٣) انظر الجامع الصحيح في القدر للشيخ مقبل الوادعي ص١١ـ١٢.

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة ص٩٠.

المبحث الثاني

الثمرات الأخلاقية

للإيمان بالقدر ثمرات أخلاقية تعود على المؤمن به بحسن الخلق، وطيب النفس، وحسن المعشر، ولين العريكة، وتكسبه عند الله شكوراً، وتزداد بها صحيفة أعماله نوراً، ومن تلك الثمرات ما يلي:

١ـ الصبر: فالإيمان بالقدر يثمر لصاحبه عبودية الصبر على الأقدار المؤلمة، والصبرُ من جميل الخلال، ومن محمود الخصال، له فوائده الجمة، وعوائده الكريمة، وله عواقبه الجميلة، وآثاره الحميدة.

وكل أحد من الناس لابد له من الصبر على بعض ما يكره، إما اختياراً وإما اضطراراً؛ فالكريم يصبر اختياراً؛ لعلمه بحسن عاقبة الصبر، وأنه يحمد عليه، ويذم على الجزع، وأنه إن لم يصبر لم يردَّ عليه الجزع فائتاً، ولم ينتزع منه مكروهاً؛ فمن لم يصبر صبر الكرام سلا سلوَّ البهائم[١].

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «وجدنا خير عيشنا بالصبر»[٢].

وقال أمير المؤمين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الصبر مطية لا تكبو»[٣].

وقال الحسن رحمه الله: «الصبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده»[٤].

---

(١) انظر عدة الصابرين لابن القيم ص١٢٤، وتسلية أهل المصائب للمنبجي ص١٣٥ـ١٥١.

(٢) رواه البخاري معلقاً، كتاب الرقاق ٨١ باب ٢٠ الصبر عن محارم الله.

(٣) عدة الصابرين لابن القيم ص١٢٤.

(٤) عدة الصابرين ص١٢٤.

وصدق من قال:

والصبر مثل اسمه مرٌّ مذاقتهُ لكنْ عواقبه أحلى من العسل

ولهذا تجد المؤمن بالقدر صبوراً متجلداً، يتحمل المشاق، ويقوم بالأعباء.

بخلاف ضعيف الإيمان بالقدر، الذي لا يقوى على احتمال، ولا يصبر على أدنى شيء يعترضه؛ بسبب ضعف إيمانه، ورخاوة نفسه، وانزعاجها العظيم للشيء الحقير؛ فما إن يصاب بالتافه من الأمر حتى تراه حَرِجَ الصدر، لهيف القلب، كاسف الوجه، ناكس البصر، تتناجى الهموم في صدره، فتقض مضجعه، وتؤرق جفنه، وهي وأكبر منها لو حدثت لمن هو أقوى منه إيماناً واحتمالاً ـ لم يُلقِ لها بالاً، ولم تحرك منه نفساً، ولَنَامَ ملء جفونه، رضيَّ البال، قرير العين.

٢ـ التواضع: فالإيمان بالقدر يحمل صاحبه على التواضع مهما أوتي من مال، أو جاه، أو علم، أو شهرة، أو نحو ذلك؛ لعلمه بأن ما أوتيه إنما هو بقدر الله، وأنه ـ عز وجل ـ لو شاء لانتزعه منه.

ومن هنا يتواضع لله ـ عز وجل ـ ويتواضع لبني جنسه، وينأى بنفسه عن الكبر والخيلاء.

وإذا تواضع الإنسان كمل سؤدده، وعلا قدره، وتناهى فضله، وعظم في القلوب وقاره، وزاده الله شرفاً ورفعة؛ فمن تواضع لله رفعه، وإذا رفع الله عبداً فمن ذا الذي سيخفضه؟

وأحسن أخلاق الفتى وأتمها تواضعه للناس وهو رفيع[1]

---

(١) غذاء الألباب للسفاريني ٢/٢٢٣.

٣ـ الكرم والسخاء: ذلك أن المؤمن بالقدر يعلم علم اليقين بأن الله هو الرزاق، وهو الذي قسم بين الخلق معيشتهم؛ فكلٌ له نصيبه، ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها، ولن يفتقر أحد إلا بقدر الله ـعز وجل ـ.

وهذا الإيمان يشرح صدر صاحبه للإنفاق في وجوه الخير، فيؤثرها بجانب من ماله ولو كان به خصاصة؛ ثقة بالله، واستجابة لأمره ـ عز وجل ـ بالإنفاق، وشعوراً بأن للحياة الفاضلة مطالبَ يبذل في سبيلها المال غير مأسوف عليه، ولعلمه بأن المال مال الله؛ فَتَعَيَّنَ وَضْعُه حيث أمر اللهُ وَضْعَهُ[١].

ثم إن الإيمان بالقدر يطفئ حِدَّةَ الشَّرَهِ من قلب المؤمن، فلا يتكالب على الدنيا، ولا يَتَتَبَّعُها إلا بمقدار الحاجات، فلا يريق ماء وجهه طلباً لها، بل يتكرم ويسخو عما في أيدي الناس؛ فمن أنواع السخاء سخاءُ الإنسان عما في أيدي الناس.

وهذا يثمر له عزة النفس والشجاعة، وإنما يخسر الإنسان الشجاعة وعزة النفس بشدة حرصه على متاع الدنيا.

٤ـ الشجاعة والإقدام، واطراح الخور والجبن: فالإيمان بالقدر يملأ قلب صاحبه شجاعةً وإقداماً، ويُفْرِغهُ من كل خور وجبن؛ لأن المؤمن بالقدر يعلم أنه لن يموت قبل يومه، ولن يصيبه إلا ما كُتب له، وأن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروه لن يضروه إلا بشيء قد كتبه الله له.

---

(١) انظر الهداية الإسلامية للشيخ محمد الخضر حسين ص٨٤ـ٨٩.

ومما ينسب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ قوله:

أي يومَيَّ من الموت أفِرْ يوم لا يُقْدَرُ أو يوم قُدِرْ

يوم لا يُقْدَرُ لا أرهبه وإذا قُدِّر لا ينجي الحذر[1]

وكان معاوية ﵁ يتمثل بهذين البيتين:

كأن الجبانَ يرى أنه سيقتل قبل انقضاء الأجلْ

وقد تدرك الحادثاتُ الجبان ويسلم منها الشجاعُ البطلْ[2]

قال ابن القيم ﵀: «الذي يحسم مادة الخوف هو التسليم لله؛ فمن سلَّم لله، واستسلم له، وعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب له ـ لم يبقَ لخوف المخلوقين في قلبه موضع؛ فإن نفسه التي يخاف عليها قد سلمها إلى وليها ومولاها، وعلم أنه لا يصيبها إلا ما كتب، وأن ما كتب لها ـ أيضاً ـ لابد أن يصيبها؛ فلا معنى للخوف من غير الله بوجه.

وفي التسليم ـ أيضاً ـ فائدة لطيفة، وهي أنه إذا سلمها لله فقد أودعها عنده، وأحرزها في حرزه، وجعلها تحت كنفه، حيث لا تنالها يدُ عدوٍّ عادٍ، ولا بغيُ باغٍ عاتٍ»[3].

---

(١) ديوان الإمام علي ص٧٩ـ٨٠.

(٢) بهجة المجالس للإمام ابن عبدالبر ٤٨٠/٢.

(٣) مدارج السالكين ٣٢/٢.

٥ ـ علو الهمة: فعلو الهمة يعني استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، ودنو الهمة بالعكس من ذلك؛ فهو إيثار الدَّعة، والرضا بالدون، والقعود عن معالي الأمور.

والإيمان بالقدر يحمل أهله على علو الهمم، وينأى بهم عن القعود، والإخلاد إلى الأرض، والاستسلام للأقدار.

ولهذا تجد المؤمن بالقدر ـ حقيقة ـ عالي الهمة، كبير النفس، متطلباً للكمالات، مترفعاً عن السفاسف والمحقرات، فلا يرضى لنفسه بالدون، ولا يقنع بالواقع المر الأليم، ولا يستسلم للمعائب محتجاً بالقدر على وقوعها.

بل إن إيمانه يُحتِّم عليه أن يسعى سعيه للنهوض بنفسه، ولتغيير الواقع المر الأليم إلى الأفضل بالطرق المشروعة، وإلى التخلص من المعائب والنقائص؛ فالاحتجاج بالقدر إنما يكون عند المصائب لا المعائب[١].

٦ ـ الحزم والجد في الأمور: فالمؤمن بالقدر حازم في أموره، منتهز للفرص التي تمر به، حريص على كل خير ديني أودنيوي؛ إذ الإيمان بالقدر يدعو إلى ذلك؛ فلم يكن داعية إلى البطالة، والإقلال من العمل البتة.

بل لقد كان له عظيم الأثر في إقدام عظماء الرجال على جلائل الأعمال، التي يسبق إلى ظنونهم أن استطاعتهم، وما لديهم من الأسباب الحاضرة يَقْصُران عن إدراكها.

---

(١) انظر الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها للكاتب ص٩٣ـ٩٤.

قال النبي ﷺ : «احرص على ما ينفعك، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت، كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل» [(١)].

٧ـ السلامة من الحسد والاعتراض: فالإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض التي تفتك بالمجتمعات، وتزرع الأحقاد بينها، وذلك مثل رذيلة الحسد؛ فالمؤمن بالقدر لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله؛ لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم، وقدر لهم أرزاقهم، فأعطى من شاء، ومنع من شاء، ابتلاءً، وامتحاناً، وأنه حين يحسد غيره إنما يعترض على قدر الله.

فإذا آمن بالقدر سَلِمَ من الحسد، وسَلِمَ من الاعتراض على أحكام الله الشرعية، وأقداره الكونية، وسَلَّم لله في جميع أموره[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) انظر مجلة البحوث عدد ٣٤ ص٢٥٠ مبحث وسطية أهل السنة في القدر، د. عواد المعتق.

المبحث الثالث

الثمرات النفسية

للإيمان بالقدر ثمرات نفسية جميلة تعود على صاحبها بالراحة، والطمأنينة والسكينة، وتُضفي عليه أمناً، وهدوءَ بال، ومن ذلك ما يلي:

١ـ محاربة اليأس: فالذي لا يؤمن بالقدر يصيبه اليأس، ويدِبُّ إلى روُعه القنوط؛ فإذا أصيب ببلية ظن أنها قاصمة ظهره، وإذا نزلت به نازلة حسب أنها ضربة لازب لن تبارحه.

وكذلك إذا رأى ما عليه الباطل من صولة وجولة، وما عليه أهل الحق من ضعف وتخاذل ظن أن الباطل سيستمر، وأن الحق سيضمحل؛ فاليأس سم قاتل، وسجن مظلم، يُعَبِّسُ الوجه، ويصد النفس عن الخير، ولا يزال بالإنسان حتى يهلكه، أو ينغص عليه حياته.

أما المؤمن بالقدر فلا يعرف اليأس، ولا تراه إلا متفائلاً في جميع أحواله، منتظراً الفرج من ربه، عالماً بأن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسراً.

وتراه موقناً تمام اليقين بأن العاقبة للتقوى، وللمتقين، وأن قدر الله في ذلك نافذ لا محالة، فلا يتسلل إليه اليأس مهما احلولكت ظلمة الباطل؛ فاعتماد القلب على قدرة الله، ولطفه، وكرمه يستأصل جراثيم اليأس، ومنابت الكسل، ويشد ظهر الأمل الذي يلج به الساعي أغوار البحار العميقة، ويقارع به السباعَ الضاريةَ في فلواتها[1].

---

(١) انظر رسائل الإصلاح للشيخ محمد الخضر حسين ١/٥٨ـ٥٩ و ٧٠، والحرية في الإسلام للشيخ محمد الخضر حسين ص٣٣.

٢ـ قوة الاحتمال: فالمؤمنون بالقدر حقاً هم أقوى الناس نفوساً، وأكثرهم احتمالاً، وأقلهم جزعاً ـ كما مر في المبحث الثاني ـ والذين لا يؤمنون بالقدر يجزعون لأتفه الأسباب، بل ربما أدى بهم الجزع إلى الجنون، والوسوسة، وتعاطي المخدرات، وقتل النفس.

ولذلك يكثر الانتحار في البلاد التي لا يؤمن أهلها بالقضاء والقدر، كأمريكا والسويد، والنرويج، وغيرها، بل لقد وصل الأمر ببعض البلاد إلى فتح مستشفيات للانتحار!

ولو بحثنا عن أسباب انتحارهم لوجدناها تافهةً جداً، لا تستدعي سوى التغافل وغض البصر عنها؛ فبعضهم ينتحر؛ لتخلي خطيبته عنه، وبعضهم بسبب رسوبه في الامتحان، وبعضهم بسبب وفاة المطرب الذي يحبه، أو الشخص الذي يعجبه، أو بسبب هزيمة الفريق الذي يميل إليه وهكذا...

وقد يكون الانتحار جماعياً، والعجيب في الأمر أن غالبية المنتحرين ليسوا من طبقة الفقراء حتى يقال: انتحروا؛ لضيق معيشتهم.

بل إنهم من الطبقة الغنية المغرقة في النعيم، بل ويقع الانتحار من المشاهير، بل ومن الأطباء النفسيين الذي يُظَنُّ أنهم يجلبون السعادة، ويحلون المشكلات! [(١)].

ولقد أصبح الانتحار سمة بارزة في تلك المجتمعات، وصارت نسبته تتزايد،

---

(١) انظر على سبيل المثال كتاب: لماذا انتحر هؤلاء، إعداد وتوثيق هاني الخيِّر، ففيه قصص انتحار لشخصيات سياسية، وعسكرية، وأدبية، واجتماعية، وفنية.

وتهدد الحضارة الغربية بأكملها.

ولقد أقلق الانتحار علماء الاجتماع في تلك البلاد؛ حيث أصبح عدد المنتحرين يفوق عدد القتلى في الحروب، وفي حوادث السيارات.

ومن الأشياء التي استحدثوها للتخفيف من الانتحارات المتزايدة إنشاء مراكز تتلقى مكالمات المقدمين على الانتحار، أو من لديهم مشكلات عاطفية، أو الذين يعانون ضيق الصدر.

والعجيب أن يكون للانتحار مؤيدون؛ حيث تكونت في بريطانيا جمعية للمنتحرين، وأصدرت كتيباً، وأخذت توزعه على أعضائها الذين يحبذون ويؤيدون حق المرضى بالانتحار عندما يتألمون، وعندما يقرر الطبيب أن حالتهم ميؤوس منها.

وقد نص الكتيب على الوسائل السريعة والفعالة، وغير المؤلمة التي يمكن أن تساعد الساعين إلى الانتحار على تنفيذ رغبتهم! [(١)].

ترى لو كانوا يؤمنون بالله وبقدره، هل يكون هذا مصيرهم؟

٣ـ القناعة وعزة النفس: فالمؤمن بالقدر يعلم بأن رزقه مكتوب، وأنه لن يموت حتى يستوفيه، وأن الرزق لا يجلبه حرص حريص، ولا يمنعه حَسَدُ حاسدٍ، وأن الخلق مهما حاولوا إيصال الرزق إليه، أو منعه عنه فلن يستطيعوا

---

(١) انظر أفول شمس الحضارة الغربية من نافذة الجرائم لمصطفى غزال ص١٠٩ـ١١١، والتوبة لمحمد بن إبراهيم الحمد ص٢٤٦ـ٢٥٨.

إلا بشيء قد كتبه الله له.

ومن هنا ينبعث إلى القناعة بما أوتي، وإلى عزة النفس والإجمال في الطلب، وإلى التحرر من رق الخلق ومنَّتِهم.

ولا يعني ذلك أن نفسه لا تطمح إلى المعالي، وإنما يعني القناعة بما يأتيه من عرض الدنيا بعد فعل الأسباب، بعيداً عن الشح، والهلع والتكالب، وإراقة ماء الوجه.

وإذا رزق العبد القناعة أشرقت عليه شمس السعادة.

وإن كان بعكس ذلك تنغصت حياته، وزادت آلامه وحسراته، بسبب نفسه الجشعة الشرهة، ولو مسَّتها القناعة لقلَّت مصائبه؛ لأن الشَّرِهَ سجين المطالب، أسير الشهوات.

ثم إن القناعة تضفي على صاحبها عزة النفس، وتحرز له وقاراً في العيون، وجلالة في القلوب، وترفعه عن مواضع الذل والمهانة، فيبقى مهيب الجناب، موفور الكرامة، مرفوع الرأس، مرتاح الضمير، سالماً من الهوان، متحرراً من رق الأهواء ومن ذل الطمع، فلا ينطلق في مجاري التملق والمداهنة، ولا يسير إلا وَفْقَ ما يمليه عليه إيمانه، والحق الذي يحمله[1].

وبالجملة فالذي يحسم مادة رجاء المخلوقين من القلب هو الرضا بقسم الله ـعز وجلـ فمن رضي بحكم الله وقسمه لم يبق لرجاء الخلق موضع في قلبه.

---

(١) انظر رسائل الإصلاح ١/٩ـ١٢ و ١٢٤ـ١٢٥.

ومن جميل ما يذكر في هذا الشأن ما ينسب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ قوله:

أفادتني القناعة كلَّ عزٍّ ... وهل عزٌّ أعزُّ من القناعهْ

فَصَيِّرْها لنفسك رأسَ مالٍ ... وصَيِّر بعدها التقوى بضاعهْ

تَحُزْ ربحاً وتَغْنى عن بخيلٍ ... وتنعم في الجنان بصبر ساعهْ[1]

وقال الشافعي رحمه الله:

رأيت القناعة كنز الغنى ... فصرت بأذيالها مُمْتَسك

فلا ذا يراني على بابه ... ولا ذا يراني به منهمك

وصرت غنياً بلا درهمٍ ... أمُرُّ على الناس شبه الملك[2]

وقال الثعالبي[3]: «ومن أحسن ما سمعت في القناعة قول ابن طباطبا العلوي[4]:

(١) ديوان الإمام علي ص١٢١-١٢٢.

(٢) ديوان الإمام الشافعي ص٢٧.

(٣) هو أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ٣٥٦هـ -٤٢٩هـ، من كبار الأدباء واللغويين والكتاب والمصنفين، سُمِّي بالثعالبي نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها؛ قيل له ذلك لأنه كان فرَّاءاً، له تواليف كثيرة منها «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر» وهو أكبر كتبه وأحسنها، وله «فقه اللغة وسر العربية»، و«سحر البلاغة وسر البراعة». انظر وفيات الأعيان ١٧٨/٣-١٨٠.

(٤) هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طَبَاطَبَا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، شاعر مُفْلِق وعالم محقق، مولده بأصبهان وبها مات سنة ٣٢٢هـ، وله عَقِب كثير بأصبهان فيهم علماء وأدباء، وهو مصنف كتاب عيار الشعر، وكتاب تهذيب الطبع، وغيرها. انظر معجم الأدباء ٩٧/٥-١٠٦.

كـــن بمـــا أوتيتـــه مقتنعـــاً تَـسْتَدِمْ عــسر القنــوع المكتفــي

إن في نيــل المنــى وشْـكَ الــردى وهـــلاك المـــرء في ذا الـــسرف(١)

٤ـ الاعتدال حال السراء والضراء: فالإيمان بالقدر يحمل على الاعتدال في سائر الأحوال؛ ذلك أن الإنسان في هذه الحياة الدنيا يتقلب في أحوال عديدة؛ فقد يبتلى بالفقر، وقد ينال نصيباً وافراً من الدنيا، وقد ينعم بالصحة، وقد يبتلى بالأمراض، وقد ينال ولايةً وشهرةً وبُعْدَ صيتٍ، وقد يعقب ذلك عزلٌ، وذلٌّ، وخمولُ ذكرٍ.

ولهذه الأمور وأمثالها أثر على النفس؛ فالفقر قد يقود إلى الذلة والخنوع، والغنى قد تتغير به أخلاق اللئيم بطراً، وتسوء طرائقه أشراً.

والمرض قد يتغير به الطبع، فلا تبقى الأخلاق على اعتدال، ولا يقدر معه المرء على احتمال.

وكذا الولاية قد تحدث في الأخلاق تغيراً، وعلى الخلطاء تنكراً، إما من لؤم طبع، وأما من ضيق صدر.

وفي مقابل ذلك العزلُ؛ فقد يسوء به الخلق، ويضيق به الصدر؛ إما لشدة أسف، أو لقلة صبر.

وهكذا لا تستقيم الأحوال على حد الاعتدال؛ لأن في العباد قصوراً، وجهلاً، وضعفاً، ونقصاً.

---

(١) أحسن ما سمعت للثعالبي ص٢٢.

إلا من آمن بالقدر حقيقة؛ فلا تبطره النعمة، ولا تُقنِّطه المصيبة؛ فلا تطيش به الولاية في زهو، ولا ينزل به العزل في حسرة، ولا يحمله الغنى على الأشر والبطر، ولا ينحط به الفقر إلى الذلة والخضوع[١].

فالمؤمنون بالقدر يتلقون المسارَّ والمحابَّ بقبول لها، وشكر لله عليها، واستعانة بها على أمور الدين والدنيا، فيحصل لهم من جرَّاء ذلك من الخيرات والبركات ما تتضاعف به مسراتهم.

ويتلقون المكاره بالرضا، والاحتساب، والتحمل، والمقاومة لما يمكنهم مقاومته، وتخفيف ما يمكنهم تخفيفُه، وبالصبر الجميل لما لابد لهم منه، فيحصل لهم بسبب ذلك خيرات عظيمة تضمحل معها المكاره، وتحل محلها المسار والآمال الطيبة[٢].

يقول عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: «أصبحت والسراء والضراء مطيتان على بابي؛ لا أبالي أيهما ركبت» [٣].

٥ـ سكون القلب وطمأنينة النفس، وراحة البال: فهذه الأمور من ثمرات الإيمان بالقدر، وهي داخلة في كثير مما مضى ذكره من الثمرات، وهي مطلبٌ

(١) انظر كلاماً جميلاً في هذا المعنى في كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي ص٢٨٧ـ٢٩٠.

(٢) انظر الهمة العالية ص٢٢١ـ٢٣٠.

(٣) الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبدالعزيز الخليفة الخائف الخاشع لعمر بن محمد الخضر المعروف بالملاء، تحقيق د. محمد صدقي البورنو ٤٣٦/٢.

مُلِحٌ، وهدف منشود، وغاية مُبْتَغاةٌ؛ فكل من في الأرض يبتغيها، ويبحث عنها، ويسعى لها سعيها، ولكن كما قيل:

كل من في الوجود يطلب صيداً غير أن الشباك مختلفاتُ

فلا يدرك هذه الأمور، ولا يجد حلاوتها، ولا يعلم ثمراتها ـ إلا من آمن بالله وقضائه وقدره؛ فالمؤمن بالقدر ساكن القلب، مطمئن النفس، مرتاح البال، لا يفكر كثيراً في احتمال الشر، ثم إن وقع لم يطِرْ له قلبه شَعاعاً، بل يتحمل ذلك بثبات وصبر؛ إن مرض لم يضاعف مرضه بوهمه، وإن نزل به مكروه قابله بجأش رابط فخفف حدته؛ فمن الحكمة ألا يجمع الإنسان على نفسه بين الألم بتوقع الشر، والألم بحصول الشر.

بل يسعد ما دامت أسباب الحزن بعيدة عنه، فإذا حدثت قابلها بشجاعة واعتدال.

وإنك لتجد عند خواصِّ المسلمين من العلماء العاملين، والعباد القانتين المتبعين من سكون القلب وطمأنينة النفس ما لا يخطر ببال، ولا يدور حول ما يشبهه خيال؛ فلهم في ذلك الشأن القِدْحُ المعلى، والنصيب الأوفى[(١)].

فهذا أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ورضي عنه يقول: «أصبحت وما لي

---

(١) انظر كلاماً جميلاً في هذا المعنى في كتاب الوسائل المفيدة للحياة السعيدة للشيخ عبدالرحمن السعدي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن السعدي قسم الثقافة الإسلامية ٢/٤٨١ـ٤٩٥.

سرورٌ إلا في مواضع القضاء والقدر»[(١)].

وهذا شيخ الإسلام أبو العباس أحمد ابن تيمية رحمه الله يقول: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة»[(٢)].

ويقول مقولته المشهورة عندما زُجَّ به في غياهب السجن: «ما يصنع أعدائي بي؛ أنا جنتي وبستاني في صدري؛ أين رُحْت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة»[(٣)].

بل إنك واجدٌ عند عوام المسلمين من سكون القلب وراحة البال، وبرد اليقين ما لا تجده عند كبار المفكرين والكتاب والأطباء من غير المسلمين[(٤)]؛ فكم من الأطباء من غير المسلمين ـ على سبيل المثال ـ من يعجب، ويذهب به العَجَبُ كل مذهب إذا أشرف على علاج مريض مسلم، وتبين له أنه مصاب بداء خطير ـ كالسرطان مثلاً ـ فترى هذا الطبيب يحتار في كيفية إخبار المريض بِعلَّته، فتجده

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢٨٧/١، وانظر سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبدالحكم ص٩٧.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ص٦٩، والشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية لمرعي الكرمي الحنبلي ص٣٤.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٤٠٢/٢، وانظر الوابل الصيب ص٦٩.

(٤) يقول ابن تيمية رحمه الله: «فأما الذي أوتيه علماء أهل الحديث وخواصهم من اليقين والمعرفة ـ فأمرٌ يجلُّ عن الوصف، ولكن عند عوامِّهم من اليقين، والعلم النافع ما لم يحصل منه شيء لأئمة المتفلسفة المتكلمين، وهذا ظاهر مشهود لكل أحد» نقض المنطق لابن تيمية ص٢٦.

يقَدِّم رجلاً ويؤَخِّر أخرى، وتجده يمهد الطريق، ويضع المقدمات، كل ذلك خشيةً من شدة تأثر المريض بسماع هذا الخبر.

وما أن يُعْلِمُهُ بمرضه، ويصارحه بعلته ـ إلا ويفاجأ بأن هذا المريض يستقبل الخبر بنفس راضية، وصدر رحب، وسكينة عجيبة.

لقد أدهش كثيراً من غير المسلمين إيمانُ المسلمين بالقضاء والقدر، فكتبوا في هذا الشأن معبرين عن دهشتهم، مسجلين شهادتهم بقوة عزائم المسلمين، وكبر نفوسهم، وحسن استقبالهم لصعوبات الحياة.

فهذه شهادة حق من قوم حرموا الإيمان بالله، وبقضائه وقدره.

ومليحةٍ شهدت لها ضراتها والفضل ما شهدت به الأعداءُ

ومن هؤلاء الذين كتبوا في هذا الشأن ذلك الكاتب المشهور «ر.ن.س.بودلي» مؤلف كتابَي: «رياح على الصحراء» و«الرسول» وأربعة عشر كتاباً آخر، والذي أورد رأيه «ديل كارنيجي[1]» في كتابه «دع القلق وابدأ الحياة» في مقالة بعنوان «عشت في جنة الله».

يقول بودلي: «في عام ١٩١٨ ولَّيت ظهري العالمَ الذي عرفته طيلة حياتي، ويممت شطر أفريقيا الشمالية الغربية، حيث عشت بين الأعراب في الصحراء،

(١) هو الأمريكي المؤسس لمعهد العلاقات الإنسانية بنيويورك، مؤلف كتاب «دع القلق وابدأ الحياة» وكتاب «كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس»، وقد سرت كتبه في الناس وتُرجمت إلى لغات عديدة. انظر مقدمة «دع القلق وابدأ الحياة» تعريب عبدالمنعم الزيَّادي.

وقضيت هناك سبعة أعوام، أتقنت خلالها لغة البدو، وكنت أرتدي زيهم، وآكل من طعامهم، وأتخذ مظاهرهم في الحياة، وغدوت مثلهم أمتلك أغناماً، وأنام كما ينامون في الخيام، وقد تعمقت في دراسة الإسلام، حتى إنني ألفت كتاباً عن محمد ﷺ عنوانه (الرسول) وكانت تلك الأعوام السبعة التي قضيتها مع هؤلاء البدو الرُّحَّل من أمتع سني حياتي، وأحفلها بالسلام، والاطمئنان، والرضا بالحياة.

وقد تعلمت من عرب الصحراء كيف أتغلب على القلق؛ فهم بوصفهم مسلمين يؤمنون بالقضاء والقدر، وقد ساعدهم هذا الإيمان على العيش في أمان، وأَخْذِ الحياة مأخذاً سهلاً هَيِّنَاً، فهم لا يتعجلون أمراً، ولا يلقون بأنفسهم بين براثن الهم قلقاً على أمر.

إنهم يؤمنون بأن ما قُدِّر يكون، وأن الفرد منهم لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

وليس معنى هذا أنهم يتواكلون أو يقفون في وجه الكارثة مكتوفي الأيدي، كلاَّ».

ثم أردف قائلاً: «ودعني أضرب لك مثلاً لما أعنيه: هَبَّتْ ذات يوم عاصفةٌ عاتيةٌ حملت رمال الصحراء وعبرت بها البحر الأبيض المتوسط، ورمت بها وادي (الرون) في فرنسا، وكانت العاصفة حارةً شديدةِ الحرارة، حتى أحسست كأن رأس شعري يتزعزع من منابته؛ لفرط وطأة الحر، وأحسست من فرط القيظ كأنني مدفوع إلى الجنون.

ولكنَّ العربَ لم يشْكُوا إطلاقاً، فقد هزوا أكتافهم، وقالوا كلمتهم المأثورة: «قضاء مكتوب».

لكنهم ما إن مرت العاصفة حتى اندفعوا إلى العمل بنشاط كبير، فذبحوا صغار الخراف قبل أن يودي القيظ بحياتها، ثم ساقوا الماشية إلى الجنوب نحو الماء.

فعلوا هذا كله في صمت وهدوء، دون أن تبدو من أحدهم شكوى.

قال رئيس القبيلة ـ الشيخ ـ: لم نفقد الشيء الكبير؛ فقد كنا خليقين بأن نفقد كل شيء، ولكن حمداً لله وشكراً؛ فإن لدينا نحو أربعين في المائة من ماشيتنا، وفي استطاعتنا أن نبدأ عملنا من جديد».

ثم قال بودلي: «وثمة حادثة أخرى، فقد كنا نقطع الصحراء بالسيارة يوماً، فانفجر أحد الإطارات، وكان السائق قد نسي استحضار إطار احتياطي، وتولاني الغضب، وانتابني القلق والهم، وسألت صحبي من الأعراب: ماذا عسى أن نفعل؟.

فذكروني بأن الاندفاع إلى الغضب لن يجدي فتيلاً، بل هو خليق أن يدفع الإنسان إلى الطيش والحمق.

ومن ثم درجت بنا السيارة وهي تجري على ثلاث إطارات ليس إلا، ولكنها ما لَبِثَتْ أن كفَّت عن السير، وعَلِمْتُ أن البنزين قد نفد.

وهنالك ـ أيضاً ـ لم تَثُرْ ثائرةُ أحدٍ من رفاقي الأعراب، ولا فارقهم هدوؤهم، بل مضوا يذرعون الطريق سيراً على الأقدام».

وبعد أن استعرض بودلي تجربته مع عرب الصحراء علق قائلاً: «قد أقنعتني الأعوام السبعة التي قضيتها في الصحراء بين الأعراب الرُّحل ـ أن الملتاثين، ومرضى النفوس، والسِّكِّيرين الذي تحفل بهم أمريكا وأوربا ما هم إلا ضحايا المدنية التي تتخذ السرعة أساساً لها.

إنني لم أعانِ شيئاً من القلق قط وأنا أعيش في الصحراء، بل هنالك في جنة الله وجدت السكِينة، والقناعة، والرضا».

وأخيراً ختم كلامه بقوله: «وخلاصة القول: أنني بعد انقضاء سبعة عشر عاماً على مغادرتي الصحراء ـ ما زلت أتخذ موقف العرب حيال قضاء الله، فأقبل الحوادث التي لا حيلة لي فيها بالهدوء والامتثال والسكينة.

ولقد أفلحت هذه الطباع التي اكتسبتها من العرب في تهدئة أعصابي أكثر مما تفلح آلاف المسكِّنات والعقاقير الطبية» [(١)].

(١) دع القلق وابدأ الحياة، ديل كارنيجي ص٢٩١ـ٢٩٥، وانظر الإيمان بالقضاء والقدر وأثره على القلق النفسي لطريفة بنت سعود الشويعر ص٧٤ـ٧٥.

الباب الثاني

مسائل وإشكالات حول القدر

وتحته ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مسائل في القدر

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالقدر ومشيئة العبد واختياره

المبحث الثاني: فعل الأسباب والإيمان بالقضاء والقدر

المبحث الثالث: الاحتجاج بالقدر

الفصل الثاني: الحكمة والتعليل في أفعال الله

وتحته تمهيد، وأربعة مباحث:

المبحث الأول: نسبة الشر إلى الله ـ تعالى ـ وحكم ذلك، والحكمة من إرادة الله لما لا يحبه

المبحث الثاني: الحكمة من خلق إبليس، وخلق المصائب والآلام

المبحث الثالث: الحكمة من خلق المعاصي وتقديرها

المبحث الرابع: الرضا بقدر الله، وحكم ذلك

الفصل الثالث: إشكالات حول القدر

وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: مسألة القدر المثبت، والقدر المعلق، أو المحو والإثبات في

القدر ، وزيادة العمر ونقصانه

المبحث الثاني : الإنسان بين التسيير والتخيير

المبحث الثالث : مسألة الهداية والإضلال

المبحث الرابع : التوفيق بين استئثار الله بعلم ما في الأرحام وبين علم الأطباء بذكورة الجنين في الرحم من أنوثته؟

الفصل الأول

مسائل في القدر

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالقدر ومشيئة العبد واختياره

المبحث الثاني: فعل الأسباب والإيمان بالقضاء والقدر

المبحث الثالث: الاحتجاج بالقدر

المبحث الأول

الإيمان بالقدر ومشيئة العبد واختياره

الإيمان بالقدر ـ على ما مرَّ ـ لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، وأن يكون له قدرة عليها، فقد دل على ذلك الشرع والواقع.

أما الشرع: فالأدلة على ذلك كثيرة جداً ومنها قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ سورة النبأ: ٣٩، وقوله: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ سورة البقرة:٢٢٣، وقوله: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ سورة البقرة: ٢٨٦، وقوله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ سورة آل عمران: ١٣٣، وقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ سورة الكهف: ٢٩.

أما الواقع: فكل إنسان يعلم أن له مشيئةً، وقدرةً يفعل بهما ويترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته، كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش(١).

لكنَّ مشيئته، وقدرته واقعتان بمشيئة الله وقدرته، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة التكوير:٢٨ـ٢٩.

---

(١) انظر منهاج السنة، لابن تيمية ٣/١٠٩ـ١١٢، والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص٤٥ و١٦٦ـ١٦٩، وانظر رسائل في العقيدة لابن عثيمين ٣٧ـ٣٨، والقضاء والقدر لابن عثيمين ١٥ـ١٧.

وتوضيح ذلك كما قال العلامة ابن سعدي[١] رَحِمَهُ اللَّهُ: «أن العبد إذا صلى، وصام، وعمل الخير، أو عمل شيئاً من المعاصي ـ كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح، والعمل السيِّئ.

وفعله المذكور ـ بلا ريب ـ واقع باختياره، وهو يحس ـ ضرورة ـ أنه غير مجبور على الفعل أو الترك، وأنه لو شاء لم يفعل.

وكما أن هذا هو الواقع، فهو الذي نص الله عليه في كتابه، ونص عليه رسولهﷺ حيث أضاف الأعمال صالحها، وسيِّئها إلى العباد، وأخبر أنهم هم الفاعلون لها، وأنهم محمودون عليها إذا كانت صالحة، ومثابون عليها، ومذمومون إذا كانت سيئة، ومعاقبون عليها.

فقد تبين بهذا واتضح أنها واقعة منهم وباختيارهم، وأنهم إن شاؤوا فعلوا، وإن شاؤوا تركوا، وأن هذا الأمر ثابت عقلاً وحساً، وشرعاً، ومشاهدة.

ومع ذلك إذا أردت أن تعرف أنها ـ وإن كانت كذلك ـ واقعة منهم، كيف

---

(١) هو الشيخ العلامة المحقق أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر آل سعدي التميمي، ولد في عنيزة في القصيم سنة ١٣٠٧هـ، وتوفي سنة ١٣٧٦هـ، ترك جمعاً غفيراً من التلاميذ على رأسهم الشيخ محمد بن عثيمين والشيخ عبدالله بن بسام والشيخ عبدالعزيز السلمان ـ رحمهم اللهـ والشيخ عبدالله بن عقيل وغيرهم كثير، وترك مصنفات نافعة منها: تفسيره، وخلاصة التفسير، والقواعد الحسان، والفتاوى، وغيرها.

انظر «الشيخ عبدالرحمن السعدي مفسراً» للشيخ عبدالله بن سابح الطيار، و«علامة القصيم» للشيخ الدكتور عبدالله بن محمد الطيار، و«الشيخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في العقيدة» للشيخ الدكتور عبدالرزاق العباد.

تكون داخلة في القدر؟ وكيف تشملها المشيئة؟ فيقال:بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرُها؟ فيقال: بقدرتهم، وإرادتهم.

والذي خلق ما تقوم به الأفعال هو الذي خلق الأفعال؛ فهذا الذي يحل الإشكال، ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر، والقضاء، والاختيار.

ومع ذلك فهو ـ تعالى ـ أمد المؤمنين بأسباب، وألطاف، وإعانات متنوعة، وصرف عنهم الموانع، كما قال ﷺ: «وأما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة»[١].

وكذلك خذل الفاسقين، ووكلهم إلى أنفسهم؛ لأنهم لم يؤمنوا به، ولم يتوكلوا عليه، فولاَّهم ما تولوه لأنفسهم»[٢].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٤٧).

(٢) التنبيهات اللطيفة ص٨٢ـ٨٣، وانظر لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، ص٢٢، وانظر شرح الواسطية، للهراس، ص٢٢٨، وانظر صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، للشيخ محمد بشير السهسواني الهندي ص٢٣٩ـ٢٤٣.

المبحث الثاني

فعل الأسباب والإيمان بالقضاء والقدر

فعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر، بل إن مباشرتها من تمام الإيمان بالقضاء والقدر.

«ولهذا يجب على العبد ـ مع الإيمان بالقدر ـ الاجتهادُ في العمل، والأخذ بأسباب النجاة، والالتجاء إلى الله ـ تعالى ـ بأن ييسر له أسباب السعادة، وأن يعينه عليها»[١].

ونصوص الكتاب والسنة حافلة بالأمر باتخاذ الأسباب المشروعة في مختلف شؤون الحياة؛ فقد أمرت بالعمل، والسعي في طلب الرزق، واتخاذ العدد لمواجهة الأعداء، والتزود للأسفار، وغير ذلك.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ﴾ سورة الجمعة: ١٠، وقال: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ سورة الملك: ١٥، وقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ سورة الأنفال: ٦٠، وأمر المسافرين للحج بالتزود، فقال: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ سورة البقرة: ١٩٧، وأمر بالدعاء والاستعانة، فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ سورة غافر: ٦٠، وقال: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ سورة البقرة: ٤٥.

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبدالله الغنيمان ٢/٦٢٩.

وأمر باتخاذ الأسباب الشرعية التي تؤدي إلى رضوانه، وجنته، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج.

وحياةُ الرسول ﷺ وأصحابه، بل حياة المسلمين جميعاً، والسائرين على نهجهم ـ كلها شاهدة على أخذهم بالأسباب، والجد، والاجتهاد[1].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: «ويظن كثير من الناس أن إثبات الأسباب ينافي الإيمان بالقضاء والقدر، وهذا غلط فاحش جدّاً، وهو عائد على القدر بالإبطال، وهو إبطال ـ أيضاً ـ للحكمة.

وكأن هذا الظَّانَّ يقول ويعتقد أن الإيمان بالقدر هو اعتقاد وجود الأشياء بدون أسبابها الشرعية والقدرية، وهذا نفي للوجود لها، فإنها ـ كما ذكرنا ـ أن الله ربط الكون بعضه ببعض، ونظم بعضه ببعض، وأوجد بعضه ببعض، فهل تقول أيها الظَّان جهلاً: إن الأولى إيجاد البناء من دون بنيان؟ وإيجاد الحبوب، والثمار، والزروع من دون حرث وسقي؟ وإيجاد الأولاد والنسل من دون نكاح؟ وإدخال الجنة من دون إيمان وعمل صالح؟ وإدخال النار من دون كفر ومعصية؟

بهذا الظن أبطلت القدر، وأبطلت معه الحكمة، أما علمت أن الله بحكمته، وكمال قدرته جعل للمسببات أسباباً؟ وللمقاصد طرقاً ووسائل تحصل بها؟ وقرر هذا في الفطر، والعقول، كما قرره في الشرع، وكما نفذه في الواقع؛ فإنه أعطى كل شيء خلقه اللائق به، ثم هدى كل مخلوق إلى ما خلق له من أصناف

---

(١) انظر القضاء والقدر، للأشقر ص٨٣ـ٨٤.

السعي، والحركة، والتصرفات المتنوعة، وبنى أمور الدنيا والآخرة على ذلك النظام البديع العجيب الذي شهد ـ أولاً ـ لله بكمال القدرة، وكمال الحكمة، وأشهد العباد ـ ثانياً ـ أن بهذا التنظيم، والتيسير، والتصريف وجّه العاملين إلى أعمالهم، ونشطهم على أشغالهم».

إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: «فطالِبُ الآخرة إذا علم أنها لا تنال إلا بالإيمان والعمل الصالح وترك ضدِّها ـ جدَّ واجتهد في تحقيق الإيمان، وكثرت تفاصيله النافعة، واجتهد في كل عمل صالح يوصله إلى الآخرة، واجتنب في مقابلة ذلك الكفر، والعصيان، وبادر للتوبة النصوح من كل ما وقع منه من ذلك.

وصاحب الحرث إذا علم أنه لا يُنَال إلا بحرث وسقي وملاحظة تامة جد واجتهد في كل وسيلة تنمي حراثته، وتكملها، وتدفع عنها الآفات.

وصاحب الصناعة إذا علم أن المصنوعات على اختلاف أنواعها، ومنافعها لا تحصل إلا بتعلم الصناعة، وإتقانها، ثم العمل بها جد في ذلك.

ومن أراد حصول الأولاد، أو تنمية مواشيه عمل وسعى في ذلك، وهكذا جميع الأمور»[1].

---

(١) الرياض الناضرة، ١٢٥ـ١٢٦، وانظر شفاء العليل ص٥٠ـ٥٣ والشيخ عبدالرحمن ابن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة د. عبدالرزاق العباد من ٨٦ـ٨٩، وانظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن لابن سعدي ص١٢، والقضاء والقدر لأبي الوفاء محمد درويش ص٥٣ـ٦١، والأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ عبدالرحمن الدوسري ص١١٨ـ١٢٤، والتوكل على الله وعلاقته بالأسباب د. عبدالله بن عمر الدميجي ص١٦٣ـ١٩٤.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا ترك العبد ما أُمِرَ به متكلاً على الكتاب كان ذلك من المكتوب المقدور الذي يصير به شَقِيًّا، وكان قوله ذلك بمنزلة من يقول: أنا لا آكل، ولا أشرب؛ فإن كان الله قضى بالشبع والريِّ حصل، وإلا لم يحصل، أو يقول: لا أجامع امرأتي فإن كان الله قضى لي بولد، فإنه يكون.

وكذلك من غلط فترك الدعاء، أو ترك الاستعانة، والتوكل ظانًّا أن ذلك من مقامات الخاصة، ناظراً إلى القدر، فكل هؤلاء جاهلون ضالون، ويشهد لهذا ما رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت، كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»[١].

فأمره بالحرص على ما ينفعه، والاستعانة بالله، ونهاه عن العجز الذي هو الاتكال على القدر، ثم أمره إذا أصابه شيء ألا ييأس على ما فاته، بل ينظر إلى القدر، ويسلم الأمر لله؛ فإنه هنا لا يقدر على غير ذلك، كما قال بعض العقلاء: الأمور أمران: أمر فيه حيلة، وأمر لا حيلة فيه، فما فيه حيلة لا يعجز عنه، وما لا حيلة فيه لا يجزع منه»[٢].

ومما يقال لهؤلاء الذين يتركون العمل اعتماداً على القدر ـ إن الذي قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) مجموع الفتاوى، ٢٨٤/٨ـ٢٨٥، وانظر السنن الإلهية، د.عبدالكريم زيدان ص٢١ـ٣٣.

سنة »[١]، والذي قال: « ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار »[٢] هو الذي قال: « اعملوا فكل ميسر لما خلق له »[٣]، ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ سورة البقرة: ٨٥.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) رواه البخاري (١٣٦٢ و ٤٩٤٥)، ومسلم(٢٦٤٧).

(٣) رواه مسلم (٢٦٤٧).

المبحث الثالث

الاحتجاج بالقدر على فعل المحرمات و ترك الواجبات

الإيمان بالقدر لا يمنح العاصي حجة على ما ترك من الواجبات، أو فَعَلَ من المعاصي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين، وسائر أهل الملل، وسائر العقلاء؛ فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس، وأخذ الأموال، وسائر أنواع الفساد في الأرض، ويحتج بالقدر.

ونفس المحتجّ بالقدر إذا اعتدي عليه، واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه، بل يتناقض، وتناقض القول يدل على فساده، فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول» [١].

وبما أن هذا الأمر مما يعمّ به البلاء فهذا إيراد لبعض الأدلة الشرعية والعقلية، والواقعية التي يتضح من خلالها بطلان الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الطاعات [٢].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧٩/٨، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم ٨٥٨/٢ـ٨٥٩.

(٢) انظر منهاج السنة النبوية، ٦٥/٣ـ٧٨، وانظر مجموع الفتاوى ٢٦٢/٨ـ٢٦٨، وإيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة للصنعاني ص٣٠٦، ورسائل في العقيدة ٣٨ـ٣٩، وانظر لمعة الاعتقاد بشرح الشيخ محمد ابن عثيمين ٩٣ـ٩٥.

١ـ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾ سورة الأنعام: ١٤٨، فهؤلاء المشركون احتجوا بالقدر على شركهم، ولو كان احتجاجهم مقبولاً صحيحاً ما أذاقهم الله بأسه.

ولهذا قال الله لهم: ﴿ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾ أي هل عندكم دليل صحيح، فتخرجوه لنا؛ لننظر فيه، ونتدبره.

والمقصود من هذا التبكيت لهم؛ لأنه قد عَلِم أنه لا عِلْم عندهم يصلح للحجة، ويقوم به البرهان، ثم أوضح لهم أنهم ليسوا على شيء من العلم، وأنهم إنما يتبعون الظنون، التي هي محل الخطأ، ومكان الجهل[1].

٢ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لئلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ سورة النساء: ١٦٥.

فلو كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي سائغاً لما كان هناك داعٍ لإرسال الرسل؛ فلم يبق للخلق على الله حجة بعد إرساله الرسل تترى يبينون للناس أمر دينهم، ومراضي ربهم[2].

٣ـ أن الله أمر العبد ونهاه، ولم يكلِّفه إلا ما يستطيع، قال ـتعالىـ: ﴿ فَاتَّقُوا

---

(١) انظر فتح القدير للشوكاني ٢/٢١٦.

(٢) انظر تفسير السعدي ٢/٢١٨.

اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ سورة التغابن: ١٦، وقال: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ سورة البقرة: ٢٨٦.

ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلَّفاً بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل، ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه ـ فلا إثم عليه لأنه معذور.

٤ـ أن القدر سرٌّ مكتوم، لا يعلمه أحد من الخلق إلا بعد وقوعه، وإرادة العبد لما يفعله سابقة لفعله، فتكون إرادته للفعل غير مبنية على علمٍ بقدر الله، فادعاؤه أن الله قدَّر عليه كذا وكذا ادِّعاءٌ باطل؛ لأنه ادعاءٌ لعلم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله، فحجَّته إذاً داحضة؛ إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

٥ـ أننا لو سلَّمنا للمحتج بالقدر على الذنوب لعطَّلنا الشرائع.

٦ـ لو كان الاحتجاج بالقدر ـ على هذا النحو ـ حجة لقُبل من إبليس الذي قال: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ سورة الأعراف: ١٦.

٧ـ ولو كان حجة هؤلاء مقبولة ـ أيضاً ـ لتساوى فرعون عدو الله، مع موسى كليم الله ـ عليه السلام ـ.

٨ـ الاحتجاج بالقدر على الذنوب والمعائب تصحيح لمذهب الكفار، وهذا لازم لهذا المحتج، لا ينفكّ عنه.

٩ـ ولو كان حجة لاحتجَّ به أهل النار، إذا عاينوها، وظنوا أنهم مواقعوها، كذلك إذا دخلوها، وبدأ توبيخهم وتقريعهم، هل يحتجون بالقدر على معاصيهم وكفرهم؟

الجواب: لا؛ بل إنهم يقولون كما قال ـ عز وجل ـ عنهم: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ سورة إبراهيم: ٤٤، ويقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ سورة المؤمنون: ١٠٦، وقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ سورة الملك: ١٠، وقالوا: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ سورة المدثر: ٤٣، إلى غير ذلك مما يقولون.

ولو كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي سائغاً لاحتجوا به؛ فهم بأمس الحاجة إلى ما ينقذهم من النار.

١٠ـ ومما يردُّ هذا القول ـ أيضاً ـ أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه في أمور دنياه حتى يدركه، ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر.

فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟!

وإليك مثالاً يوضح ذلك: لو أراد إنسان السفر إلى بلد، وهذا البلد له طريقان أحدهما آمن مطمئن، والآخر كله فوضى واضطراب، وقتل، وسلب، فأيهما سيسلك؟

لا شك أنه سيسلك الطريق الأول، فلماذا لا يسلك في أمر الآخرة طريق الجنة دون طريق النار؟

١١ـ ومما يمكن أن يرد به على هذا المحتج ـ بناء على مذهبه ـ أن يقال له: لا تتزوج؛ فإن كان الله قد قضى لك بولد فسيأتيك، وإلا فلن، ولا تأكل ولا تشرب؛ فإن قدَّر الله لك شبعاً وريَّاً فسيكون، وإلا فلن، وإذا هاجمك سَبُعٌ ضَارٍ

فلا تفر منه؛ فإن قدَّر الله لك النجاة فستنجو، وإن لم يقدرها لك فلن ينفعك الفرار، وإذا مرضت فلا تتداوَ؛ فإن قدَّر الله لك شفاءً شفيت، وإلا فلن ينفعك الدواء.

فهل سيوافقنا على هذا القول أم لا؟ إن وافقنا علِمْنا فساد عقله، وإن خالفنا علمنا فساد قوله، وبطلان حجته.

١٢ـ المحتج بالقدر على المعاصي شبَّه نفسه بالمجانين، والصبيان؛ فهم غير مكلفين، ولا مؤاخذين، ولو عومل معاملتهم في أمور الدنيا لما رضي.

١٣ـ لو قبلنا هذا الاحتجاج الباطل لما كان هناك حاجة للاستغفار، والتوبة، والدعاء، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٤ـ لو كان القدر حجَّة على المعائب والذنوب لتعطلت مصالح الناس، ولعمَّت الفوضى، ولما كان هناك داعٍ للحدود، والتعزيرات، والجزاءات؛ لأن المسيء سيحتج بالقدر، ولما احتجنا لوضع عقوبات للظَلَمة، وقطَّاع الطرق، ولا إلى فتح المحاكم، ونصب القضاة؛ بحجة أن كل ما وقع إنما وقع بقدر الله، وهذا لا يقول به عاقل.

١٥ـ أن هذا المحتج بالقدر الذي يقول: لا نؤاخذ؛ لأن الله كتب ذلك علينا؛ فكيف نؤاخذ بما كُتِبَ علينا؟

يُقال له: إننا لا نؤاخذ على الكتابة السابقة، إنما نؤاخذ بما فعلناه، وكسبناه، فلسنا مأمورين بما قدره الله لنا، أو كتبه علينا، وإنما نحن مأمورون بالقيام بما يأمرنا به؛ فهناك فرق بين ما أريد بنا، وما أريد منا، فما أراده الله بنا طواه عنا،

وما أراده منه أمرنا بالقيام به.

ومما تجدر الإشارة إليه ـ أن احتجاج كثير من هؤلاء ليس ناتجاً عن قناعة وإيمان، وإنما هو ناتج عن نوع هوى ومعاندة؛ ولهذا قال بعض العلماء فيمن هذا شأنه: «أنت عند الطاعة قدري؛ وعند المعصية جبري، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به»[(١)].

يعني أنه إذا فعل الطاعة نسب ذلك إلى نفسه، وأنكر أن يكون الله قدر ذلك له، وإذا فعل المعصية احتج بالقدر.

وبالجملة فإن الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي، أو ترك الطاعات احتجاج باطل في الشرع، والعقل، والواقع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عن المحتجين بالقدر: «هؤلاء القوم إذا أصروا على هذا الاعتقاد كانوا أكفر من اليهود والنصارى»[(٢)].

الصورة الجائزة المسوغة للاحتجاج بالقدر:

يسوغ الاحتجاج بالقدر عند المصائب التي تحل بالإنسان كالفقر، والمرض، وفقد القريب، وتلف الزرع، وخسارة المال، وقتل الخطأ، ونحو ذلك؛ فهذا من تمام الرضا بالله ربّاً، فالاحتجاج إنما يكون على المصائب، لا المعائب، «فالسعيد

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠٧/٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٦٢/٨.

يستغفر من المعائب، ويصبر على المصائب، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ سورة غافر: ٥٥.

والشقي يجزع عند المصائب، ويحتج بالقدر على المعائب»[1].

ويوضح ذلك المثال الآتي: لو أن رجلاً قتل آخر عن طريق الخطأ، ثم لامه من لامه، واحتج القاتل بالقدر، لكان احتجاجه مقبولاً، ولا يمنع ذلك من أن يؤاخذ.

ولو قَتَلَ رجلٌ رجلاً عن طريق العمد، ثم قُرِّع القاتل، ووُبِّخ على ذلك، ثم احتج بالقدر لم يكن الاحتجاج منه مقبولاً؛ ولهذا حجَّ آدم موسى ـ عليهما السلام ـ كما في قوله ﷺ في محاجتهما: «احتج آدم موسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قد قدّر عليَّ قبل أن أخلق؟ فحجَّ آدم موسى»[2].

فآدم ـ عليه السلام ـ لم يحتج بالقدر على الذنب كما يظن ذلك بعض الطوائف، وموسى ـ عليه السلام ـ لم يلُمْ آدم على الذنب؛ لأنه يعلم أن آدم استغفر ربه وتاب، فاجتباه ربه، وتاب عليه، وهداه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/٤٥٤، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٨٥٧ـ٨٥٨.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٢).

ولو أن موسى لام آدم على الذنب لأجابه: إنني أذنبت فتبت، فتاب الله عليَّ، ولقال له: أنت يا موسى ـ أيضاً ـ قتلت نفساً، وألقيت الألواح إلى غير ذلك، إنما احتج موسى بالمصيبة فحجَّه آدم بالقدر[1].

«فما قدر من المصائب يجب الاستسلام له؛ فإنه من تمام الرضا بالله ربّاً، أما الذنوب فليس لأحد أن يُذنب، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب، فيتوب من المعائب، ويصبر على المصائب»[2].

وممن يسوغ له الاحتجاج بالقدر التائبُ من الذنب، فلو لامه أحد على ذنب تاب منه لساغ له أن يحتج بالقدر.

فلو قيل لأحد التائبين: لم فعلت كذا وكذا؟ ثم قال: هذا بقضاء الله وقدره، وأنا تبت واستغفرت، لقُبل منه ذلك الاحتجاج[3].

ثم إنه لا يسوغ لأحد أن يلوم التائب من الذنب؛ فالعبرة بكمال النهاية، لا بنقص البداية.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٧٨/٨، ومنهاج السنة ٧٨/٣ـ٨١، والاحتجاج بالقدر لابن تيمية ص١٨ـ٢٢، والفرقان لشيخ الإسلام ص١٠٣ـ١٠٥، والتدمرية ص٢٣٠ـ٢٣١، والآداب الشرعية لابن مفلح ٢٥٨/١ـ٢٦٠، والبداية والنهاية لابن كثير ٨٣/١ـ٨٧، وإيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة للصنعاني ص٣٧٧ـ٣٩٥.

(٢) شرح الطحاوية ص١٤٧، وانظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية ١٦٣/٥، والتدمرية ص٢٣١، وانظر المسائل التي لخصها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب من فتاوى ابن تيمية ص٣٤.

(٣) انظر شفاء العليل ص٣٥، وانظر القضاء والقدر، لأسعد محمد الصاغرجي ص٢٤، وتقريب التدمرية لابن عثيمين ص١١٥.

الفصل الثاني

الحكمة والتعليل في أفعال الله

وتحته تمهيد، وأربعة مباحث:

المبحث الأول: نسبة الشر إلى الله ـ تعالى ـ وحكم ذلك، والحكمة من إرادة الله لما لا يحبه

المبحث الثاني: الحكمة من خلق إبليس، وخلق المصائب والآلام

المبحث الثالث: الحكمة من خلق المعاصي وتقديرها

المبحث الرابع: الرضا بقدر الله، وحكم ذلك

تمهيد

مسألة تعليل أفعال الله، وإثبات الحكمة فيها من أجل مسائل التوحيد المتعلقة بالخلق والأمر، والشرع والقدر.

والحديث في هذا المقام لا يسمح بالتفصيل.

وقد اختلف الناس فيها على أقوال شتى، ولكنَّها ترجع إلى قولين.

أحدهما: قول نفاة الحكمة، وهو قول الأشاعرة ومن وافقهم ممن يرى أن الله ـ عز وجل ـ قدر المقادير، وشرع الشرائع لغير علة، أو حكمة، بل فعل ذلك لمحض المشيئة، وصرف الإرادة.

الثاني: قول الجمهور الذين يثبتون الحكمة، وأنَّ لله في كل ما يقضيه حكمةً ورحمة.

وهذه الحكمة تتضمن شيئين:

أحدهما: حكمة تعود إليه ـ تعالى ـ يحبها ويرضاها.

والثاني: حكمة تعود إلى عباده، فهي نعمة عليهم يفرحون، ويلتذون بها. وهذا يكون في المأمورات، والمخلوقات[1].

---

(1) انظر أصول الدين للبغدادي ص١٥٠ـ١٥١، مجموع الفتاوى ٣٥/٨ـ٣٦، وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلاميه لابن تيمية ١٩٧/١ـ٢٠٣، وشرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ص٢٦١ـ٢٦٣، والقضاء والقدر د.عبدالرحمن المحمود ٢٤٢ـ٢٤٨، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبدالرحمن المحمود ١٣١٠/٣ـ١٣١٢.

يقول ابن القيم رحمه الله مقرراً حكمة الله ـ تبارك وتعالى ـ فيما يقدره ويشرعه: «ولو ذهبنا نذكر ما يطلع عليه أمثالُنا من حكمة الله في خلقه لزاد ذلك على عشرة آلاف موضع مع قصور أذهاننا، ونقص عقولنا ومعارفنا، وتلاشيها، وتلاشي علوم الخلائق جميعهم كتلاشي ضوء السراج في عين الشمس، وهذا تقريب وإلا فالأمر فوق ذلك»[1].

وقال رحمه الله: «وكيف يتوهم ذو فطرة صحيحة خلاف ذلك، وهذا الوجود شاهد بحكمته، وعنايته بخلقه أتم عناية، وما في مخلوقاته من الحكمة، والمصالح، والمنافع، والغايات المطلوبة، والعواقب الحميدة ـ أعظم من أن يُحيطَ به وصفٌ، أو يحصرَه عقل؟!»[2].

وقال رحمه الله: «وجماع ذلك أن كمال الرب ـ تعالى ـ وجلاله، وحكمته، وعدله، ورحمته، وإحسانه، وحمده، ومجده، وحقائق أسمائه الحسنى ـ تمنع كون أفعاله صادرة منه لا لحكمة، ولا لغاية مطلوبة.

وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك، وتشهد ببطلانه»[3].

وبعد هذا التمهيد ينتقل الحديث إلى المباحث التالية التي تقرر هذا المعنى.

---

(1) شفاء العليل ص٤١٩.

(2) شفاء العليل، ص٤١٨.

(3) شفاء العليل ص٤١٨.

المبحث الأول

نسبة الشر إلى الله ـ تعالى ـ وحكم ذلك، والحكمةُ من إرادة الله لما لا يحبه

المطلب الأول: نسبة الشر إلى الله ـ تعالى ـ وحكم ذلك:

إذا سأل سائل فقال: نحن نؤمن بالقدر خيره وشره من الله، فهل تصح نسبة الشر إلى الله ـ تعالى ـ؟ وهل يقع في أفعاله شر؟

فالجواب: أن يُقال: إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ منزَّه عن الشر، ولا يفعل إلا الخير، والقدر من حيث نسبته إلى الله لا شر فيه بوجه من الوجوه؛ فإنه علم الله، وكتابتُه، ومشيئته، وخلقُه، وذلك خير محض، وكمال من كل وجه، فالشر ليس إلى الرب بوجه من الوجوه، لا في ذاته، ولا في أسمائه ولا صفاته، ولا في أفعاله.

ولو فَعَلَ الشر ـ سبحانه ـ لاشتُق له منه اسم، ولم تكن أسماؤه كلها حسنى، ولعاد إليه من الشر حكمٌ ـ تعالى وتقدس ـ.

وإنما الشر يدخل في مخلوقاته، ومفعولاته، فالشر في المقضي، لا في القضاء، ويكون شرًّاً بالنسبة إلى محل، وخيراً بالنسبة إلى محل آخر، وقد يكون خيراً بالنسبة إلى المحل القائم به من وجه، كما هو شر من وجه آخر، بل هو الغالب، وهذا كالقصاص، وإقامة الحدود، وقتل الكفار؛ فإنه شرٌ بالنسبة إليهم لا من كل وجه، بل من وجه دون وجه، وخير بالنسبة إلى غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر، والنكال، ودفع الناس بعضهم ببعض.

وكذلك الأمراض ـ وإن كانت شروراً من وجه ـ فهي خيرٌ من وجوهٍ عديدة.

والحاصل أن الشر لا يُنسب إلى الله ـ تعالى ـ ولهذا ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان يثني على ربه بتنزيهه عن الشر بدعاء الاستفتاح في قوله: «لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت»(١).

قال الإمام الصابوني رحمه الله في معنى هذا الحديث: «ومعناه ـ والله أعلم ـ والشر ليس مما يُضاف إلى الله إفراداً أو قصداً حتى يُقال: يا خالق الشر، ويا مقدر الشر وإن كان الخالق والمقدر لهما جميعاً؛ لذلك أضاف الخضر ـ عليه السلام ـ إرادة العيب إلى نفسه فقال ـ فيما أخبر الله عنه في قوله ـ: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ سورة الكهف: ٧٩.

ولمَّا ذكر الخير والبر والرحمة أضاف إرادتها إلى الله ـ عز وجل ـ فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ سورة الكهف: ٨٢.

ولذلك قال مخبراً عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ أنه قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ سورة الشعراء: ٨٠.

فأضاف المرض إلى نفسه، والشفاء إلى ربه، وإن كان الجميع منه»(٢).

قال ابن القيم تعليقاً على هذا الحديث: «فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه، بل كل ما نسب إليه فهو خير، والشر إنما صار شرًّا لانقطاع نسبته وإضافته إليه؛ فلو

(١) رواه مسلم (٧٧١).

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص٢٨٥.

أُضيف إليه لم يكن شرًّا، وهو ـ سبحانه ـ خالق الخير والشر، فالشر في بعض مخلوقاته، لا في خلقه وفعله.

وخلقُهُ، وفعلُه، وقضاؤه، وقدره خيرٌ كله؛ ولهذا تنزَّه ـ سبحانه ـ عن الظلم، الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وُضِع في محله لم يكن شرًّا، فعُلم أن الشر ليس إليه، وأسماؤه الحسنى تشهد بذلك» [١].

وقال ـ أيضاً ـ: «فأسماؤه الحسنى تمنع نسبة الشر، والسوء، والظلم إليه، مع أنه ـ سبحانه ـ الخالق لكل شيء؛ فهو الخالق للعباد، وأفعالهم، وحركاتهم، وأقوالهم، والعبد إذا فعل القبيحَ المنهيَّ عنه، كان قد فعل الشرَّ والسوءَ.

والربُّ ـ سبحانه ـ هو الذي جعله فاعلاً لذلك، وهذا الجَعْل منه عدلٌ وحكمةٌ، وصوابٌ، فَجَعْلُهُ فاعلاً خيرٌ، والمفعولُ شرٌّ قبيح؛ فهو ـ سبحانه ـ بهذا الجعل قد وضع الشيء في موضعه؛ لما له في ذلك من الحكمة البالغة التي يحمد عليها، فهو خير وحكمة، ومصلحة، وإن كان وقوعه من العبد عيباً، ونقصاً، وشرًّا» [٢].

---

(١) شفاء العليل ص٣٦٤ـ٣٦٥، وانظر منهاج السنة ٣/١٤٢ـ١٤٤، والتفسير القيم ص٥٥٠ـ٥٥٦، ومدارج السالكين ١/٤٠٩، وبدائع الفوائد لابن القيم ٢/٢١٤ـ٢١٥، والروضة الندية ص٣٥٤ـ٣٦٠، والحكمة في أفعال الله، د. محمد بن ربيع المدخلي ص١٩٩ـ٢٠٤.

(٢) شفاء العليل ٣٦٦، وانظر ص٣٦٦ـ٣٨٥ من الكتاب نفسه، ومنهاج السنة ١/١٤٥ـ١٤٦ و٣/١٤٢ـ١٤٥، والحسنة والسيئة لابن تيمية ص٥٢ـ٥٣، وطريق الهجرتين ص١٧٢ـ١٨١.

«والحاصل أن الله ـ تعالى ـ لا يُنسب إليه الشر؛ لأنه إن أريد بالشر وضع الشيء في غير موضعه ـ فهو الظلم، ومقابله العدل، والله منزَّه عن الظلم.

وإن أُريد به الأذى اللاحق بالمحل بسبب ذنب ارتكبه ـ فإيجاد الله للعقوبة على ذنب لا يُعد شرًّا له؛ بل ذلك عدلٌ منه ـ تعالى ـ.

وإن أُريد به عدم الخير، وأسبابه الموصلة إليه ـ فالعَدَمُ ليس فعلاً حتى ينسب إلى الله، وليس للعبد على الله أن يوفقه، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، ومنع الفضل ليس بظلم ولا شر» (١).

ثم إن على العبد إذا عرف ما يضره وينفعه أن يَذلَّ لله ـ عز وجل ـ حتى يعينه على فعل ما ينفعه، ولا يقول: أنا لا أفعل حتى يخلق الله فيَّ الفعل، كما أنه لو هجم عليه عدو أو سبع فإنه يهرب ويفر ولا يقول: سأنتظر حتى يخلق الله فيَّ الهرب(٢).

ومن هنا يتبين لنا أن الشر لا ينسب إلى الله ـ عز وجل ـ.

وهذا ما سيتضح في المباحث التالية.

---

(١) الحكمة والتعليل في أفعال الله ص٢٠٢، وانظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي ص٢٨٦ـ٢٨٧.

(٢) انظر القضاء والقدر للمحمود ص٢٨٠.

المطلب الثاني: الحكمة من إرادة الله لما يحبه:

إذا قيل: كيف يريد الله أمراً، وفي الوقت نفسه لا يرضاه ولا يحبه؟ وكيف يجمع بين إرادته له وبغضه وكراهته؟

قيل: إن المراد نوعان: مراد لنفسه، ومراد لغيره، فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير؛ فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد.

والمراد لغيره قد لا يكون مقصوداً لما يريد، ولا فيه مصلحة بالنظر إلى ذاته ـ وإن كان وسيلة إلى مقصوده، ومراده ـ فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، مراد له من حيث قضاؤه، وإيصاله إلى مراده؛ فيجتمع الأمران: بغضه، وإرادته، ولا يتنافيان، فيبغض من وجه، ويحب من وجه آخر.

وهذا أمر معلوم عند الخلق؛ فهذا الدواء الكريه الطعم والرائحة إذا علم الإنسان أن فيه شفاءَه أبغضه من وجه، وأحبه من وجه آخر؛ فيكرهه من جهة تألمه به، ويحبه من جهة إفضائه إلى ما يحب.

وقل مثل ذلك في العضو المتآكل إذا عَلِم أن في قطعه بقاءً لجسده، وكقطع المسافة الشاقة إذا عَلِم أنها توصل إلى مراده، ومحبوبه، كالذي يقطع الفيافي، والمفاوز، والقفار، قاصداً البيت العتيق.

ومن هنا يتبين لنا أن الشيء يجتمع فيه الأمران: بغض من وجه، وحب من وجه آخر، ولا يتنافيان، هذا في شأن المخلوق، فكيف بالخالق الذي لا تخفى

عليه خافية، الذي له الحكمة البالغة؟ فهو ـ سبحانه ـ يكره الشيء، ولا يتنافى ذلك مع إرادته له لأجل غيره، وكونه سبباً إلى أمر محبوب(١).

وهذا ما سيتضح من خلال الأمثلة التالية في المبحثين التاليين.

---

(١) انظرتفصيل ذلك في شفاء العليل ص٣٦٤ـ٤١٢ و ٤٤٥ـ٤٦٠، وطريق الهجرتين ص١٨١ـ١٨٣، والفوائد ص١٣٦ـ١٤٠، ومقدمة مفتاح دار السعادة ص٣ ومابعدها من المقدمة، ومدارج السالكين١/٢٦٤ـ٢٦٩، و٢/١٩٠ـ١٩٨، شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٢ـ٢٥٦، والحكمة والتعليل في أفعال الله ص٢٠٥ـ٢١٠، ولوامع الأنوار البهية ١/٣٣٩ـ٣٤٣.

المبحث الثاني

الحكمة من خلق إبليس، وخلق المصائب والآلام

المطلب الأول: خلق إبليس والحكمة من ذلك:

الله ـ عز وجل ـ خلق إبليس الذي هو مادة الفساد التي تمد كل فساد في هذه الدنيا، في الأديان، والاعتقادات، والشهوات، والشبهات، وهو سبب لشقاوة العباد، وعَمَلِهم ما يغضب الله ـ عز وجل ـ وهو مع ذلك كله وسيلة إلى محابَّ كثيرةٍ، وحكم عظيمة.

إذا تقرر ذلك فهذه بعض الحكم التي تلمسها العلماء من خلق إبليس:

١ـ أن يَظهر للعباد قدرةُ الرب ـ تعالى ـ على خلق المتضادات والمتقابلات: فخلق هذه الذات ـ إبليس ـ التي هي أخبث الذوات، وهي سبب كل شر، وخَلَق في مقابلها ذات جبريل التي هي من أشرف الذوات وأزكاها، والتي هي مادة كل خير، فتبارك من خلق هذا وهذا، كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار، والحر والبرد، والماء والنار، والداء والدواء، والموت والحياة، والحسن والقبيح، فالضد يظهر حسنه الضد، وهذا أدلُّ دليل على كمال قدرته، وعزته، وملكه، وسلطانه؛ فإنه خلق هذه المتضادات، وقابل بعضها ببعض، وسلط بعضها على بعض، وجعلها محل تصرفه، وتدبيره، وحكمته، فخلوُّ الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته، وكمال تصرفه، وتدبير مملكته(١).

---

(١) انظر مدارج السالكين ٢/١٩٠ـ١٩١.

٢ـ أن يُكَمِّلَ الله لأوليائه مراتب العبودية: وذلك بمجاهدة إبليس وحزبه، وإغاظته بالطاعة لله، والاستعاذة بالله منه، واللجوء إلى الله أن يعيذهم منه ومن كيده، فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية، والأخروية ما لا يحصل بدونه.

ثم إن المحبة، والإنابة، والتوكل، والصبر، والرضا، ونحوها أحب أنواع العبودية لله، وهذه إنما تتحقق بالجهاد، وبذل النفس، وتقديم محبته ـ عز وجل ـ على كل من سواه، فكان خلق إبليس سبباً لوجود هذه الأمور[(١)].

٣ـ حصول الابتلاء: ذلك أن إبليس خُلق ليكون محكّاً يمتحن به الخلق؛ ليتبين به الخبيث من الطيب؛ فإن الله ـ سبحانه ـ خلق النوع الإنساني من الأرض، وفيها الطيب والخبيث؛ فلا بد أن يظهر فيهم ما هو من مادتهم[(٢)].

٤ـ ظهور آثار أسمائه ـ تعالى ـ ومقتضياتها، ومتعلقاتها: فمن أسمائه: الرافع، الخافض، المعز، المذل، الحكم، العدل[(٣)].

وهذه الأسماء تستدعي متعلقاتٍ يظهر فيها أحكامُها، فكان خلق إبليس سبباً لظهور آثار هذه الأسماء، فلو كان الخلق كلهم مطيعين، ومؤمنين لم تظهر آثار هذه الأسماء.

---

(١) انظر الحكمة والتعليل في أفعال العباد ص٢٠٥.

(٢) انظر الحكمة والتعليل ص٢٠٥، وعالم الجن والشياطين د. عمر الأشقر ص١٩٠.

(٣) انظر مدارج السالكين ٢/١٩١، وعالم الجن والشياطين ص١٩١.

٥ـ استخراج ما في طبائع البشر من الخير والشر: فالطبيعة البشرية مشتملة على الخير والشر، والطيب والخبيث، وذلك كامن فيها كمون النار في الزناد، فَخُلق الشيطان مستخرجاً لما في طبائع أهل الشر من القوة إلى الفعل، وأرسلت الرسل تستخرج ما في طبيعة أهل الخير من القوة إلى الفعل؛ فاستخرج أحكم الحاكمين ما في هؤلاء من الخير الكامن فيها؛ ليترتب عليه آثاره، وما في أولئك من الشر؛ ليترتب عليه آثاره وتظهر حكمته في الفريقين، وينفذ حكمه فيهما، ويظهر ما كان معلوماً له، مطابقاً لعلمه السابق[1].

٦ـ ظهور كثير من آيات الله وعجائب صنعه: فلقد حصل بسبب وقوع الكفر والشر من النفوس الكفَّارة الظالمة ظهور كثير من الآيات والعجائب، كآية الطوفان، وآية الريح، وآية إهلاك ثمود وقوم لوط، وآية انقلاب النار على إبراهيم برداً وسلاماً، والآيات التي أجراها الله على يد موسى، وغير ذلك من الآيات؛ فلولا تقدير كفر الكافرين وجحد الجاحدين لما ظهرت هذه الآيات الباهرة التي يتحدث بها الناس جيلاً بعد جيل إلى الأبد.

أما كونه ـ سبحانه وتعالى ـ أنظر إبليس إلى يوم القيامة ـ فليس ذلك إكراماً له بل إهانة له ليزداد إثماً، فتعظم عقوبته، ويتضاعف عذابه، إضافة إلى ذلك فالله جعله محكّاً ليميز به الخبيث من الطيب ـ كما سبق ـ وما دام أن الخلق مستمر إلى

---

(١) انظر شفاء العليل ص٤٩٤ـ٤٩٥، ومدارج السالكين ٢/١٩٢ـ١٩٣.

يوم القيامة ـ فإن هذا يقتضي بقاءه ببقاء خلق البشر، والله أعلم[1].

المطلب الثاني: خلق المصائب والآلام والحكمة من ذلك:

وكذلك خلقُ الآلام، والمصائب فيه من الحكم ما لا يحيط بعلمه إلا الله ـ عز وجل ـ تلك الحكم التي تنطق بفضل الله، وعدله، ورحمته.

قال ابن القيم رحمه الله: «فالآلام والمشاق إما إحسان ورحمة، وإما عدل وحكمة، وإما إصلاح وتهيئة لخير يحصل بعدها، وإما لدفع ألم هو أصعب منها، وإما لتولدها عن لذات ونعم يولِّدها عنها أمر لازم لتلك اللذات، وإما أن تكون من لوازم العدل، أو لوازم الفضل والإحسان؛ فتكون من لوازم الخير التي إن عُطِّلت ملزوماتها فات بتعطيلها خيرٌ أعظمُ من مفسدة تلك الآلام.

والشرع والقدر أعدلا شاهد بذلك؛ فكم في طلوع الشمس من ألم لمسافر وحاضر، وكم في نزول الغيث والثلوج من أذى كما سماه الله بقوله: ﴿ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ ﴾ سورة النساء: ١٠٢.

وكم في هذا الحر والبرد والرياح من أذى موجب لأنواع من الآلام لصنوف الحيوانات.

وأعظم لذات الدنيا لذة الأكل والشرب والنكاح واللباس والرياسة، ومعظم آلام أهل الأرض أو كلها ناشئة عنها، ومتولدة منها.

بل الكمالات الإنسانية لا تنال إلا بالآلام والمشاق كالعلم، والشجاعة،

---

(١) انظر مدارج السالكين ١٩٣/٢.

والزهد، والعفة، والحلم، والمروءة، والصبر، والإحسان كما قال:

لولا المشقة ساد الناس كلهم ... الجود يُفْقِرُ والإقدام قتَّالُ

وإذا كانت الآلام أسباباً لِلَذَّاتٍ أعظم منها وأدوم ـ كان العقل يقضي باحتمالها»[(١)].

إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد حجب الله ـ سبحانه ـ أعظم اللذات بأنواع المكاره، وجعله جسراً موصلاً إليها كما حجب أعظم الآلام بالشهوات واللذات، وجعلها جسراً موصلاً إليها.

ولهذا قالت العقلاء قاطبة: إن النعيم لا يدرك بالنعيم، وإن الراحة لا تنال بالراحة، وإن مَنْ آثر اللذات فاتته اللذات؛ فهذه الآلام والأمراض والمشاق من أعظم النعم؛ إذ هي أسباب النِّعم.

وما ينال الحيوانات غير المكلفة منها فمغمورٌ جداً بالنسبة إلى مصالحها ومنافعها كما ينالها من حر الصيف، وبرد الشتاء، وحبس المطر والثلج، وألم الحمل والولادة، والسعي في طلب أقواتها وغير ذلك.

ولكن لذاتها أضعافُ أضعافِ آلامها، وما ينالها من المنافع والخيرات أضعاف ما ينالها من الشرور والآلام؛ فسُنَّتُه في خلقه وأمره هي التي أوجبها كمالُ علمه وحكمته وعزته.

ولو اجتمعت عقول العقلاء كلهم على أن يقترحوا أحسن منها لعجزوا عن

---

(١) شفاء العليل، ص٤٩٨.

ذلك، وقيل لكلٍّ منهم: ارجع بصر العقل فهل ترى من خلل؟

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ سورة الملك: ٤، فتبارك الذي من كمال حكمته وقدرته أن أخرج الأضداد من أضدادها، والأشياء من خلافها؛ فأخرج الحي من الميت، والميت من الحي، والرطب من اليابس، واليابس من الرطب؛ فكذلك أنشأ اللذاتِ من الآلامِ، والآلامَ من اللذات؛ فأعظم اللذاتِ ثمراتُ الآلام ونتائجها، وأعظم الآلامِ ثمراتُ اللذات ونتائجها.

وبعدُ فاللذةُ والسرورُ، والخيرُ والنعمُ، والعافيةُ والصحةُ والرحمةُ في هذه الدار المملوءة بالمحن والبلاء ـ أكثرُ من أضدادها بأضعافٍ مضاعفة؛ فأين آلام الحيوان من لذته؟ وأين سقمه من صحته؟ وأين جوعه وعطشه من شبعه وريِّه وتعبه من راحته؟! »[1].

هذا وفي الآلام والمصائب حكم عظيمة غير ما ذُكِرَ، وفيما يلي ذكرٌ لبعضها على سبيل الإيجاز؛ إذ المقام لا يتسع للتفصيل:

١ـ استخراج عبودية الضراء وهي الصبر: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ سورة الأنبياء: ٣٥.

فالابتلاء بالسراء والخير يحتاج إلى شكر، والابتلاء بالضراء والشر يحتاج إلى صبر.

---

(١) شفاء العليل، ص٤٩٩ـ٥٠٠.

وهذا لا يتم إلا بأن يقلِّبَ الله الأحوال على العبد حتى يتبين صدق عبوديته لله ـ تعالى ـ.

قال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن؛ إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»[(١)].

٢ـ طهارة القلب، والخلاص من الخصال القبيحة: ذلك أن الصحة قد تدعو إلى الأشر، والبطر، والإعجاب بالنفس، لما يتمتع به المرء من نشاط، وقوة، وهدوء بال، ونعيم عيش.

فإذا قُيِّد بالبلاء والمرض انكسرت نفسه، ورق قلبه، وتطهر من أدران الأخلاق الذميمة، والخصال القبيحة من كبر، وخيلاء، وعجب، وحسد، ونحوها، وحلَّ محلَّها الخضوعُ لله، والانكسار بين يديه، والتواضع لخلق الله، وترك الترفع عليهم.

قال المنبجي[(٢)] رحمه الله: «وليعلم أهل المصائب أنه لولا محن الدنيا ومصائبها

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن محمود الصالحي المنبجي، كان من فضلاء الحنابلة، سمع الحديث، وحفظ المقنع، وأفتى، ودرَّس، وكان يكتسب من حانوت له، على طريق السلف من الدين والتقشف والتعبد، وهو صاحب الجزء المشهور في الطاعون وأحكامه، ذكر فيه فوائد كثيرة وغريبة، توفي سن ٧٧٤هـ.

انظر شذرات الذهب لابن العماد ٦/٢٨٩، والسحب الوابلة للشيخ محمد بن عبدالله بن حميد النجدي ٣/١٠٨١.

لأصاب العبد من أدواء الكبر، والعجب، والفرعنة، وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً؛ فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب؛ تكون حمية له من هذه الأدواء، وحفظاً لصحة عبوديته، واستفراغاً للمواد الفاسدة، الرديئة، المهلكة؛ فسبحان من يرحم ببلائه، ويبتلي بنعمائه، كما قيل:

قد ينعم الله بالبلوى، وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

فلولا أنه ـ سبحانه وتعالى ـ يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا، وبغوا، وعتوا، وتجبروا في الأرض، وعاثوا فيها بالفساد؛ فإن من شيم النفوس إذا حصل لها أمر، ونهي، وصحة، وفراغ، وكلمة نافذة من غير زاجر شرعي يزجرها ـ تمردت، وسعت في الأرض فساداً، مع علمهم بما فعل بمن قبلهم، فكيف لو حصل لهم مع ذلك إهمال؟

ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ إذا أراد بعبده خيراً سقاه دواء الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ منه الأدوية المهلكة، حتى إذا هذبه، ونقاه، وصفَّاه أهَّلَه لأشرف مراتب الدنيا، وهي عبوديته، ورقاه أرفع ثواب الآخرة، وهي رؤيته»[(١)].

٣ـ تقوية المؤمن: ذلك أن في المصائب تدريباً للمؤمن، وامتحاناً لصبره، وتقوية لإيمانه.

---

(١) تسلية أهل المصائب للمنبجي ص٢٥.

٤ـ النظر إلى قهر الربوبية وذل العبودية: فإنه ليس لأحد مفر عن أمر الله، وقضائه، ولا محيد عن حكمه النافذ وابتلائه؛ فنحن عبيد الله، يتصرف فينا كما يشاؤه ويريده، ونحن إليه راجعون في جميع أمورنا، وإليه المصير يجمعنا لنشورنا.

٥ـ حصول الإخلاص في الدعاء، وصدق الإنابة في التوبة: ذلك أن المصائب تُشعر الإنسان بضعفه، وافتقاره الذاتي إلى ربه، فيبعثه ذلك إلى إخلاص الدعاء له، وشدة التضرُّع والاضطرار إليه، وصدق الإنابة في التوبة والرجوع إليه.

ولولا هذه النوازل لم يُرَ على باب اللجأ والمسكنة؛ فالله ـ عز وجل ـ علم من الخلق اشتغالهم عنه، فابتلاهم من خلال النعم بعوارض تدفعهم إلى بابه يستغيثون به؛ فهذا من النعم في طي البلاء، وإنما البلاء المحض ما يشغلك عن ربك.

قال سفيان بن عيينة رحمه الله: «ما يكره العبد خيرٌ له مما يحب؛ لأن ما يكرهه يهيجه للدعاء، وما يحبه يلهيه»(١).

٦ـ إيقاظ المبتلى من غفلته: فكم من مبتلى بفقد العافية حصلت له توبة شافية، وكم من مبتلى بفقد ماله انقطع إلى الله بحسن حاله، وكم من غافل عن نفسه، معرضٍ عن ربه أصابه بلاء فأيقظه من رقاده، ونبهه من غفلته، وبعثه لتفقد حاله مع ربه.

٧ـ معرفة قدر العافية: لأن الشيء لا يعرف إلا بضده، فيحصل بذلك الشكرُ

---

(١) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا ص٢٢.

الموجب للمزيد من النعم؛ لأن ما مَنَّ الله به من العافية أتم وأنعم، وأكثر وأعظم مما ابتلى وأسقم، ثم إن حصول العافية والنعمة بعد ألم ومشقة أعظم قدراً عند الإنسان.

٨ـ أن من الآلام ما قد يكون سبباً للصحة: فقد يصاب المرء بمرض ويكون سبباً للشفاء من مرض آخر، وقد يبتلى ببلية فيذهب لعلاجها فيكتشف أن به داءً عضالاً لم يكتشف إلا بسبب هذا المرض الطارئ، قال أبو الطيب المتنبي:

لعلَّ عَتْبَك محمودٌ عواقِبُه وربما صحت الأبدان بالعلل[1]

قال ابن القيم رحمه الله: «وكثيراً ما تكون الآلام أسباباً للصحة لولا تلك الآلام لفاتت.

وهذا شأن أكبر أمراض البدن؛ فهذه الحمى فيها من المنافع للأبدان ما لا يعلمه إلا الله، وفيها من إذابة الفضلات، وإنضاج المواد الفَجَّة وإخراجها ما لا يصل إليه دواءٌ غيرها.

وكثير من الأمراض إذا عرض لصاحبها الحمى استبشر بها الطبيب»[2].

٩ـ حصول رحمة أهل البلاء: فالذي يبتلى بأمر ما ـ يجد في نفسه رحمة لأهل البلاء، وهذه الرحمة موجبة لرحمة الله وجزيل العطاء؛ فمن رَحِمَ من في الأرض رَحِمَهُ من في السماء.

---

(١) ديوان المتنبي ٣/٨٦.

(٢) شفاء العليل، ص٤٩٩.

١٠ـ حصول الصلاة من الله والرحمة والهداية: قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ﴾ سورة البقرة: ١٥٥ـ١٥٧.

١١ـ حصول الأجر، وكتابة الحسنات وحط الخطيئات: قال ﷺ: «ما من شيء يصيب المؤمن، حتى الشوكةِ تصيبه، إلا كتب الله له بها حسنة، أو حُطت عنه بها خطيئة» [١].

قال بعض السلف: «لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس» [٢].

بل إن الأجر والثواب لا يختص به المبتلي فحسب، بل يتعداه إلى غيره؛ فالطبيب المسلم إذا عالج المريض واحتسب الأجر كتب له الأجر ـ بإذن الله ـ؛ فمن نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.

وكذلك الذي يزور المريض المبتلى يكتب له الأجر، وكذلك من يقوم على رعايته.

١٢ـ العلم بحقارة الدنيا وهوانها: فأدنى مصيبة تصيب الإنسان تعكر صفوه، وتنغص حياته، وتنسيه ملاذَّه، والكَيِّسُ الفَطِنُ لا يغتر بالدنيا، بل يجعلها مزرعة للآخرة.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٢).

(٢) برد الأكباد ص٤٦.

١٣ـ أن اختيار الله للعبد خير من اختيار العبد لنفسه: وهذا سر بديع، يحسن بالعبد أن يتفطن له؛ ذلك أن الله ـ عز وجل ـ أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين؛ فهو أعلم بمصالح عباده منهم، وهو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم.

وإذا أنزل بهم ما يكرهون كان خيراً لهم من ألا ينزل بهم؛ نظراً منه لهم، وإحساناً إليهم، ولطفاً بهم.

ولو مكنوا من الاختيار لأنفسهم لعجزوا عن القيام بمصالحهم، لكنه ـعزوجلـ تولى تدبير أمورهم بموجب علمه، وعدله، وحكمته، ورحمته أحبوا أم كرهوا.

١٤ـ أن الإنسان لا يعلم عاقبة أمره: فربما طلب ما لا تحمد عقباه، وربما كره ما ينفعه، والله ـ عز وجل ـ أعلم بعاقبة الأمر.

قال ابن القيم رحمه الله: «فقضاؤه للعبد المؤمن عطاء وإن كان في صورة المنع، ونعمة وإن كان في صورة محنة، وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بلية.

ولكن لجهل العبد وظلمه لا يعد العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذ به في العاجل، وكان ملائماً لطبعه.

ولو رزق من المعرفة حظّاً وافراً لعدَّ المنع نعمة، والبلاء رحمة، وتلذذ بالبلاء أكثر من لذته بالعافية، وتلذذ بالفقر أكثر من لذته بالغنى، وكان في حال القلة أعظم شكراً من حال الكثرة»[1].

---

(١) مدارج السالكين ٢/٢١٥ـ٢١٦.

١٥ـ الدخول في زمرة المحبوبين لله ـ عز وجل ـ: فالمبتلون من المؤمنين يدخلون في زمرة المحبوبين المُشَرَّفين بمحبة رب العالمين؛ فهو ـسبحانهـ إذا أحب قوماً ابتلاهم، وقد جاء في السنة ما يشير إلى أن الابتلاء دليل محبة الله للعبد؛ حيث قال النبي ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»[(١)].

١٦ـ أن المكروه قد يأتي بالمحبوب والعكس: فإذا صحت معرفة العبد بربه علم يقيناً أن المكروهات التي تصيبه، والمحن التي تنزل به أنها تحمل في طياتها ضروباً من المصالح والمنافع لا يحصيها علمه، ولا تحيط بها فكرته.

بل إن مصلحة العبد فيما يكره أعظم منها فيما يحب؛ فعامة مصالح النفوس في مكروهاتها، كما أن عامَّة مضارها وأسباب هلكتها في محبوباتها، قال ـتعالىـ: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ سورة النساء: ١٩.

وقال: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة: ٢١٦.

فإذا علم العبد أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، وأن المحبوب قد يأتي بالمكروه ـ لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) وابن ماجة (٤٠٣١) من حديث أنس، وحسنه الترمذي، والألباني في صحيح الترمذي ٢/٢٨٦.

(٢) انظر تفصيل الحديث عن حكم المصائب في: صيد الخاطر لابن الجوزي ص٩١ـ٩٥ و٢١٣ـ٢١٥ و٣٢٧ـ٣٢٨، والفوائد لابن القيم ص١٣٧ـ١٣٩ و١٧٨ـ١٧٩ و٢٠٠ـ٢٠٢، وبرد الأكباد ص٣٧ـ٣٩.

إلى غير ذلك من الحكم التي قد يعلمها بعض الناس وقد لا يعلمها.

ومن هنا يتضح لنا أنه لا تنافي بين إرادة الله لأمر من الأمور مع بغضه له؛ لما له ـ عز وجل ـ من الحكم العظيمة الباهرة.

هذا وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة في المبحث الآتي عند الحديث عن الحكمة من خلق المعاصي وتقديرها، وعند الحديث عن مسألة الهداية والإضلال.

المبحث الثالث

الحكمة من خلق المعاصي وتقديرها

قد مر بنا أن الله ـ عز وجل ـ له الحكمة البالغة فيما يقدره ويقضيه، كما مر ذكر لبعض الأمثلة الدالة على حكمة الله ـ عز وجل ـ.

والحديث في هذا المبحث إنما هو إتمام لما مضى ذكره، وأفرد هاهنا لكثرة الشبهات حوله، ولقلة الحديث عنه، ولكونه مرتبطاً بكثير من مباحث هذا الكتاب؛ فهل هناك من حكم لخلق المعاصي وتقديرها؟

والجواب عن هذا الإشكال أن لخلق المعاصي وتقديرها حِكَماً عظيمة، وأسراراً بديعة، باهرة، ولكن الحديث عن ذلك قليل جداً.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وهذا باب عظيم من أبواب المعرفة قلَّ من استفتحه من الناس، وهو شهود الحكمة البالغة من قضاء السيئات وتقدير المعاصي.

وإنما استفتح الناس باب الحكم في الأوامر والنواهي، وخاضوا فيها، وأتوا بما وصلت إليه علومهم.

واستفتحوا ـ أيضاً ـ بابها في المخلوقات ـ كما قدمناه ـ وأتوا بما وصلت إليه قواهم.

وأما هذا الباب فكما رأيت كلامهم فيه، فقلَّ أن ترى لأحدهم ما يشفي، أو يلم.

وكيف يطَّلع على حكمة هذا الباب من عنده أن أعمال العباد ليست مخلوقة لله

ولا داخلة تحت مشيئته أصلاً؟ وكيف يتطلب لها حكمة، أو يثبتها، أم كيف يطلع من يقول: هي خلق الله، ولكن أفعاله غير معللة بالحكم؟»[١].

إلى أن قال: «والمقصود أن مشاهدة حكمة الله في أقضيته وأقداره التي يجريها على عباده باختياراتهم وإراداتهم هي ألطف ما تكلم فيه الناس، وأدقُّه، وأغمضه، وفي ذلك حِكَمٌ لا يعلمها إلا الحكيم العليم -سبحانه- ونحن نشير إلى بعضها»[٢].

ثم شرع رحمه الله في ذكر العديد من الحكم في هذا الشأن، فمن الحكم من خلق المعاصي وتقديرها ما يلي[٣]:

١ - **أن الله يحب التوابين:** حتى إنه ليفرح بتوبة أحدهم أعظم من فرح الواحد براحلته التي عليها طعامه، وشرابه في الأرض الدوية المهلكة إذا فقدها وأيس منها.

وليس من أنواع الفرح أكمل وأعظم من هذا الفرح؛ فالله -عز وجل- يقضي على عبده بالذنب، ثم إن كان ممن سبقت له الحسنى قضى له بالتوبة، وإن كان ممن غلبت عليه الشقاوة أقام عليه حجة عدله، وعاقبه بذنبه.

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢٨٦/١.

(٢) مفتاح دار السعادة ٢٨٦/١.

(٣) الكلام في هذا أكثره مستفاد من مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢٨٦/١-٢٩٩، فهو رحمه الله أبرز من تكلم في هذا الموضوع الدقيق، بل لا تكاد تجد لغيره كلاماً جامعاً في هذا الباب.

قال ﷺ : «لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومةً، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله.

قال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومةً، ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده»[1]. قال ابن القيم ﵀ تعليقاً على هذا الحديث: «ولم يجيء هذا الفرح في شيء من الطاعات سوى التوبة، ومعلوم أن لهذا الفرح تأثيراً عظيماً في حال التائب وقلبِه، ومزيدُه لا يُعبَّر عنه.

وهو من أسرار تقدير الذنوب على العباد؛ فإن العبد ينال بالتوبة درجة المحبوبية، فيصير حبيباً لله؛ فإن الله يحب التوابين، ويحب العبد المفتن التواب»[2].

٢ـ أن الله ـ عز وجل ـ يحب أن يتفضل على عباده: ويتم نعمه عليهم، ويريهم مواقع بره وكرمه؛ فلذلك ينوعه عليهم أعظم الأنواع في سائر الوجوه الظاهرة والباطنة.

ومن أعظم ذلك أن يحسن إلى من أساء، ويعفو عمن ظلم، ويغفر لمن أذنب، ويتوب على من تاب إليه، ويقبل عذر من اعتذر إليه.

وقد ندب عباده إلى هذه الشيم الفاضلة، والأفعال الحميدة، وهو أولى بها

---

(1) رواه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤).

(2) مدارج السالكين ٣٠٦/١، وانظر كلامًا جميلاً في المدارج ٢٢٦/١ـ٢٣٠ حول معنى فرح الله ـ عز وجل ـ بتوبة التائب.

منهم وأحق، وكان في تقدير أسبابها من الحكم والعواقب الحميدة ما يبهر العقول.

هذا ولو شاء الله ألا يُعصى في الأرض طرفة عين لم يُعْصَ، ولكن اقتضت مشيئته ما هو موجب حكمته ـ سبحانه ـ[1].

٣ـ أن يعرف العبد حاجته إلى حفظ الله له، ومعونته، وصيانته: وأنه كالوليد في حاجته إلى من يحفظه؛ فإنه إن لم يحفظه مولاه، ويصونَه، ويعينه فهو هالك ولابد[2].

قال ابن القيم رحمه الله: «وقد مدَّت الشياطين أيديها إلى العبد من كل جانب، تريد تمزيق حاله كله، إفساد شأنه كله، وأن مولاه إن وكله إلى نفسه وكله إلى ضيعة وعجز وذنب وخطيئة وتفريط؛ فهلاكه أدنى إليه من شراك نعله؛ فقد أجمع العلماء بالله على أن التوفيق ألا يكل اللهُ العبدَ إلى نفسه، وأجمعوا على أن الخذلان أن يخلي بينه وبين نفسه»[3].

٤ـ استجلاب العبوديات المتنوعة من العبد إذا أذنب: من استعاذة، واستعانة، ودعاء، وتضرع، مما هو من أعظم أسباب سعادته وفلاحه؛ فيحصل للروح بذلك قرب خاص لم يكن يحصل بدون هذه الأسباب، ويجد العبد نفسه

(1) انظر مدارج السالكين ١/٢٢٣.

(2) انظر مدارج السالكين ١/٢٢٢، ومفتاح دار السعادة ١/٢٨٨.

(3) مفتاح دار السعادة ١/٢٨٨.

كأنه ملقى على باب مولاه بعد أن كان نائياً عنه؛ فهو لا يرى نفسه إلا مسيئاً، ولا يرى ربَّه إلا محسناً، قد كسر إزراؤه على نفسه قلبَه، وذلل لسانُه جوارحَه؛ فلو لم يكن من ثمرات ذلك القضاء والقدر إلا هذا لكفى به حكمة وكفى[1].

٥ـ استخراج تمام العبودية: وذلك بتكميل مقام الذل والانقياد؛ فأكمل الخَلق عبودية أكملهم ذلاً لله، وانقياداً، وطاعة[2].

٦ـ أن يعرف العبد حقيقة نفسه: وأنها الظالمة الجهول، وأن ما صدر منها من شر فقد صدر من أهله ومعدنه؛ إذ الجهل والظلم منبع الشر كله، وأن كل ما فيها من خير، وعلم، وهدى، وإنابة، وتقوى فهو من ربها الذي زكاها به، وأعطاها إياه.

فإذا ابتلي العبد بالذنب عرف نفسه، ونَقْصَها؛ فَرُتِّبَ له على ذلك حِكَمٌ ومصالح عديدة، منها أن يأنف نقصها، ويجتهد في كمالها، ومنها أن يعلم فقرها إلى من يتولاها ويحفظها[3].

٧ـ تعريف العبد بكرم الله، وستره، وسعة حلمه: وأنه لو شاء لعاجله على الذنب، ولهتك ستره بين العباد، فلم يَطِبْ له عيشٌ معهم أبداً.

ولكنه ـ عز وجل ـ جلَّله بستره، وغشاه بحلمه، وقيَّض له من يحفظه وهو في

---

(1) انظر مدارج السالكين ١/٢٢٤، ومفتاح دار السعادة ١/٢٨٨ـ٢٨٩.

(2) انظر مدارج السالكين ١/٢٢٤، ومفتاح دار السعادة ١/٢٨٨.

(3) انظر مفتاح دار السعادة ١/٢٩٠، ومدارج السالكين ١/٢٣٥.

حالته هذه، بل كان شاهداً عليه وهو يبارزه بالمعاصي والآثام، ومع ذلك يحرسه بعينه التي لا تنام[1].

٨ـ **تعريف العبد بكرم الله في قبول التوبة:** فلا سبيل إلى النجاة إلا بعفو الله وكرمه ومغفرته، فهو الذي جاد عليه بأن وفقه للتوبة، وألهمه إياها، ثم قبلها منه، فتاب عليه أولاً وآخراً[2].

٩ـ **إقامة الحجة على العبد:** فإذا أصابه ما أصابه فلا يقل: من أين أُتيت، ولا بأي ذنب أُصبت؛ فما أصاب العبد من مصيبة قط دقيقة أو جليلة إلا بما كسبت يده، وما يعفو الله أكثر[3].

١٠ـ **أن يعامل العبد بني جنسه بما يحب أن يعامله الله به:** فيعامل بني جنسه في زلاتهم وإساءاتهم بما يحب أن يعامله الله في إساءته، وزلاته، وذنوبه؛ فإن الجزاء من جنس العمل، فمن عفى عفى الله عنه، ومن سامح أخاه سامحه الله، ومن استقصى استقصى الله عليه، وهكذا...

ثم إذا علم أن الذنوب والإساءة لازمة للإنسان لم تعظم عنده إساءة الناس إليه؛ فليتأمل حاله مع ربه، كيف هو مع فرط إحسانه إليه، وحاجته هو إلى ربه،

---

(1) انظر مدارج السالكين ١/٢٢٣، ومفتاح دار السعادة ١/٢٩٠.

(2) انظر مفتاح دار السعادة ١/٢٩١.

(3) انظر مفتاح دار السعادة ١/٢٩١، ومدارج السالكين ١/٢٣٢ـ٢٣٤.

وهو هكذا له؛ فإذا كان العبد هكذا لربه فكيف ينكر أن يكون الناس له بتلك المنزلة؟[١]

١١ـ إقامة المعاذير للخلائق: فإذا أذنب العبد أقام المعاذير للخلائق، واتسعت رَحمته لهم، واستراح من الضيق والحصر، وأَكْلِ بعضه بعضاً، واستراح العصاة من دعائه عليهم، وقنوطه من هدايتهم؛ فإنه إذا أذنب رأى نفسه واحداً منهم، فهو يسأل الله لهم المغفرة، ويرجو لهم ما يرجوه لنفسه، ويخاف عليهم ما يخافه على نفسه.

ومع هذا فيقيم أمر الله فيهم؛ طاعةً لله، ورحمةً بهم، وإحساناً إليهم؛ إذ هو عين مصلحتهم، لا غلظة، ولا قوة، ولا فظاظة[٢].

١٢ـ أن يخلع العبد صولة الطاعة من قلبه: وينزع داء الكبر والعظمة الذي ليس له، ويلبس رداء الذل، والانكسار، والفقر والفاقة؛ فلو دامت تلك الصولة والعزة في قلبه لخيف عليه مما هو أعظم الآفات؛ فكم بين آثار العجب والكبر وصولة الطاعة، وبين آثار الذلة والمسكنة والانكسار؟[٣]

قال ابن القيم رحمه الله: «وأكثر الناس من المتنزهين عن الكبائر الحسية والقاذورات ـ في كبائر مثلها أو أعظم منها أو دونها، ولا يخطر بقلوبهم أنها

---

(1) انظر مفتاح دار السعادة ١/٢٩١ـ٢٩٢.

(2) انظر مفتاح دار السعادة ١/٢٩٢.

(3) انظر مفتاح دار السعادة ١/٢٩٢ـ٢٩٣.

ذنوب ليتوبوا منها؛ فعندهم من الإزراء على أهل الكبائر واحتقارهم وصولة طاعتهم، ومنَّتهم على الخلق بلسان الحال، واقتضاء بواطنهم لتعظيم الخلق لهم على طاعتهم اقتضاءاً لا يخفى على أحد غيرهم، وتوابع ذلك ما هو أبغض إلى الله، وأبعد لهم عن بابه من كبائر أولئك؛ فإن تدارك الله أحدهم بقاذورة أو كبيرة يوقعه فيها؛ ليكسِر بها نفسه، ويعرفه قدره، ويُذله بها، ويخرج بها صَوْلة الطاعة من قلبه ـ فهي رحمة في حقه، كما أنه إذا تدارك أصحاب الكبائر بتوبة نصوح، وإقبال بقلوبهم إليه ـ فهو رحمة في حقهم، وإلا فكلاهما على خطر»[1].

ثم إن التذلل والانكسار والخضوع لب العبودية؛ إذ هذه الأعمال القلبية أحب إلى الله من كثير من الأعمال الظاهرة، وحصول ذلك للمذنب التائب أكمل له من غيره؛ فإنه قد شارك من لم يُذنب في ذل الفقر والعبودية والمحبة، وامتاز عنه بانكسار قلبه.

وقد جاء في الأثر الإسرائيلي: «يا رب أين أجدك؟

قال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»[2].

---

(1) مدارج السالكين ٢٠٥/١.

(2) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين٣٠٦/١، وأورده في إغاثة اللهفان ص٩٧عن عمران ابن موسى القصير قال: قال موسى ـ عليه السلام ـ: «يا رب أين أبغيك؟ قال أبغني عند المنكسرة قلوبهم؛ فإني أدنو منهم كل يوم باعاً، ولولا ذلك لانهدموا».

ورواه ابن أبي الدنيا في الهم والحزن ص٥٦ بإسناده عن عبد الله بن شوذب قال: قال داود النبي: «أي ربِّ! أين ألقاك؟ قال: تلقاني عند المنكسرة قلوبهم».

ولأجل هذا كان «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[1].

لأنه مقام ذل وانكسار بين يدي ربه.

ولعل هذا هو السر في استجابة دعوة المظلوم، والمسافر، والصائم؛ للكسرة في قلب كل واحد منهم؛ فإن لوعة المظلوم تُحْدِثُ عنده كسرة في قلبه، وكذلك المسافر في غربته يجد كسرة في قلبه، وكذلك الصوم، فإنه يكسر سورة النفس السَّبُعية الحيوانية.

١٣ـ هياج العبوديات القلبية وانبعاثها: ذلك أن لله على القلوب أنواعاً من العبودية، من الخوف، والخشية، والإشفاق، والوجل، وتوابعها من المحبة، والإنابة، وابتغاء الوسيلة وتوابعها.

وهذه العبوديات لها أسباب تهيجها وتبعث عليها؛ وكلما قيَّض الرب ـتعالىـ لعبده من الأسباب الباعثة على ذلك، المهيجة له فهو من أسباب رحمته، ورُبَّ ذنب قد هاج لصاحبه من الخوف، والإشفاق، والوجل، والإنابة، والمحبة، والفرار إلى الله ما لا يهيجه كثير من الطاعات، وكم من ذنب كان سبباً لاستقامة العبد، وفراره إلى الله، وبعده عن طريق الغي[2].

١٤ـ أن يعرف العبد نعمة معافاة الله وفضله، وتوفيقه له، وحفظه إياه: فإن من تربى في العافية لا يعلم ما يقاسيه المبتلى، ولا يعرف مقدار العافية؛ فلو عرف

---

(1) أخرجه مسلم (٤٨٢).

(2) انظر مفتاح دار السعادة ١/٢٩٣.

أهل الطاعة أنهم هم المنعم عليهم في الحقيقة لعلموا أن لله عليهم من الشكر أضعاف ما على غيرهم وإنْ توسَّدوا التراب، ومضغوا الحصى، فهم أهل النعمة المطلقة، وأنَّ من خلَّى الله بينه وبين معاصيه فقد سقط من عينه، وهان عليه.

فإذا طالبت العبدَ نَفْسُه بما تطالبه من الحظوظ والأقسام، وأَرَتْهُ أنه في بلية وضائقة تداركه الله برحمته، وابتلاه ببعض الذنوب، فرأى ما كان فيه من المعافاة والنعمة، وأنه لا نسبة لما كان فيه من النعم إلى ما طلبته نفسه من الحظوظ، فحينئذٍ يكون أكثر أمانيه وآماله العودَ إلى حاله، وأن يمتعه الله بعافيته[1].

١٥ـ أن التوبة توجب للتائب آثاراً عجيبة من المقامات التي لا تحصل بدونها: فتوجب له المحبة، والرقة، واللطف، وشكر الله، وحمده، والرضا عنه، فَرُتِّبَ له على ذلك أنواع من النعم لا يهتدي العبد لتفاصيلها، بل لا يزال يتقلب في بركتها، وآثارها ما لم ينقضها، أو يفسدها[2].

١٦ـ استكثار القليل من النعم: فإذا شهد العبد ذنوبه، ومعاصيه، وتفريطه في حق ربه استكثر القليل من نعم ربه عليه ـ ولا قليل منه ـ لعلمه أن الواصل إليه منها كثير على مسيء مثله، واستقل الكثير من عمله؛ لعلمه أن الذي ينبغي أن يغسل به أوضاره أضعافُ ما أتى به؛ فهو دائماً مستقل لعمله كائناً ما كان، مستكثر لنعمة الله عليه وإن دقَّت.

---

(1) انظر مفتاح دار السعادة ١/٢٩٣.

(2) انظر مفتاح دار السعادة ١/٢٩٤.

قال ابن القيم رحمه الله عن هذا الوجه: «وهو من ألطف الوجوه؛ فعليك بمراعاته؛ فله تأثير عجيب، ولو لم يكن من فوائد الذنب إلا هذا لكفى؛ فأين حال هذا من حال من لا يرى لله عليه نعمة إلا ويرى أنه ينبغي أن يعطى ما هو فوقها وأجل منها»[١].

إلى أن قال عن هذا الضرب من الناس: «وهذا الضرب من الناس من أبغض الخلق إلى الله، وأشدهم مقتاً عنده، وحكمةُ الله تقتضي أنهم لا يزالون في سفال؛ فهم بين عتب على الخالق وشكوى له، وذلٍّ لخلقه وحاجة إليهم، وخدمة لهم»[٢].

١٧ـ أن الذنب يوجب لصاحبه التحرز والتيقظ من مصائد عدوه ومكائده: فيعلم من أين يدخل عليه اللصوص والقطاع ومكامنهم، ومن أين يخرجون عليه، وفي أي وقت يخرجون؛ فهو قد استعد لهم، وتأهب، وعرف بماذا يستدفع شرهم وكيدهم؛ فلو أنَّه مرَّ عليهم على غِرَّةٍ وطمأنينة لم يأمن أن يظفروا به، ويجتاحوه جملة[٣].

١٨ـ مراغمة الشيطان وإغاظته ومجاهدته: فالقلب يذهل عن عدوه، فإذا أصابه منه مكروه استجمعت له قوته، وطلب بثأره إن كان قلبه حرًّا كريماً.

---

(1) مفتاح دار السعادة ١/٢٩٤.

(2) مفتاح دار السعادة ١/٢٩٤.

(3) انظر مفتاح دار السعادة ١/٢٩٥.

كالرجل الشجاع إذا جرح فإنه لا يقوم له شيء، بل تراه بعدها هائجاً، طالباً، مقداماً.

والقلب المهين كالرجل الضعيف المهين إذا جرح ولّى هارباً، والجراحات في أكتافه.

وكذلك الأسد إذا جرح فإنه لا يطاق؛ فلا خير فيمن لا مروءة له، لا يطلب أخذ ثأره من أعدى عدوٍّ له.

فما شيء أشفى للقلب من أخذه بثأره من عدوه، ولا عدوَّ أعدى له من الشيطان؛ فإن كان له قلب من قلوب الرجال المتسابقين في حلبة المجد جدَّ في أخذ الثأر، وغاظ عدوَّه كل الغيظ، وأضناه[1].

كما جاء عن بعض السلف: «إن المؤمن لَيُنْضِي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في سفره»[2].

١٩ ـ معرفة الشر؛ حذر الوقوع فيه: فالذي يقع في الذنب يصير كالطبيب ينتفع به المرضى في علاجهم ودوائهم؛ فالطبيب الذي عرف المرض مباشرة، وعرف دواءه وعلاجه أحذق وأخبر من الطبيب الذي عرف الداء وصفاً فحسب.

هذا في أمراض الأبدان، وكذلك أمراض القلوب وأدواؤها.

ولذلك كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أعرف الأمة بالإسلام، وتفاصيله،

---

(1) انظر مفتاح دار السعادة ١/٢٩٥.

(2) مفتاح دار السعادة ١/٢٩٥.

وأبوابه، وطرقه، وأشد الناس رغبة فيه، ومحبةً له، وجهاداً لأعدائه؛ لعلمهم بضده.

فإذا عرف العبد الضدين، وعلم مباينة الطرفين، وعرف أسباب الهلاك على التفصيل ـ كان أحرى أن تدوم له النعمة ما لم يؤثر أسباب زوالها على علم، وفي مثل هذا قال القائل:

عرفتُ الشرَّ لا للشرْ رِ لكنْ لتوقِّيه

ومن لا يعرف الشرَّ من الناس يقعْ فيه

وهذه حال المؤمن يكون فطناً حاذقاً أعرف الناس بالشر، وأبعدهم عنه؛ فإذا تكلم في الشر وأسبابه ظننته من شر الناس، فإذا خالَطْتَهُ، وعرفت طويته رأيته من أبر الناس.

والمقصود أن من بُليَ بالآفات صار أعرف الناس بطرقها، وأمكنه أن يسدها على نفسه، وعلى من استنصحه من الناس، ومن لم يستنصحه[1].

٢٠ـ ابتلاء العبد بالإعراض عنه: فالله ـ عز وجل ـ يذيق عبده ألم الحجاب عنه، وزوال ذلك الأنس به، والقرب منه؛ ليمتحن عبده، فإن أقام العبد على الرضا والحال، ولم يجد نفسه تطالبه بحالها الأول مع الله، بل اطمأنت وسكنت إلى غيره ـ علم أنه لا يصلح، فوضعه في مرتبته التي تليق به.

وإن استغاث استغاثة الملهوف، وتَقَلَّقَ تَقَلُّقَ المكروب، ودعاه دعاء المضطر،

---

(1) انظر مفتاح دار السعادة ١/٢٩٥ـ٢٩٦.

وعلم أنه قد فاتته حياته حقًّاً، فهو يهتف بربه أن يرد عليه ما لا حياة له بدونه ـ علم أنه موضعٌ لما أُهِّلَ له، فردَّ عليه أحوج ما هو محتاج إليه، فعظمت به فرحته، وكملت به لذته، وتمت به نعمته، واتصل به سروره، وعلم حينئذٍ مقداره، فعضَّ عليه بالنواجذ، وثنَّى عليه بالخناصر؛ فالعبد إذا بُليَ بَعْدَ الأُنْسِ بالوحشة، وبعد القرب بنار البعاد ـ اشتاقت نفسه إلى لذة تلك المعاملة، فحنَّتْ، وأنَّتْ، وتصدَّعت، وتعرضت لنفحات مَنْ ليس لها عنه عوضٌ أبداً، ولاسيما إذا تذكر برَّه، ولطفه، وحنانه، وقربه[1].

٢١ـ أن الحكمة الإلهية اقتضت تركيب الشهوة والغضب في الإنسان: وهاتان القوتان فيه بمنزلة صفاته الذاتية التي لا ينفك عنهما، وبهما وقعت الفتنة والابتلاء.

وتركيب الإنسان على هذا الوجه هو غاية الحكمة، ولابد أن يقتضي كل واحد من القوتين أثره، فلابد من وقوع الذنب، والمخالفات والمعاصي.

ولو لم تُخلق في الإنسان لم يكن إنساناً، بل كان مَلَكاً، فأما من اكتنفته العصمة، وضُرِبَتْ عليه سرادقاتُ الحفظ ـ فهم أقل أفراد النوع الإنساني، بل هم خلاصته ولبه[2].

٢٢ـ أن الله إذا أراد بعبد خيراً أنساه رؤية طاعاته، ورفعها من قلبه ولسانه:

---

(1) انظر مفتاح دار السعادة ٢٩٦/١.

(2) انظر مفتاح دار السعادة ٢٩٧/١.

فإذا ابتلي العبد بالذنب جعله نصب عينيه، وجعل همه كله بذنبه، فلا يزال ذنْبه أمامه إن قام أو قعد، أو غدا أو راح، فيكون هذا عين الرحمة في حقه، كما قال بعض السلف: «إن العبد ليعمل الخطيئةَ فلا تزال نصبَ عينيه كلما ذكرها بكى، وندم، واستغفر، وتضرع، وأناب إلى الله، وذل وانكسر، وعمل لها أعمالاً فتكون سبباً للرحمة في حقه.

ويعمل الحسنة، فلا تزال نصب عينيه، يمن بها، ويراها، ويعتد بها على ربه، وعلى الخلق، ويتكبر بها، ويتعجب من الناس كيف لا يعظمونه، ويكرمونه، ويجلونه عليها، فلا تزال هذه الأمور به حتى تقوى عليه آثارها فتدخله النار»[(١)].

٢٣ـ لزوم التواضع وترك الترفع: فإذا شهد العبد ذنوبه وخطاياه أوجب له ذلك ألا يرى لنفسه على أحد فضلاً، ولا له على أحد حقًّاً، فلا يظن أنه خير مسلم يؤمن بالله ورسوله، وإذا شهد ذلك من نفسه لم يرَ لها على الناس حقوقاً من الإكرام، فاستراح هذا في نفسه، وأراح الناس من شكايته وغضبه على الوجود وأهله؛ فما أطيب عيشه، وما أنعم باله؛ فأين هذا ممن لا يزال عاتباً على الخلق، شاكياً تركَ قيامهم بحقه، ساخطاً عليهم وهم عليه أسخط؟[(٢)].

---

(١) مفتاح دار السعادة ص٢٩٧ـ٢٩٨، وانظر كلاماً جميلاً في هذا المعنى في مدارج السالكين ١/٣٠٧ـ٣٠٨.

(2) مفتاح دار السعادة ١/٢٩٨.

٢٤ـ الاشتغال بعيوب النفس، والإمساك عن عيوب الناس: فالذنب يوجب له الإمساك عن عيوب الناس، والفكر فيها؛ فإنه في شغل بعيب نفسه، وهذا من أمارات السعادة[1].

٢٥ـ الاستغفار للخطائين: فإذا وقع الذنب من العبد شهد نفسه مثل إخوانه الخطائين، وشهد أن المصيبة واحدة، وأنهم مشتركون في الحاجة، بل الضرورة إلى مغفرة الله، وعفوه، ورحمته؛ فكما يحب أن يستغفر له أخوه المسلم ـ كذلك هو أيضاً يجب أن يستغفر لأخيه المسلم[2].

هذه بعض الحكم من خلق المعاصي، وتقدير السيئات، يتضح بها شيء من حكمة العليم الحكيم فيما يقدره ويقضيه.

وبعد أن ساق الإمام ابن القيم رحمه الله كلاماً طويلاً نفيساً في الحِكَمِ من خلق المعاصي قال في آخره: «فهذه الأثمار ونحوها متى اجتناها العبد من الذنب فهي علامة كونه رحمة في حقه، ومتى اجتنى منه أضدادها، وأوجبت له خلاف ما ذكرناه فهي والله علامة الشقاوة»[3].

---

(1) مفتاح دار السعادة ١/٢٩٨.

(2) مفتاح دار السعادة ١/٢٩٨.

(3) مفتاح دار السعادة ١/٢٩٩.

المبحث الرابع

الرضا بقدر الله، وحكم ذلك

لسائل أن يسأل فيقول: ما حكم الرضا بقضاء الله؟ وهل نحن مأمورون بالرضا بكل ما يقضيه الله ـ عز وجل ـ؟

الجواب عن ذلك أن يُقال: «نحن غير مأمورين بالرضا بكل ما يقضيه الله ويقدره، ولم يرد بذلك كتابٌ ولا سنةٌ»[(١)].

بل إن الأمر فيه تفصيل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في قصيدته التائية في القدر:

وأما رضانا بالقضاء فإنَّما ... أُمِرْنا بأن نرضى بمثل المصيبةِ

كسُقمٍ وفقرٍ ثم ذلٍّ وغربةٍ ... وما كان من مؤذٍ بدون جريمةِ

فأما الأفاعيل التي كُرِّهت لنا ... فلا نصَّ يأتي في رضاها بطاعةِ

وقد قال قومٌ من أولي العلم لا ... بفعل المعاصي والذنوب الكبيرةِ

وقال فريقٌ: نرتضي بإضافةٍ ... ولا نرتضي المقضيَّ أقبحَ خصلةِ

وقال فريقٌ: نرتضي بإضافةٍ ... إليه وما فينا فنلقى بسخطةِ

كما أنها للرب خلقٌ وأنها ... لمخلوقه ليست كفعل الغريزة

فنرضى من الوجه الذي هو خلقه ... ونسخط من وجه اكتساب الخطيئةِ[(٢)]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٨، وانظر منهاج السنة ٢٠٥/٣، والاستقامة ١٢٥/٢ـ١٢٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٥٣/٨، وانظر الدرة البهية شرح القصيدة التائية لابن سعدي ص٥١.

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله في شرح هذه الأبيات:

«يعني إذا أورد المورد علينا: أنه يجب الرضا بقضاء الله ـ يعني والمعاصي من قدر الله ـ فقد أجاب الشيخ ـ يعني شيخ الإسلام ـ بأربعة أجوبة، كل واحد منها كافٍ شافٍ، فكيف إذا اجتمعت؟

❖ **أحدها:** أن الذي أُمرنا أن نرضى به: المصائب دون المعائب، فإذا أُصبنا بمرض أو فقر، أو نحوهما من حصول مكروه أو فقد محبوب فيجب علينا الصبر، واختُلف في وجوب الرضا، والصحيح استحبابه؛ لأنه لم يثبت ورود الأمر به على وجه الوجوب؛ لتعذره على أكثر النفوس؛ لأن الصبر حبس النفس عن التسخط، واللسان عن الشكوى، والأعضاء عن عملها بمقتضى السخط؛ من نتف الشعر، وشق الجيوب، وحثوِ التراب على الرؤوس، ونحوها، وذلك واجب مقدور.

أما الرضا الذي هو مع ذلك طمأنينةُ القلب عند المصيبة، وأن لا يكون فيه تمني أنها ما كانت ـ فهذا صعب جدًّا على أكثر الخلق؛ فلهذا لم يوجبه الله، ولا رسوله، وإنما هو من الدرجات العالية، وهو مأمور به أمرَ استحباب.

وأما الرضا بالذنوب والمعائب، فلم نؤمر بالرضا بها، ولم يأتِ نصٌّ صحيحٌ، أو ضعيفٌ في الأمر بها، فأين هذا من ذاك؟

❖ **الجواب الثاني:** ما قاله طائفة من أهل العلم: أن الله لم يرض لنا أن نَكْفُرَ، ونعصي؛ فعلينا أن نوافقَ ربَّنا في رضاه، وسخطه، قال ـ تعالى ـ ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ سورة الزمر: ٧.

فالدين: موافقة ربنا في كراهة الكفر، والفسوق، والعصيان، مع تركها، وموافقته في محبة الشكر والإيمان، والطاعة لنا مع فعلها.

❖ **الجواب الثالث:** أن القضاء غير المقضي، فنرضى بالقضاء؛ لأنه فعله ـ تعالى ـ وأما المقضي، الذي هو فعل العبد فينقسم إلى أقسام كثيرة: الإيمان، والطاعة علينا الرضا بها، والكفر، والمعصية لا يحل لنا الرضا بها، بل علينا أن نكرهها، ونفعل الأسباب التي ترفعها من التوبة، والاستغفار والحسنات الماحية، وإقامة الحد والتعزير على من فعلها، والمباحاتُ مستويةُ الطرفين.

❖ **الجواب الرابع:** أن الشر والمعاصي تختلف إضافتها، فهي من الله خلقاً وتقديراً وتدبيراً، وهي من العبد فعلاً وتركاً، فحيث أضيفت إلى الله ـ قضاءاً وقدراً ـ نرضى بها من هذا الوجه، وحيث أُضيفت إلى العبد ـ نسخطها، ونسعى بإزالتها بحسب مقدورنا.

فهذه الأجوبة عن الأمر بالرضا بالقضاء قد اتضح أنها لا تدل على شيء من مطلوب المعترض»[1].

(١) الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية ص٥١ـ٥٣، وانظر عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص٢٨٥ـ٢٨٦، ومنهاج السنة ٢٠٣/٣ـ٢٠٩، والاستقامة ٧٣/٢ـ٧٦، ومدارج السالكين ٢٦٨/١ـ٢٦٩، وشرح الطحاوية ص٢٥٨، وتسلية أهل المصائب ص١٥٢ـ١٦١، وانظر مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ص ١٢٤ـ١٢٥، والمنتقى من فرائد الفوائد لابن عثيمين ١٠٩.

الفصل الثالث

إشكالات حول القدر

وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: مسألة القدر المثبت، والقدر المعلق، أو المحو والإثبات في القدر، وزيادة العمر ونقصانه

المبحث الثاني: الإنسان بين التسيير والتخيير

المبحث الثالث: مسألة الهداية والإضلال

المبحث الرابع: التوفيق بين استئثار الله بعلم ما في الأرحام وبين علم الأطباء بذكورة الجنين في الرحم من أنوثته؟

المبحث الأول

مسألة القدر المثبت والقدر المعلق
أو المحو والإثبات في القدر، وزيادة العمر ونقصانه

قد يشكل على بعض الناس مواضعُ في كتاب الله، وأحاديث رسول الله ﷺ فيقول بعضهم: إذا كان الله قد علم كل ما هو كائن، وكتب ذلك كله عنده في كتاب ـ فما معنى قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ سورة الرعد: ٣٩.

وإذا كانت الأرزاق مكتوبة، والآجال مضروبة، لا تزيد ولا تنقص فما التوجيه لقوله ﷺ: «من سرَّه أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه»[(١)(٢)].

والجواب أن القدر قدران:

أحدهما: القدر المثبت، أو المطلق، أو المبرم: وهو ما في أم الكتاب ـ اللوح المحفوظ ـ فهذا ثابت لا يتغير، ولا يتبدل.

وثانيهما: القدر المعلق، أو المقيد: وهو ما في كتب الملائكة، فهذا هو الذي يقع فيه المحو الإثبات، فالآجال والأرزاق والأعمار، وغيرها مثبتة في أم الكتاب لا تتغير، ولا تتبدل، أما ما في صحف الملائكة فيقع فيه المحو والإثبات، والزيادة والنقص.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والأجل أجلان: أجل مطلق يعلمه الله،

---

(١) رواه البخاري(٥٩٨٥)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٢) انظر القضاء والقدر للأشقر ص٦٦.

وأجل مقيد، وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ: «من سرَّه أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره ـ فليصل رحمه».

فإن الله أمر الملَك أن يكتب له أجلاً وقال: إن وصل رحمه زدته كذا وكذا، والملَك لا يعلم أيزداد أم لا؟ لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء الأجل لا يتقدم ولا يتأخر»[١].

وقال في موطن آخر عندما سئل عن الرزق: هل يزيد وينقص؟

«الرزق نوعان: أحدهما ما علمه الله أنه يرزقه، فهذا لا يتغير.

والثاني: ما كتبه، وأعلم به الملائكة، فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب»[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: «كأن يقال للملَك ـ مثلاً ـ إنَّ عُمُرَ فلان مائة عامٍ ـ مثلاً ـ إن وصل رحمه، وستون إن قطعها، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملَك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ سورة الرعد: ٣٩.

فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملَك.

وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله ـ تعالى ـ فلا محو فيه البتة، ويُقال له: القضاء المبرم، ويقال للأول: القضاء المعلَّق»[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى ٥١٧/٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٥١٧/٨.

(٣) فتح الباري ٤٣٠/١٠، وانظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٨٩، وانظر شرح صحيح مسلم للنووي ١١٤/١٦، وانظر إفادة الخبر بنصه في زيادة العمر ونقصه للسيوطي.

ثم إن «الأسباب التي يحصل بها الرزق هي من جملة ما قدره الله وكتبه، فإن كان قد تقدم بأن يرزق العبد بسعيه واكتسابه ألهمه السعي، والاكتساب، وذلك الذي قدره له بالاكتساب لا يحصل بدون الاكتساب، وما قدره له بغير اكتساب، كموت مُوَرِّثه يأتيه بغير اكتساب»[1].

فلا مخالفة في ذلك «لسبق العلم بل فيه تقيد المسببات بأسبابها، كما قدر الشبع والروي[2]، بالأكل والشرب، وقدر الولد بالوطء، وقدر حصول الزرع بالبذر، فهل يقول عاقل بأن ربط هذه المسببات بأسبابها يقتضي خلاف العلم السابق، أو ينافيه بوجه من الوجوه»؟[3]

هذا وقد سبق الحديث في أن الإيمان بالقدر لا ينافي فعل الأسباب[4].

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/٥٤٠-٥٤١.

(٢) هكذا في الأصل، ولعلها: الرِّي.

(٣) تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل للشوكاني ص٣٢، وانظر تفسير ابن سعدي لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ (٤/١١٦، ١١٧) من التفسير.

(٤) يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله: «والأظهر أن جميع أنواع القدركلها موجودة في أم الكتاب، فما كان منها معلقاً على أسبابه وجد عند وجود السبب، وما كان غير معلق وقع في وقته لا يتقدم ولا يتأخر، والعبد مأمور بفعل الأسباب، وأداء الأوامر، وترك النواهي، وكل ميسر لما خلق له كما قال النبي ﷺ لما ذكر القدر وسأله الصحابه ـ رضي الله عنهم ـ بقولهم: ففيم العمل؟ قال: «اعملوا فكلٌّ ميسر لما خُلق له» الحديث، والله ولي التوفيق» ا. هـ

المبحث الثاني

الإنسان بين التسيير والتخيير

يرد كثيراً في كتب الفلسفة، وعلم الكلام، وفي كتابات بعض المتأخرين: هل الإنسان مسير أو مخير؟

وهناك من يجيب على هذا السؤال بأن الإنسان مسير لا مخير، كما أن هناك من يجيب بأنه مخيَّر لا مُسَيَّر.

والحقيقة أن الإجابة عن هذا السؤال بهذا الإطلاق خطأ؛ ذلك أن الإجابة تحتاج إلى بعض التفصيل.

ووجه الخطأ في الإجابة بأن الإنسان مسيَّر لا مخير تكمن فيما يرد على هذه الإجابة من إشكال؛ فإذا قيل: إنه مسيَّر بإطلاق قيل: كيف يحاسب وهو مسيَّر؟ وكيف يكون مسيراً ونحن نرى أن له مشيئة وقدرة واختياراً؟ وما العمل بالنصوص التي تثبت له المشيئة، والقدرة، والاختيار؟

أما إذا أجيب بأنه مخير لا مسير فيقال: كيف يكون مخيَّراً ونحن نرى أنه قد ولد بغير اختياره؟ ويمرض بغير اختياره؟ ويموت بغير اختياره؟ إلى غير ذلك من الأمور الخارجة عن إرادته.

فإذا قيل: إنه مخير في أفعاله التي تقع بإرادته واختياره قيل: وأفعاله الاختيارية كذلك؛ فقد يريد أمراً، ويعزم على فعله، وهو قادر على ذلك فيفعله، وقد لا يفعله؛ فقد يعوقه ما يعوقه؛ إذاً فليس كل ما أراد فِعْلَه فَعَلَهُ؛ وهذا شيء مشاهد.

ومن هنا يتبين لنا وجه الخطأ في هذا الجواب؛ فلو كان الإنسان مُسَيَّراً بإطلاق

لما كان له قدرة ومشيئة، ولو كان مخيَّراً بإطلاق لفعل كل ما شاءه؛ فمن قال بالتسيير بإطلاق فهو ألصق بمذهب الجبرية الذين قالوا: إن العبد مجبور على فعله، وأنكروا أن يكون له قدرة ومشيئة وفعل.

ومن قال بالتخيير بإطلاق فهو ألصق بمذهب القدرية النفاة الذين قالوا: بأن الأمر أنف، وأن العبد هو الخالق لفعله، وأنه مستقل بالإرادة والفعل.

فما الجواب ـ إذاً ـ عن هذا السؤال؟ وما المخرج من هذا الإشكال؟

الجواب: أن الحق وسط بين القولين، وهدى بين هاتين الضلالتين؛ فيقال ـوبالله التوفيقـ: إن الإنسان مخير باعتبار، ومسير باعتبار؛ فهو مخير باعتبار أن له مشيئةً يختار بها، وقدرةً يفعل بها؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ سورة الكهف: ٢٩، وقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ سورة البلد: ١٠، وقوله: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ سورة البقرة: ٢٢٣، وقوله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ سورة آل عمران: ١٣٣.

ولقوله ﷺ: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز...»(١)

وقوله: «صلوا قبل صلاة المغرب» قال في الثالثة: «لمن شاء»(٢)، إلى غير ذلك من الأدلة في هذا المعنى.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) رواه البخاري (١١٨٣ و ٧٣٦٨).

وهو مسير باعتبار أنه في جميع أفعاله داخل في القدر، راجع إليه؛ لكونه لا يخرج عما قدَّره الله له؛ فلا يخرج في تخييره عن قدرة الله؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ سورة يونس: **٢٢**، وقوله: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ سورة القصص: ٦٨.

ولقوله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»[1].

إلى غير ذلك من الأدلة في هذا المعنى.

ولهذا جمع الله بين هذين الأمرين ـ كون الإنسان مخيراً باعتبار ومسيراً باعتبار ـ كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ سورة التكوير: **٢٨ـ٢٩**.

فأثبت ـ عز وجل ـ أن للعبد مشيئة، وبَيَّنَ أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، واقعة بها.

وكذلك الرسول ﷺ كما في قوله: «ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار.

قالوا: يا رسول الله: فَلِمَ نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: «لا، اعملوا فكلٌّ ميسر لما خلق له»[2].

فهذا الحديث دليل لما سبق؟ فهو يدل على أن الإنسان مخير؛ لقوله ﷺ:

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) رواه البخاري (١٣٦٢ و ٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٧).

«اعملوا» وعلى أنه لا يخرج في تخييره عن قدر الله؛ لقوله: «فكل ميسر لما خلق له».

هذا مقتضى أدلة الشرع والواقع في هذه المسألة[١].

فلعل في هذا التقرير إجابة شافية، وجمعاً بين النصوص في هذه المسألة.

ومما يستحسن في هذا الأمر أن يصحح السؤال؛ فبدلاً من أن يقال: هل الإنسان مسير أو مخير؟ كان الأولى أن يقال: هل للإنسان مشيئة وقدرة أوْ لا؟

والجواب ـ كما تقدم ـ وتلخيصه أن يقال: إن للإنسان مشيئةً يختار بها، وقدرةً يفعل بها، وقدرته ومشيئته تابعتان لمشيئة الله، واقعتان بها.

وبهذا يزول الإشكال، ويجاب عن هذا السؤال.

ومن هنا يتبين خطأ بعض من يكتبون عن القدر، وذلك حينما يصدِّرون كتاباتهم عن القدر بذلك السؤال: هل الإنسان مسير أو مخير؟ ويطنبون في الخوض فيه، والحديث عنه، دون خروج بنتيجة صحيحة ـ في الغالب ـ وكأن باب القدر لا يفهم إلا بالإجابة عن هذا السؤال[٢].

وكان الأولى بهؤلاء ـ إذا أرادوا أن يكتبوا عن القدر ـ أن يصدِّروها بتوضيح

---

(١) انظر دفع إيهام الاضطراب للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص٢٨٦ـ٢٨٧، وفتاوى اللجنة الدائمة ٣/٣٧٧ـ٣٨٠.

(٢) انظر على سبيل المثال إلى كتاب القضاء والقدر للشيخ محمد الشعراوي ص٩ـ١٢، ومسألة القضاء والقدر لعبدالحليم قنبس، وخالد العك ١١٥ـ١٥٠، وما هو القضاء والقدر محمد محمود عجاج، والقضاء والقدر حق وعدل للأستاذ هشام الحمصي ص١١٧ـ١٢٦.

القدر من أصله من خلال نصوص الكتاب والسنة، لا من خلال العقول القاصرة، فيوضحوا القدر بمراتبه الأربع، ويبينوا أنَّ الله أمر ونهى، وأنَّ على العبد أن يؤمن بالقدر ويؤمن بالشرع، فعليه تصديق الخبر، وطاعة الأمر، فإن أحسن فليحمد الله، وإن أساء فليستغفر الله.

وكذلك يبينون أن على العبد أن يسعى في مصالحه الدنيوية، ويأخذ بالأسباب المشروعة والمباحة، فإذا حصل على مراده حمد الله، وإن أتت الأمور على خلافه تعزى بقدره، وهكذا...

ففي ذلك الغنيةُ عن كثرة الخوض في مثل هذا السؤال؛ فالإنسان إذا فهم باب القدر على هذا النحو سلم من تلك الإيرادات والشبهات.

المبحث الثالث

مسألة الهداية والإضلال

مسألة الهداية والإضلال مسألة عظيمة، وقد مرَّت إشارات إليها فيما مضى من مباحث، وإنما أُفردت هاهنا؛ لأهميتها، ولكونها تترد كثيراً في الأذهان، وربما ظهر على بعض الألسنة أحياناً أسئلة في شأنها، فيقال: إذا شاء الله من الإنسان المعصية، ولم يشأ منه الطاعة، فَلِمَ يحاسبُه على ما يشاء منه؟

ولِمَ لم يشأ منه الطاعة كما شاءها من غيره؟

والجواب أن يُقال: إن الهداية والإضلال والطاعة والمعصية بمشيئة الله، والإنسان سبب في وقوعها، ومسؤول عنها؛ فذلك من الأصول القطعية عند أهل السنةِ، والقاعدةُ التي يتفق عليها العقلاء أن القطعيات لا تتناقض في نفسها وإن بدت لنا متناقضة؛ لقصور إدراكنا؛ فحسبنا أن نقف عند هذه القطعيات، ونؤمن بها جميعاً، ولا نرد منها شيئاً ولو لم نحط بها علماً؛ لأن مسألة القضاء والقدر لها تعلق بصفات الله؛ فالقدر قدرة الله، وقدرة الله كعلمه وحكمته وإرادته وسائر صفاته من جهة كونها معلومة المعنى مجهولة الكيفية؛ فكما أننا نعجز عن الإحاطة بصفات الله فكذلك نعجز عن الإحاطة بسر القدر الإلهي، ومن أسراره أن أضل الله وهدى، وأسعد وأشقى، وأمات وأحيا، وغير ذلك؛ لحكمة يعلمها ولا نعلمها، وهو العليم الحكيم.

ولا يضير المرء في إيمانه عجزه عن معنى الإحاطة بسر القدر؛ لأن ذلك ليس بمستطاع، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

ولكن الذي يضيره أن يبني على عجزه أحكاماً ، ويتصرف على غير هدى ، ويرد بعض الأصول القطعية ، ويضرب النصوص بعضها ببعض.

ومما لا نزاع فيه بين العقلاء أن للمالك أن يتصرف في ملكه كيف يشاء ، ولا يلزم ليكون تصرفه سليماً أن يُدرك غيرُه الحكمة في تصرفاته ، وليس لأحد حق الاعتراض عليه في تصرفه إذا لم يعلم السر في أفعاله.

ولا نزاع بينهم أن البارع في علم من العلوم ، أو فن من الفنون ، أو صنعة من الصنائع أنه قد يعمل أعمالاً لا تدركها عقول الذين لم يقفوا على أسرار ذلك العلم ، أو الفن ، أو الصنعة.

ولا يعني عدمُ إدراكهم لذلك القدحَ في ذلك العلم ، أو الفن ، أو الصنعة.

هذا بالنسبة للبشر القاصرين في علمهم وحكمتهم ، فكيف بأحكم الحاكمين ، وبمن وسع كل شيء رحمة وعلماً؟!

فإن حاولنا كشف ما طُوي عنا من أسرار القدر مما استأثر الله بعلمه كان ذلك تكلفاً بلا نتيجة ، ومن حاول إدراك غير المستطاع فنتيجة محاولته أن يكون[1] :

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها ... فلم يضرها وأوهى قرنَه الوعلُ[2]

قال شيخ الإسلام رحمه الله : «والله ـ تعالى ـ غني عن العباد ، إنما أمرهم بما ينفعهم ، ونهاهم عما يضرهم ، فهو محسن إلى عباده بالأمر لهم ، محسن لهم

---

(١) انظر العقل والنقل عند ابن رشد ، د.محمد أمان ص٥٦ـ٥٧.

(٢) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ص٦١

بإعانتهم على الطاعة.

ولو قُدِّر أن عالماً صالحاً أمر الناس بما ينفعهم، ثم أعان بعض الناس على فعل ما أمرهم به، ولم يعن آخرين لكان محسناً إلى هؤلاء إحساناً تامًّاً، ولم يكن ظالماً لمن لم يحسن إليه.

وإذا قدر أنه عاقب المذنب العقوبة التي يقتضيها عدله وحكمته لكان -أيضاً- محموداً على هذا وهذا.

وأين هذا من حكمة أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين؟! فأمره لهم إرشاد، وتعليم، وتعريف بالخير، فإن أعانهم على فعل المأمور كان قد أتم النعمة على المأمور، وهو مشكور على هذا وهذا.

وإن لم يعنه وخذله حتى فعل الذنب كان له في ذلك حكمة أخرى»[١].

وقال رحمه الله: «وليس اطلاع كثير من الناس - بل أكثرهم - على حكم الله في كل شيء نافعاً لهم، بل قد يكون ضارًّاً، قال - تعالى -: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ سورة المائدة: ١٠١.

وهذه المسألة: مسألة غايات أفعال الله، ونهاية حكمته مسألةٌ عظيمة، لعلها أجل المسائل الإلهية»[٢].

---

(١) منهاج السنة ٣/٣٨، وانظر الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص٣٤-٣٦، ورسالة الثغر لأبي الحسن الأشعري ص٨٥.

(٢) منهاج السنة النبوية ٣/٣٩، وانظر ١/٤٦ من الكتاب نفسه، ومجموع الفتاوى ٨/٨١، وانظر إغاثة اللهفان لابن القيم ٢/١٨٧-١٩٥.

وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدل، لا يجور: كيف خلق؟ وكيف قدَّر؟ وكيف أعطى؟ وكيف منع؟ وأنه لا يخرج من قدرته شيء، ولا يكون في ملكوته من السماوات والأرض إلا ما أراد، وأنه لا دين لأحد عليه، ولا حق لأحد قبله، فإن أعطى فبفضل، وإن منع فبعدل» [(١)].

وخلاصة القول في هذه المسألة أن الهداية والإضلال لله وحده؛ فالله أعلم حيث يجعل هدايته كما أنه أعلم حيث يجعل رسالته.

ولا يعني ذلك تعطيل الأسباب؛ فالله ـ عز وجل ـ نصب أسباباً، وجعلها طريقاً للوصول إلى الهدى، وحذَّر من أسباب الإضلال، وبيَّن أنها موصلة للردى، ويبقى بعد ذلك أن نستحضر أن ذلك كله بيد الله ـ عز وجل ـ فلا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون عما يفعلون.

هذا وقد مرت إشارات إلى هذه المسألة خصوصاً عند الحديث عن نسبة الشر إلى الله ـ عز وجل ـ وعن الحكمة من إرادة الله لما لا يحبه، وعن الحكمة من خلق إبليس والمصائب والآلام وتقدير المعاصي.

---

(١) الاختلاف في اللفظ ص٣٥، وانظر الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة ١/٣٩٠.

المبحث الرابع

التوفيق بين استئثار الله بعلم ما في الأرحام وبين علم الأطباء بذكورة الجنين في الرحم من أنوثته

فهذا الإشكال يَردُ، ويلبس على كثير من الناس، وخلاصتة قولهم: إذا كان الله ـ عز وجل ـ يقول في سورة لقمان: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ سورة لقمان:٣٤، وإذا كان الرسول ﷺ يقول ـ كما في الصحيحين، وغيرهما عن ابن عمر ـ: «في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾. الآية[١].

فكيف نوفق بين ذلك، وبين ما نراه من علم الأطباء بذكورة الجنين من أنوثته؟

والجواب عن هذا الإشكال يسير بحمد الله، وقبل الدخول في ثنايا الإجابة لابد من تبيان مسألة مهمة، ألا وهي: «أنه لا يمكن أن يتعارض صريح القرآن الكريم مع الواقع أبداً، وأنه إذا ظهر في الواقع ما ظاهره المعارضة فإما أن يكون الواقع مجرد دعوى لا حقيقة له، وإما أن يكون القرآن الكريم غير صريح في معارضته؛ لأن صريح القرآن الكريم، وحقيقة الواقع كلاهما قطعي، ولا يمكن تعارض القطعيين أبداً»[٢].

---

(١) البخاري (٥٠ و ٤٧٧٧)، ومسلم (٩).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد ابن عثيمين ٣/٧٧.

وهذا ما قرره العلماء في القديم والحديث، بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بنى كتابه العظيم ـ درء تعارض العقل والنقل ـ على هذه القاعدة.

بل قد صرح بذلك كثير من الكتاب الغربيين المنصفين، ومنهم الكاتب الفرنسي(موريس بوكاي) كما في كتابه (التوراة والإنجيل والقرآنُ والعلم)؛ حيث بين في هذا الكتاب أن التوراة المحرفة، والإنجيل المحرَّف الموجودَين اليوم يتعارضان مع الحقائق العلمية، في الوقت الذي سجل فيه هذا الكاتب شهادات تَفَوُّق للقرآن الكريم سبق بها القرآنُ العلمَ الحديث.

وأثبت من خلال ذلك أن القرآن لا يتعارض أبداً مع الحقائق العلمية، بل إنه يتفق معها تمام الاتفاق[1].

وإذا تقرر ذلك نأتي إلى حل ذلك الإشكال فيقال:

١ ـ أن اختصاص علم الله ـ تعالى ـ بما في الأرحام لا يقتصر على علمه بما فيها من ذكر أو أنثى فحسب، بل هو أعم من ذلك؛ فيشمل ما في الرحم من ذكر أو أنثى منذ اللحظة الأولى قبل التخليق، ويشمل ماذا في الرحم في كل لحظة وفي كل طور، من فيض وغيض وحمل، حتى حين لا يكون للحمل حجم ولا جرم، ويشمل العلم بملامح الجنين، وخواصه، واستعداداته[2].

ويشمل ـ أيضاً ـ العلم برزقه هل هو قليل أو كثير؟ وصفة ذلك الرزق هل هو

(١) انظر التوراة والإنجيل والقرآن والعلم لموريس بوكاي ترجمة الشيخ حسن خالد.

(٢) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب ٥/٢٧٩٩.

حرام أو حلال؟ ويشمل العلم بأجله أقصير هو أم طويل؟ ويشمل العلم بعمله هل هو صحيح أو فاسد؟ ويشمل العلم بشقاوته من سعادته[١].

فهذا من علم ما في الأرحام، وهو مما اختص الله ـ تبارك وتعالى ـ بعلمه، فلا يُظْهِر عليه أحداً إلا من ارتضى من رسول أو ملَك أو غيرهما.

«وليس في الآية تصريح بذكر العلم بالذكورة والأنوثة، وكذلك لم تأت السنة بذلك»[٢].

٢ـ أن معرفة ما في الرحم هل هو ذكر أو أنثى لا يعلم إلا بعد تخليق الجنين.

أما المدة التي لم يُخَلَّق فيها الجنين فلا يعلم أحد فيها ذكورة الجنين من أنوثته؛ لأن ذلك من علم الغيب.

وقد «اتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر»[٣].

ونفخ الروح في الجنين لا يكون إلا بعد تمام صورته، أي بعد تخليقه[٤].

وبعد تخليقه لا يكون العلم بذكورته أو أنوثته من علم الغيب؛ «لأنه بتخليقه صار من علم الشهادة، إلا أنه مستتر في الظلمات التي لو أزيلت لتبين أمره.

ولا يبعد أن يكون فيما خلق الله ـ تعالى ـ من الأشعة أشعة قوية تخترق

---

(١) انظر فتح الباري ٤٩٢/١١.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٧٧/٣.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٩١/١٦، وفتح الباري ٤٩٣/١١.

(٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٩١/١٦

الظلمات حتى يتبين الجنين ذكراً أو أنثى »[١].

ولذلك فلا غرابة أن يعرف الجنين بعد أن يتخلق من خلال الأشعة الصوتية؛ فهذا من علم الشهادة، ومن العلم بظاهر من الحياة الدنيا، والله ـ عز وجل ـ لم ينفِ ذلك عن البشر، بل أثبته لهم كما في قوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الروم: ٧.

قال ابن كثير[٢] رحمه الله في تفسير آية لقمان ٣٤: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾ : «وكذلك لا يعلم مما يريد أن يخلقه ـ تعالى ـ سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى، أو شقيًّا أو سعيداً علم الملائكة الموكلون بذلك، ومن شاء من خلقه »[٣].

فهذا مقتضى دلالة الشرع والواقع.

أما دلالة الشرع فكما جاء في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وكل الله بالرحم ملَكاً يقول: أي ربِّ! نطفة، أي ربِّ! علقة، أي ربِّ! مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقاً قال: يا رب! أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ٧٧/٣

(٢) هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصري ثم الدمشقي الشافعي، الإمام المفسر الحافظ، ولد في بصرى سنة ٧٠١هـ، ثم انتقل إلى دمشق، وبرع في الفقه والتفسير والنحو والحديث، ومن مصنفاته: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، توفي سنة ٧٧٤. انظر شذرات الذهب ٢٣١/٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٧٣/٣.

الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب ذلك في بطن أمه» [(١)].

أما دلالة الواقع فكما مر من أن الجنين يعرف بعد أن يُخَلَّق عن طريق الأشعة الصوتية.

---

(١) البخاري (٦٥٩٥)، ومسلم (٢٦٤٦).

الباب الثالث

الانحراف في القدر

وتحته أربعة فصول:

الفصل الأول: أخطاء في باب القدر

وتحته أربعة مباحث

المبحث الأول: أخطاء في مفهوم القدر

المبحث الثاني: أقوال مخالفة في القدر

المبحث الثالث: أخطاء في القدر قبل وقوعه

المبحث الرابع: أخطاء في القدر بعد وقوعه

الفصل الثاني: أقوال الناس في القدر

وتحته تمهيد، وخمسة مباحث

المبحث الأول: قول الهنود والبابليين والمصريين القدماء في القدر

المبحث الثاني: قول الفلاسفة في القدر

المبحث الثالث: قول اليهود في القدر

المبحث الرابع: قول النصارى في القدر

المبحث الخامس: قول المفكرين والفلاسفة الغربيين المتأخرين في القدر

الفصل الثالث: القول بالقدر في الإسلام

وتحته ستة مباحث:

المبحث الأول: نشأة القول بالقدر

المبحث الثاني: قول القدرية المعتزلة في القدر

المبحث الثالث: قول الجبرية في القدر

المبحث الرابع : قول الصوفية في القدر

المبحث الخامس : قول الأشاعرة في القدر

المبحث السادس : قول الشيعة في القدر

الفصل الرابع: مناقشة أقوال الفرق

وتحته تمهيد ، وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : المناقشة الإجمالية لأقوال الفرق

المبحث الثاني : مناقشة قول المعتزلة القدرية

المبحث الثالث : مناقشة قول الجبرية

الفصل الأول

أخطاء في باب القدر

وتحته أربعة مباحث

المبحث الأول: أخطاء في مفهوم القدر

المبحث الثاني: أقوال مخالفة في القدر

المبحث الثالث: أخطاء في القدر قبل وقوعه

المبحث الرابع: أخطاء في القدر بعد وقوعه

المبحث الأول

أخطاء في مفهوم القدر

هناك أخطاء عديدة يقع فيها كثير من الناس في باب القدر، وهذه الأخطاء منها ما هو في الأقوال، ومنها ما هو في الأفعال، ومنها ما هو في الاعتقادات، ومنها ما هو في ذلك كله، وسيتضح ذلك من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: الاحتجاج بالقدر على المعائب: قد مر بنا قريباً أن الاحتجاج بالقدر إنما يسوغ عند المصائب لا المعائب.

وهناك من يحتج بالقدر على المعائب، فيحتج بالقدر على استمراره بفعل المعاصي أو ترك الطاعات.

فإذا قيل له ـ مثلاً ـ لِمَ لا تصلي؟ قال: ما أراد الله لي ذلك! وإذا قيل له: متى ستتوب؟ قال: إذا أراد الله لي ذلك!

وهذا خطأ وضلال وانحراف؛ لأنه إن كان يقصد بالإرادة هنا الإرادة الشرعية التي هي بمعنى المحبة فقد أعظم الفرية على الله؛ لأن الله ـ عز وجل ـ أحبَّ الطاعة، ورضيها، وأمر بها، وشرعها.

وإن كان يقصد بها الإرادة الكونية التي هي بمعنى المشيئة، وأن الله لم يُقَدِّر له كذا وكذا من الطاعات، أو قدَّر له كذا وكذا من المعاصي فهذا خطأ ـ أيضاً ـ ذلك أن قدر الله سر مكتوم، لا يعلمه أحد من الخلق إلا بعد وقوعه، وإرادة العبد سابقة لفعله؛ فتكون إرادته غير مبنية على علم بقدر الله؛ فادعاؤه مردود، واحتجاجه باطل؛ لأنه ادعاء لعلم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله؛ فحجَّته ـإذاًـ داحضة؛ لأنه لا حجة للمرء فيما لا يعلم.

هذا وقد سبق تفنيد الاحتجاج بالقدر على المعائب مفصلاً فيما سبق.

المطلب الثاني: التخلي عن مساعدة المحتاجين والمنكوبين؛ بحجة أن ما حل بهم إنما هو بمشيئة الله: فمن الناس من يرى إخوانه المسلمين تنزل بهم النوازل، وتحل بهم القوارع، فلا يتحرك لنصرتهم، ولا ينبعث لمساعدتهم، ولا يحث غيره على ذلك؛ بحجة أن ذلك إنما وقع بمشيئة الله، وأنه لا يسوغ لنا أن نساعدهم، والله ـ عز وجل ـ يعاقبهم!

وكذلك ما يوجد عند بعض الناس إذا قيل لهم: أحسنوا إلى الفقراء والمحتاجين ـ قال قائلهم: كيف نحسن إليهم، والله قد شاء لهم ذلك؟ الله يفقرهم وأنت تغنيهم؟ أو يقول: إن الله لو شاء إغناءهم لأغناهم بدون مساعدتنا ورفدنا!.

فهذا الكلام وأمثاله باطل بلا ريب، وهو يدل على جهل عظيم، أو تجاهل وخيم؛ ذلك أن المشيئة ليست حجة لفعل المعاصي أو ترك الطاعات أبداً.

ثم إن هذا جهل بحكمة الله ـ تبارك وتعالى ـ حيث رفع بعض الناس على بعضه، وابتلى بعضهم ببعض، ودفع بعضهم ببعض.

ثم إن المال مال الله، ولو شاء لسلبك إياه يا من تقول هذا القول، فهل سترضى حينئذ ـ إذا اشتدت ضرورتك إلى ما تقيم به أودَك ـ أن يقال لك مثل ما قلت؟

فهذا القول خطأ عظيم، وضلالة كبرى، وقائلوه فيهم شَبَهٌ ممن قال الله ـ عز وجل ـ فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ سورة يس:٤٧.

المطلب الثالث: ترك الأخذ بالأسباب بحجة التوكل على الله، والتسليم لقضائه وقدره: فهناك من يترك الأخذ بالأسباب، بحجة أنه متوكل على الله، مؤمن بقضائه وقدره، وأنه لا يقع في ملكه شيء إلا بمشيئته.

وذلك كحال بعض الصوفية الذين يرون أن ترك الأخذ بالأسباب أعلى مقامات التوكل.

فهذا الأمر مما عمت به البلوى، واشتدت به المحنة، سواء على مستوى الأفراد، أو على مستوى الأمة.

فأمة الإسلام مرت بأزمات كثيرة، وفترات عسيرة، وكانت تخرج منها بالتفكير المستنير، والنظرة الثاقبة، والتصور الصحيح، فتبحث في الأسباب والمسببات، وتنظر في العواقب والمقدمات، ثم بعد ذلك تأخذ بالأسباب، وتلج البيوت من الأبواب، فتجتاز ـ بأمر الله ـ تلك الأزمات، وتخرج من تلك النكبات، فتعود لها عزتها، ويرجع لها سالف مجدها.

هكذا كانت أمة الإسلام في عصورها الزاهية.

أما في هذه العصور المتأخرة التي غشت فيها غواشي الجهل، وعصفت فيها أعاصير الإلحاد والتغريب، وشاعت فيها البدع والضلالات ـ فقد اختلط هذا الأمر على كثير من المسلمين؛ فجعلوا من الإيمان بالقضاء والقدر تكأةً للإخلاد إلى الأرض، ومسوغاً لترك الحزم والجد والتفكير في معالي الأمور، وسبل العزة والفلاح، فآثروا ركوب السهل الوطيء الوبيء على ركوب الصعب الأشق المريء.

فكان المخرج لهم أن يتكل المرء على القدر، وأن الله هو الفعَّال لما يريد، وأن ما شاءه كان، وما لم يشأه لم يكن؛ فلتمض إرادته، ولتكن مشيئته، وليجرِ قضاؤه وقدره، فلا حول لنا ولا طول، ولا يدَ لنا في ذلك كله.

هكذا بكل يسر وسهولة، استسلام للأقدار دون منازعة لها في فعل الأسباب المشروعة والمباحة.

فلا أمر بالمعروف، ولا نهي عن المنكر، ولا جهاد لأعداء الله، ولا حرص على نشر العلم ورفع الجهل، ولا محاربة للأفكار الهدامة والمبادئ المضللة، كل ذلك بحجة أن الله شاء ذلك!

والحقيقة أن هذه مصيبة كبرى، وضلالة عظمى، أدت بالأمة إلى هوة سحيقة من التخلف والانحطاط، وسببت لها تسلط الأعداء، وجرت عليها ويلاتٍ إثرَ ويلاتٍ.

وإلا فالأخذ بالأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر، بل إنه من تمامه؛ فالله ـ عز وجل ـ أراد بنا أشياء، وأراد منا أشياء، فما أراده بنا طواه عنا، وما أراده منا أمرنا بالقيام به، فقد أراد منا حمل الدعوة إلى الكفار وإن كان يعلم أنهم لن يؤمنوا، وأراد منا قتالهم وإن كان يعلم أننا سنُهزم أمامهم، وأراد منا أن نكون أمة واحدة وإن كان يعلم أننا سنتفرق ونختلف، وأراد منا أن نكون أشداء على الكفار رحماء بيننا، وإن كان يعلم أن بأسنا سيكون بيننا شديداً وهكذا...

فالخلط بين ما أريد بنا، وما أريد منا هو الذي يُلبس الأمر، ويوقع في المحذور.

ثم لا ريب أن الله ـ عز وجل ـ هو الفعال لما يريد، الخالق لكل شيء، الذي

بيده ملكوت كل شيء، الذي له مقاليد السماوات والأرض، ولكنه ـ تبارك وتعالى ـ جعل لهذا الكون نواميس يسير عليها؛ وقوانين ينتظم بها، وإن كان هو ـ عز وجل ـ قادراً على خرق هذه النواميس وتلك القوانين، وإن كان ـ أيضاً ـ لا يخرقها لكل أحد.

فالإيمان بأن الله قادر على نصر المؤمنين على الكافرين ـ لا يعني أنه سينصر المؤمنين وهم قاعدون عن الأخذ بالأسباب؛ لأن النصر بدون الأخذ بالأسباب مستحيل، وقدرة الله لا تتعلق بالمستحيل، ولأنه منافٍ لحكمةِ الله، وقُدْرَتُه ـ عز وجل ـ متعلقةٌ بحكمته.

فكون الله قادراً على الشيء، لا يعني أن الفرد أو الجماعة أو الأمة قادرة عليه؛ فقدرة الله صفة خاصة به، وقدرة العبد صفة خاصة به، فالخلط بين قدرة الله والإيمان بها، وقدرة العبد وقيامه بما أمره الله به هو الذي يحمل على القعود، وهو الذي يخدر الأمم والشعوب[1].

وهذا ما لاحظه وألمح إليه أحد المستشرقين الألمان، فقال وهو يؤرخ لحال المسلمين في عصورهم المتأخرة: «طبيعة المسلم التسليم لإرادة الله، والرضا

---

(١) انظر الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ عبدالرحمن الدوسري ص١١٨ـ١٢٤، ومنهج القرآن في القضاء والقدر لمحسن الغريب ص٤٢ـ٤٤.

بقضائه وقدره، والخضوع بكل ما يملك للواحد القهار.

وكان لهذه الطاعة أثران مختلفان؛ ففي العصر الإسلامي الأول لعبت دوراً كبيراً في الحروب، وحققت نصراً متواصلاً؛ لأنها دفعت في الجندي روح الفداء.

وفي العصور المتأخرة كانت سبباً في الجمود الذي خيم على العالم الإسلامي، فقذف به إلى الانحدار، وعزله وطواه عن تيار الأحداث العالمية»(١).

المطلب الرابع: ترك الدعاء بحجة أن الله يعلم حاجة العبد قبل أن يسأل، وأنه لو شاء لأعطاه مسألته بغير سؤال، وأنه لن يصيب العبد إلا ما كتب له:

فهناك من يستهين بشأن الدعاء، ويرى أنه لا داعي له، ولا جدوى من ورائه؛ طالما أن الله ـ عز وجل ـ يعلم حاجة العبد، وأنه لن يصيب العبد إلا ما قُدِّر له.

وربما قال قائلهم: لا حاجة لنا بالدعاء إذا نزل البلاء.

وهذا القول قول باطل؛ لأنه مناف للإيمان بالقدر، وتعطيل للأسباب، وترك لعبادة هي أكرم العبادات على الله ـ عز وجل ـ.

فالدعاء أمره عظيم، وشأنه جلل؛ فبه يرد القدر، وبه يرفع البلاء؛ فهو ينفع مما نزل ومما لم ينزل.

قال ﷺ: «ولا يرد القدر إلا الدعاء»(٢).

---

(١) الإسلام قوة الغد العالمية، باول شمتز ص٩٠، وانظر العلمانية د. سفر الحوالي ص٥١٩.

(٢) أخرجه أحمد ٢٧٧/٥، وابن ماجه (٩٠) في المقدمة باب القدر، والترمذي (١٣٩) القدر باب لا يرد القدر إلا الدعاء، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٨٧)، وانظر السلسلة الصحيحة (١٥٤).

وقال: «من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سُئل الله شيئاً يعطى أحبَّ إليه من أن يسأل العافية، إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل؛ فعليكم عباد الله بالدعاء»[(١)].

وقال: «لا يغني حذر من قدر، وإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن الدعاء ليلقي البلاء فيعتلجان إلى يوم القيامة»[(٢)].

وربما استشهد بعض من يترك الدعاء ـ كبعض الصوفية ـ بحديث: «حسبي من سؤالي علمه بحالي».

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٨) وقال: «غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالرحمن بن أبي بكر القرشي، وهو ضعيف في الحديث، ضعفه بعض أهل العلم من قبل حفظه».

وقال الألباني في صحيح الجامع(٣٤٠٩):«حسن»، وانظر المشكاة(٢٢٣٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء ٨٠٠/٢ (٣٣) والأوسط (٢٥١٩)، والحاكم ٤٩٢/١، والبزار كما في كشف الأستار للهيثمي، ٢٩/٢ رقم (٢١٦٥) من طريق زكريا بن منظور الأنصاري، قال: حدثني عطاف الشامي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قال الحاكم: «هذا صحيح الإسناد» وتعقبه الذهبي بأن في سنده زكريا مجمع على ضعفه.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٦/١٠: «وفيه زكريا بن منظور، وثقه أحمد بن صالح المصري وضعفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات»، وقال الألباني في صحيح الجامع (٧٧٣٩): «حسن» وانظر المشكاة (٢٢٣٤).

وأخرجه أحمد ٢٣٤/٥، والطبراني في الكبير ١٠٣/٢٠ (٢٠١) من طريق شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل بنحوه. وقال الهيثمي في المجمع ١٤٦/١٠: «وشهر بن حوشب لم يسمع من معاذ، ورواية إسماعيل بن عياش عن أهل الحجاز ضعيفة».

وهذا الحديث باطل لا أصل له، وقد تكلم عليه العلماء، وبينوا بطلانه.

فقد ذكره البغوي[1] في تفسير سورة الأنبياء مشيراً إلى ضعفه فقال: «وروي عن أبي بن كعب أن إبراهيم قال -حين أوثقوه؛ ليلقوه في النار-: «لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد، ولك الملك، لا شريك لك»، ثم رموا به في المنجنيق إلى النار، واستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم، لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، قال جبريل: فاسأل ربك، فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا الحديث: «وأما قوله: حسبي من سؤالي علمه بحالي - فكلام باطل، خلاف ما ذكره الله عن إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء، من دعائهم لله، ومسألتهم إياه، وهو خلاف ما أمر الله به عباده من سؤالهم له صلاح الدنيا والآخرة»[3].

---

(١) هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي الملقب ظهير الدين الفقيه الشافعي المحدث المفسر، كان بحراً في العلوم، وصنف تفسير كلام الله، وأوضح المشكلات من قول النبي ﷺ، ودرَّس وكان لا يلقي الدرس إلا على الطهارة.

صنف كتباً كثيرة منها تفسيره المعروف بـ: «معالم التنزيل»، و«شرح السنة»، توفي في شوال سنة ٥١٠هـ بمروروذ. انظر وفيات الأعيان ٢/١٣٦-١٣٧.

(٢) تفسير معالم التنزيل للبغوي ٥/٣٤٧.

(٣) مجموع الفتاوى ٨/٥٣٩.

قال الشيخ الألباني[١] رحمه الله عن هذا الحديث: «لا أصل له؛ أورده بعضهم من قول إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو من الإسرائيليات، ولا أصل له في المرفوع»[٢].

وقال بعد ذلك عن الحديث: «وقد أخذ هذا المعنى بعضُ من صنَّف في الحكمة على الطريقة الصوفية فقال: سؤالك منه ـ يعني الله تعالى ـ اتهام له»[٣].

ثم قال رحمه الله تعليقاً على تلك المقولة: «هذه ضلالة كبرى؛ فهل كان الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ مُتَّهِمين لربهم حين سألوه مختلف الأسئلة؟»[٤].

---

(١) العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني أحد أبرز العلماء المسلمين في العصر الحديث، ويعد الشيخ الألباني من علماء الحديث البارزين المتفردين في علم الجرح والتعديل، والشيخ الألباني حجة في مصطلح الحديث وقال عنه العلماء المحدثون إنه أعاد عصر ابن حجر العسقلاني والحافظ بن كثير وغيرهم من علماء الجرح والتعديل، ولد الشيخ محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني عام ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٤ م، وتوفي قبيل يوم السبت في الثاني و العشرين من جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ الموافق الثاني من أكتوبر ١٩٩٩م، و دفن بعد صلاة العشاء.

خلف مؤلفات كثيرة خصوصاً في الحديث منها: سلسلة الأحاديث الصحيحة، والضعيفة، انظر كتاب: علماء ومفكرون عرفتهم للشيخ محمد المجذوب ١/٢٨٧ـ٣١٣، والألباني للشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني، وغيرها.

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ١/٢٨ (٢١).

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ١/٢٩.

(٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ١/٢٩.

المبحث الثاني

أقوال مخالفة في القدر

هناك أقوال تجري على الألسنة وهي مخالفة للإيمان بالقدر، ومن ذلك ما يلي:

١ ـ الدعاء بـ: اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه: فهذا الدعاء يجري كثيراً على الألسنة، وهو دعاء لا ينبغي؛ لأنه شرع لنا أن نسأل الله ردَّ القضاء إذا كان فيه سوءٌ.

ولهذا بوَّب الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ باباً في صحيحه قال فيه: «باب من تعوذ بالله من درك الشقاء، وسوء القضاء، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ » سورة الفلق: ١ـ٢.

ثم ساق قول النبي ﷺ: «تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء»[(١)].

٢ـ قول: شاءت الظروف، أو شاءت الأقدار كذا وكذا: فهذه من الألفاظ التي لا تنبغي؛ لأنه ليس للظروف ولا الأقدار مشيئة.

وقد سئل الشيخ العلامة محمد ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه الألفاظ فقال: «شاءت الأقدار، وشاءت الظروف ألفاظ منكرة؛ لأن الظروف جمع ظرف، وهو الزمن، والزمن لا مشيئة له، وكذلك الأقدار جمع قدر، والقدر لا مشيئة له.

---

(١) البخاري (١٦١٦)، وأخرجه مسلم (٢٧٠٧).

وإنما الذي يشاء هو الله ـ عز وجل ـ نعم لو قال الإنسان: اقتضى قدر الله كذا وكذا فلا بأس، أما المشيئة فلا يجوز أن تضاف للأقدار؛ لأن المشيئة هي الإرادة، ولا إرادة للوصف، وإنما هي للموصوف»[١].

٣ـ قول: ما شاء الله وشاء فلان: فهذا القول شرك بالله ـعز وجلـ لوجود التسوية في العطف بالواو؛ فمن سوَّى العبد بالله ـ ولو في الشرك الأصغر ـ فقد جعله ندًّا لله ـ عز وجل ـ لما رواه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلتني لله ندًّا؟ بل ما شاء الله وحده»[٢].

ولقوله ﷺ: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»[٣].

ومن هنا يتبين لنا أنه لا يجوز أن يقال: ما شاء الله وشاء فلان، وإنما يقال: ما شاء الله ثم شاء فلان.

والأولى من ذلك أن يقال: ما شاء الله وحده؛ لأن فيه التصريحَ بالتوحيد المنافي للتنديد من كل وجه، والبصير يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص[٤].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد ابن عثيمين ٣/١٣١ـ١٣٢.

(٢) أخرجه أحمد ١/٢١٤و٢٢٤و٢٨٣، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد للبخاري (٧٨٣).

(٣) أخرجه أحمد ٥/٣٨٤ و٣٩٤، وأبو داود (٤٩٨٠)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٧) في سنده: «وهذا سند صحيح».

(٤) انظر فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص٦١٢.

٤ـ قول: إن الله على ما يشاء قدير إذا قام بالقلب أن الله لا يقدر إلا على ما يشاؤه فحسب: وقد أشار إلى خطأ هذا التعبير بعض العلماء منهم الشيخ العلامة عبدالرحمن بن حسن[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ.

يقول المؤرخ عثمان بن بشر[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ: «كتبت له مرة ـ يعني عبدالرحمن ابن حسن ـ ودعوت له في آخر الكتاب، وقلت في ختام الدعاء: إنه على ما يشاء قدير.

فكتب إليَّ وقال في أثناء جوابه: إن هذه الكلمة اشتهرت على الألسن من غير قصد، وهو قول الكثير إذا دعا الله ـ تعالى ـ «وهو القادر على ما يشاء» ويقصد بها أهل البدع شرًّا، وكل ما في القرآن ﴿وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْر﴾ سورة

---

(١) هو الشيخ العلامة عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (١١٩٣هـ ـ ١٢٨٥هـ) حفيد الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، ويُعرف أهل هذا البيت بـ: آل الشيخ، تفقه الشيخ عبدالرحمن بنجد، ثم بمصر، وقد نقله إليها إبراهيم باشا بعد استيلائه على الدرعية، وعاد إلى نجد سنة ١٢٤١هـ، فاشتهر في أيام الإمام تركي بن عبدالله، له من الكتب «الإيمان والرد على أهل البدع»، و«فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» وهو من أنفع الشروح. انظر الأعلام ٤/٧٥ـ٧٦.

(٢) هو عثمان بن عبدالله بن عثمان بن أحمد بن بشر الحرقوصي من بني زيد من قضاعة أحد الشعوب القحطانية، ولد سنة ١٢١٠هـ في جلاجل إحدى بلدان مقاطعة سدير، ونشأ فيها وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم انتقل إلى الدرعية، فتلقى العلم عن علمائها، واتجه إلى التاريخ لاسيما تاريخ نجد، وقد ألف كتباً كثيرة منها: «عنوان المجد في تاريخ نجد» وهو من أنفس وأجمع وأوفق وأعدل ما صُنف من تواريخ نجد، وكتاب «سهيل في ذكر الخيل»، و«الإشارة في معرفة منازل السبع السيارة»، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ عام ١٢٩٠هـ انظر علماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبدالله البسام ٥/١١٥ـ١٢٠.

المائدة:١٠٢ ، وليس في القرآن والسنة ما يخالف ذلك أصلاً؛ لأن القدرة شاملة كاملة ، وهي والعلم صفتان شاملتان ، تتعلقان بالموجودات والمعدومات ، وإنما قصد أهل البدع هو القادر على ما يشاء ، أي أن القدرة لا تتعلق إلا بما تعلقت به المشيئة »[١].

وقال الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم[٢] رحمه الله في جواب له عن هذا التعبير: « الأولى أن لا يطلق ، ويقال : إن الله على كل شيء قدير؛ لشمول قدرة الله ـ جل

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ٢٢/٢.

(٢) هو العلامة الجليل الشيخ أبو عبد العزيز محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن بن الشيخ الإمام محمد ابن عبد الوهاب ـ رحمهم الله جميعاً ـ ولد الشيخ محمد في مدينة الرياض في حي دخنة في السابع عشر من شهر الله المحرم ، عام ١٣١١هـ ، وتوفي ١٣٨٩هـ.

نشأ نشأة صالحة ، وأخذ بأسباب المعرفة والعلم ، فتلقى القرآن الكريم وهو ما بين الثامنة والعاشرة من عمره وقيل : إنه حفظ القرآن في الحادية عشرة ، وقيل وهو في السادسة عشرة ، وذلك على يد معلمه الشيخ عبد الرحمن ابن مفيريج ، وفي السادسة عشرة من عمره أصيب الرمد في عينيه ، فكف بصره.

ثم واصل بعد ذلك طلبة العلم ، في مختلف الفنون ، وتلقى على جلة من أكابر العلماء في عصره.

تقلد أعمالاً عظيمة ، وأُنيطت به مهمات جسيمة لا يقوم بها إلا أولو القوة من الرجال منها : التدريس والفتوى والإمامة ورئاسة القضاء ورئاسة الكليات والمعاهد العلمية ، والإشراف على مدارس البنات ، ورئاسة الجامعة الإسلامية ، ورئاسة دور الأيتام ، ورئاسة المعهد العالي للقضاء ، ورئاسة المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي ، وغيرها من الأعمال التي تصل إلى تسعة عشر عملاً.

انظر مقدمة فتاويه ورسائله التي جمعها الشيخ محمد بن قاسم ٩/١ـ٢٣ ، وعلماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبدالله البسام ٨٨/١ـ٩٧.

جلاله ـ لما يشاؤه ولما لا يشاؤه»[١].

وقال الشيخ الدكتور بكر أبو زيد[٢] ـ حفظه الله ـ: «فإن إطلاق هذا اللفظ له حالتان:

الأولى على وجه العموم، فهذا ممتنع لثلاثة وجوه:

١ـ لأن فيها تقييداً لما أطلقه الله.

٢ـ لأنه موهم بأن ما لا يشاؤه لا يقدر عليه.

٣ـ لأنه موحٍ بمذهب القدرية.

والحالة الثانية على وجه التقييد كما ذكر»[٣]، أي يجوز مقيَّداً بأفعال معينة.

والأظهر ـ والله أعلم ـ أن هذا التعبير ـ إن الله على ما يشاء قدير ـ تعبير صحيح، ولا يعد خطأً، إلا إذا قام بقلب القائل أن قدرة الله لا تتعلق إلا بما

---

(١) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/٢٠٧.

(٢) هو الشيخ العلامة الأديب العالم بكر بن عبدالله أبو زيد من قبيلة بني زيد القضاعية، ولد سنة ١٣٦٥هـ، درس على الطريقة النظامية فنال شهادة الدكتوراة، ولازم حلق عدد من المشايخ في الرياض ومكة والمدينة على رأسهم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، وهو الآن عضو في هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للفتوى في المملكة العربية السعودية، له مشاركات في التأليف في الحديث والفقه واللغة والمعارف العامة منها: معجم المناهي اللفظية، وحلية طالب العلم، وغيرها كثير تزيد على سبعين مؤلفاً.

انظر ترجمته بقلم ابنه الشيخ عبدالله بن بكر.

(٣) معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبو زيد ص٣٣١.

تعلقت به المشيئة، مع أن الأولى أن يقال: إن الله على كل شيء قدير؛ لما سبق.

ومما يدل على صحة هذا التعبير ـ ما جاء في مسند الإمام أحمد وصحيح مسلم من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه، ولفظ أحمد: «ولكني على ما أشاء قدير»[١]، ولفظ مسلم: «ولكني على ما أشاء قادر»[٢] كلاهما من طريق عفان بن مسلم عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس عن ابن مسعود رضي الله عنه[٣].

٥ـ القول بأن إرادة الشعب من إرادة الله: هذا القول يطلقه بعض الملاحدة، ويريدون به تسويغ ما يروجونه من ضلال وفساد؛ فهو بهذا الاعتبار إطلاق لا يجوز، وقد سئل الشيخ عبدالرحمن الدوسري[٤] رحمه الله عن هذا الإطلاق فأجاب

---

(١) المسند ٤١١/١.

(٢) مسلم (١٨٧).

(٣) يقول سماحة الشيخ الوالد عبدالعزيز ابن باز رحمه الله: «ليس القول بأن الله على ما يشاء قدير يعتبر خطأ، بل هو جائز، كما في قوله ـ سبحانه ـ في سورة الشورى: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ الشورى: ٢٩، ولكن إطلاق ذلك أفضل؛ لأنه هو الواقع في أغلب الآيات مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ١٠٩، وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾ الكهف: ٤٥، وغيرها من الآيات المطلقة، والله ولي التوفيق».

(٤) هو الشيخ العلامة عبدالرحمن بن محمد الدوسري، ولد سنة ١٣٣٢هـ، وتوفي ١٣٩٩/١١/١٦هـ، كان ذا غيرة، ونصح للأمة، وكان صاحب نظرة ثاقبة، وفراسة صادقة، وكان ذا زهد وعفة وشجاعة نادرة.

له مؤلفات كثيرة منها التفسير المسمى، «صفوة الآثار والمفاهيم»، والأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، وتربية الإسلام، ادعاءات التحرر، واليهودية والماسونية.

قائلاً :

«هذا افتراء عظيم تجرأ به على الله بعض فلاسفة المذاهب ومنفذيها جرأةً لم يسبق لها مثيل في أي محيط كافر في غابر القرون؛ إذ غاية ما قص الله عنهم التعلق بالمشيئة بقولهم : ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ سورة الأنعام : ١٤٨.

فكذبهم الله ، وهؤلاء جعلوا للشعب الموهوم إرادة الأمر؛ لتبرير خططهم التي ينفذونها.

ويلزم من هذا الإفك إفساد اللوازم المبطلة له ، والدافعة لمن قاله؛ إذ على قولهم الفاسد يكون للشعب أن يفعل ما يشاء ، ويتصرف في حياته تصَرُّف مَنْ ليس مقيداً بشريعة وكتاب ، بل على وفق ما يهواه ، وعلى أساس المادة والشهوة ، والقوة ، كالشعوب الكافرة التي لا تدين بدين يقبله الله ، ولا ترعى خلقاً ولا فضيلة.

فهذا الإفك العظيم لم يجرؤ عليه أبو جهل ومن على شاكلته مع خبثه وعناده؛ لأن قبحه معروف ببداهة العقول؛ حيث إن أذواق الشعوب ونزعاتها تختلف ،

فإذا جعلت إرادة الشعب من إرادة الله صارت نزعات الوجودية[1]، والشيوعية[2]، والنازية[3]، والصهيونية[4]، ووحشية الغاب وغيرها من إرادة الله التي أمر بها، وصار كل ما تهواه النفوس الشريرة، ويعشقه مرضى القلوب من التهتك، والانحلال ومعاقرة الخمر، ودغدغة الغرائز، وإشباع الشهوات على حساب الغير ـ من أمر الله.

---

(١) الوجودية: مذهب فلسفي يقوم على دعوة خادعة، وهي أن يجد الإنسان نفسه، ومعنى ذلك أن يتحلل من القيم، وينطلق لتحقيق رغباته بدون شرط ولا قيد. انظر الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة د. ناصر العقل، د. ناصر القفاري ص١١٦.

(٢) الشيوعية في الاصطلاح العام: نظام يقوم على إلغاء الملكية الفردية وعلى حق الناس في الاشتراك وعلى حق الناس في الاشتراك في المال والنساء، وسائر الثروات والمكتسبات.

أما الشيوعية الماركسية: فهي حركة يهودية أسسها كارل ماركس وطبقها من جاء بعده، تقوم على الإلحاد، وتنظر إلى الكون والحياة من منظور مادي، وتسعى لتحقيق أهدافها بالحرب والنار، وبكل ما تملك من وسائل. انظر الشيوعية ص١١ـ١٢ لمحمد بن إبراهيم الحمد.

(٣) النازية: هي إيديولوجية حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني، وكلمة النازية اختصار لذلك، وقوامها سيطرة الدولة على الاقتصاد، والقوميةُ العنصرية القائلة بأن العرق الآري سيد الأعراق جميعاً وضرورة توسيع رقعة ألمانيا الإقليمية، وقد برزت النازية في ألمانيا إبان بروز هتلر عام ١٩٣٣م، وسقطت بسقوطه.

(٤) منظمة يهودية سياسية عنصرية أسسها اليهودي تيودور هرتزل، وتهدف إلى تجميع اليهود في فلسطين وإلى تنفيذ المخططات المرسومة لإعادة مجد بني إسرائل، وبناء هيكل سليمان، ثم إقامة مملكة إسرائيل ثم السيطرة على العالم تحت ظل يهوذا ملك اليهود المنتظر المزعوم. انظر الشيوعية للكاتب ص٢٢.

فعلام ينتقدون غيرهم، ويصيحون عليه إذا كانت إرادة الشعوب ورغباتها من إرادة الله في حكمه الذي يرتضيه؟ ولأي شيء يرسل الله الرسل، وينزل الكتب، ويشرع الجهاد، والأمر والنهي على الناس إذا كانت إرادتهم من إرادته التي يرتضيها؟

هذا هو عين المحال، ومنتهى الفجور والضلال، والذين تزعموا هذا الإفك لا يطبقونه على أنفسهم، بل يسمحون لها بغزو الشعب الذي لا يخضع لسلطانهم، ولا يسير وفق أهدافهم.

فكأن الشعب الذي يحكمونه هم بقوة الحديد والنار هو الشعب الذي إرادته ألوهيةً من إرادة الله.

والباطل لابد أن يتناقض، وينادي على نفسه بالبطلان؛ فقد أشركوا بالله شركاً عظيماً؛ إذ جعلوا الشعب ندَّاً من دون الله، وأهواءَه أنداداً لشريعته وحكمه، بدلاً من أن يكون محتكماً إلى الله، ملتزماً لحدوده، متكيفاً بشريعته، منفذاً لها»[1].

٦ـ قول بعض العامة: «هذه طَشَّةٌ ما وُزِنَتْ»: ويَعْنُون بذلك المطر، فإذا ازداد تهطاله وحصل الضرر من جرَّاء ذلك قال بعضهم: «هذه طَشَّةٌ ما وُزِنَتْ»!

فهذا التعبير تعبير خاطئ، ومناف للإيمان بالقدر؛ إذ كيف يظن أن قطرة مطر

---

(١) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ عبدالرحمن الدوسري ص٧٧ـ٧٨.

نزلت من السماء لم توزن؟! والله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ سورة الحجر: ٢١، ويقول: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ سورة المؤمنون: ١٨، ويقول: ﴿وكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ سورة الرعد: ٨.

٧ـ قول بعضهم: إن العقرب تسابق القدر والحية مأمورة: فبعض العامة يطلق هذا القول، ويُفَرِّعُ عليه أقوالاً أخر، فيقول: إذا مرت بك العقرب وأنت تصلي، أو كنت قاعداً في مكان ما فاقطع الصلاة، وقم من مكانك، واحترز منها؛ لأن غائلتَها لا تؤمن؛ فهي تسابق القدر!

بخلاف ما إذا مرت بك الحية، فلا تقطع الصلاة إن كنت تؤديها، ولا تتحرك من مكانك إن كنت جالساً أو مستلقياً، فلا تحترز منها، بل دعها فإنها مأمورة!

وهذا الكلام مردود، فقولهم: إن العقرب تسابق القدر، قول باطل مخالف لما جاء في الكتاب والسنة، ولما تقرر بالعقل والإجماع من أنه لا يقع شيءٌ إلا بقدر الله ـ عز وجل ـ وقد مرَّت بنا الأدلة قريباً؛ فما الذي يخرج العقرب من عموم قدر الله ـ عز وجل ـ وأَخْذِه بناصية كل دابة؟!

قال ﷺ: «العين حق ولو كان شيءٌ سابق القدر سبقته العين»[1].

---

(١) رواه مسلم (٢١٨٨).

يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله: «ولهذا صح عن النبي ﷺ أنه قال: «اقتلوا الأسودين في الصلاة: الحية والعقرب» وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «خمس من الدواب كلهن فواسق، يقتلن في الحل والحرم. ذَكَرَ منها العقرب. وفي رواية لمسلم ذكر الحية» البخاري ٢١٢/٢، ومسلم (١٢٠٠).

ثم إن قولهم: إن الحية مأمورة لا شك في ذلك، أما ألا نحترز منها؛ بحجة أنها مأمورة فهذا كلام باطل مخالف لتمام الإيمان بالقدر، لأن من تمامه الأخذَ بالأسباب، والتحرزُ من الحية من جملة الأسباب التي أمرنا بتعاطيها والأخذ بها، وإلا فكل شيء بأمر الله فهل نترك الأسباب بالكلية؟

المبحث الثالث

أخطاء في القدر قبل وقوعه

١ـ الجزم بفعل الشيء أو وقوعه في المستقبل دون تقييد ذلك بالمشيئة : كحال من يقول : سأفعل كذا وكذا في يوم كذا وكذا ، دون أن يقيد ذلك بالمشيئة.

فهذا خطأ ينبغي للمسلم تجنبه ، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً ، إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ سورة الكهف : ٢٣ـ٢٤.

وقل مثل ذلك في حق من يجزم بوقوع أمر ما في يوم كذا وكذا في المستقبل دون تقييد ذلك بالمشيئة.

٢ـ قلة اليقين بأن العاقبة للتقوى والمتقين: فهناك من إذا شاهد ما عليه المسلمون من الضعف والتمزق ، والتشتت والتفرق ، ورأى تسلط أعدائهم عليهم ، ونكايتهم بهم ـ أيس من نصر الله ، وقنط من عز الإسلام ، واستبعد أن تقوم للمسلمين قائمة ، وظن أن الباطل سيدال على الحق إدالة دائمة مستمرة يضمحل معها الحق.

فهذا الأمر جد خطير، وهو مما يعتري النفوس الضعيفة ، التي رق إيمانها ، وقل يقينها.

فهذا مما ينافي الإيمان بالقدر ، وهو دليل على قلة اليقين بوعد الله الصادق ، والتفاتٌ إلى الأمور المحسوسة دون نظر إلى عواقب الأمور وحقائقها.

وإلا كيف يظن هذا الظن والله ـ عز وجل ـ قد كتب النصر في الأزل ، وسبقت كلمته بأن العاقبة للتقوى وللمتقين ، وأن جنده هم الغالبون ، وهم

المنصورون، وأن الأرض يرثها عباده الصالحون؟

فمن ظن تلك الظنون السيئة فقد ظن بربه السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بجلاله، وكماله، وصفاته، ونعوته؛ فإن حمده، وعزته، وحكمته، وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة والغلبة للمشركين.

فمن ظن ذلك فما عرفه، ولا عرف ربوبيته وملكه وعظمته؛ فلا يجوز في حقه ـ عز وجل ـ لا عقلاً ولا شرعاً أن يظهر الباطل على الحق، بل إنه يقذف بالحق على الباطل فإذا هو زاهق[1].

أما ما يشاهد من تسلط الكفار واستعلائهم ـ فإنما هو استعلاء استثنائي، وذلك استدراجٌ وإملاءٌ من الله لهم، وعقوبة للأمة المسلمة على بعدها عن دينها.

ثم إن سنة الله ماضية فـ ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ سورة النساء: ١٢٣، وهذه الأمة تذنب، فتعاقب بذنوبها عقوبات متنوعة منها ما مضى ذِكْرُه؛ كي تعود إلى رشدها، وتؤوب إلى ربها، فتأخذ حينئذ مكانها اللائق بها.

ثم إن هذه الأمة أمة مرحومة تعاقب في هذه الدنيا، حتى يخف العذاب عنها في الآخرة، أو يغفر لها بسبب ما أصابها من بلاء.

٣ـ التألي على الله ـ عز وجل ـ: والتألِّي على الله هو الإقسام عليه ـعز

---

(١) انظر كلاماً عظيماً في هذا المعنى في زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ٣/٢١٨ـ٢٤١، وانظر حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص٣٦٠ـ٣٦١.

وجل ـ كأن يقول شخص لآخر: والله لا يغفر الله لفلان.

فهذه المقولة قد تصدر من بعض من ينتسب للخير، ممن قل فقهه وعلمه، فتراه ـ مثلاً ـ يحرص على دعوة عاصٍ من العصاة، فإذا رأى منه إعراضاً عن النصح، وصدوداً عن الخير، وتمادياً في المعاصي أيس منه، وأقصر عن نصحه، وربما قال: والله لن يغفر الله لك، هكذا بصيغة الجزم.

وهذه المقولة خطيرة، ولها آثار وخيمة؛ فهي سبب لحبوط العمل، وهي مما يتنافى مع الإيمان بالقدر؛ ذلك أن الهداية بيد الله، والخواتيم علمها عند الله.

فمن ذا الذي أخبر هذا القائل بأن الله لا يغفر لذلك العاصي؟ وما الذي سوَّغ له أن يحجر رحمة الله ـ عز وجل ـ؟!

ولهذا جاء في صحيح مسلم عن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حدَّث: «أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله ـ تعالى ـ قال: من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ فإني غفرت لفلان وأحبطت عملك»[١].

ومعنى يتألَّى عليَّ: أي يقسم ويحلف عليَّ، والأليَّة ـ بالتشديد ـ هي الحلف[٢].

٤ ـ استطلاع المستقبل عند الكهان والمنجمين: فالذهاب إلى الكهان والمنجمين، واستطلاع المستقبل عندهم والأخذ بكلامهم، وتصديقهم فيما يخبرون به ـ كل ذلك ضلال في باب القدر؛ لأن القدر غيب، والغيب علمه عند الله ـ وحده ـ.

---

(١) مسلم (٢٦٢١).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله ص٧٢٤، وفتح المجيد ص٧٢٦ـ٧٢٧، وحاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص٣٨٨ـ٣٨٩.

وكذلك الحال بالنسبة لمن يصدقون بتأثير الأسماء والأبراج، فيما يجري للإنسان في حياته.

فتجد من الناس من يذهب لأولئك الذين ينظرون في النجوم والأسماء؛ ليستطلعوا من خلالها أسرار القدر؛ فتجدهم يقولون: إذا وُلد فلان في البرج المعين، أو كان فلان من الناس يحمل ذلك الاسم المعين فسيصيبه كذا وكذا في يوم كذا وكذا.

ومما يقوله أولئك الدجالون: من اسمك تعرف حظك، ومن شهر ميلادك تعرف حظك، وتجدهم يؤلفون كتباً في هذا الشأن[1]، إلى غير ذلك من الهذيان، والتخرص، والرجم بالغيب؛ فهذا ضلال في باب القدر، وتكذيب بما أنزل الله على محمد ﷺ؛ لأن القدر غيب لا يعلمه إلا الله ـ عز وجل ـ.

ثم إن القائلين بذلك متناقضون؛ فلو قدِّر للقارئ أن يطلع على كتابين، أو موضعين مختلفين، وكل واحد منهما يتحدث عن خصائص الأبراج لرأى التناقض، والاختلاف.

ثم هب أن إنساناً غير اسمه في منتصف العام، هل سيترتب على ذلك تغير حظه، وقدره؟!

---

(١) انظر على سبيل المثال إلى كتاب: «حظك تعرفه من شهر ميلادك»، وكتاب «حظك تعرفه من اسمك»، والكتابان للأفاك الهالك حميد الأزري الذي يلقب بعميد الفلكيين العالميين.

المبحث الرابع

أخطاء في القدر بعد وقوعه

١ـ **الاعتراض على الأقدار:** فما أكثر الاعتراض على الأقدار، وما أقل المسلِّمين لله فيها.

ومن صور الاعتراض على الأقدار قول بعضهم إذا أصيب بمصيبة: ماذا فعلتُ يا ربي؟ أو أنا لا أستحق ذلك!

وكذلك ما يقال إذا أصيب شخص بمصيبة: فلان مسكين لا يستحق ما جرى له، لقد ظلمته الأقدار، وجارت في حقه، وقست عليه!

فمثل تلك الأقوال مما يكثر على الألسنة، وذلك من الاعتراض على قدر الله، ومن الجهل بحكمته ـ عز وجل ـ فلا يجوز إطلاقها؛ لأن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وله الحكمة البالغة في شرعه، وخلقه، وفعله ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ سورة الأنبياء: ٢٣.

٢ـ **قول كلمة «لو» عندما تحل المصيبة**: وذلك إذا كان الحامل عليها الحزن، والضجر، والجزع، وضعف الإيمان بالقدر كحال من يقول إذا نزلت به مصيبة كخسارة مالٍ، أو تلف زرع، أو فقد أنفس، أو غير ذلك: لو أني فعلت كذا وكذا لما كان كذا وكذا، أو لكان كذا وكذا.

فهذه المقولة خطأ وخطل، وسفه وجهل، ونقص في العقل، ذلك أن العبد مأمور عند المصائب بالصبرِ، والاسترجاعِ، والتوبةِ، وقولُ «لو» لا يجدي عليه إلا الحزن والتحسر، مع ما يخاف على توحيده من نوع المعاندة للقدر، الذي لا

يكاد يسلم منها من وقع منه هذا، إلا ما شاء الله[1].

ولهذا نعى الله ـ عز وجل ـ على المنافقين مقولتهم: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنْ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ سورة آل عمران: ١٥٤، ومقولة: ﴿الَذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ سورة آل عمران: ١٦٨، فرد الله عليهم وعلى أمثالهم بقوله: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ سورة آل عمران: ١٦٨.

هذا وقد أرشدنا النبي ﷺ إذا أخذنا بالأسباب، وحرصنا على ما ينفعنا، وأتت الأمور على خلاف ما نريد ـ ألا يقول أحدنا: «لو أني فعلت كذا وكذا» ولكن يقول: «قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»[2].

ففي هذا الحديث ملمح من ملامح الكمال في الشريعة؛ فالإسلام ينأى بالمسلم أن يسترسل مع أحزانه، وَيَرْبَأ به أن يعيش على اجترار ماضيه؛ لأن ذلك لا يجدي عليه شيئاً، كما أنه يرشده إلى ما هو أنفع وأولى وهو التعزِّي بالقدر، والسعي فيما ينفع مستقبلاً.

٣ـ قول كلمة «ليت» كذلك: وهي من جنس كلمة «لو» فهما لا يجديان بعد حصول الأمر المقدر، بل حينئذ التسليم لله، والإيمان به، والتعزي بقدره، مع

---

(١) انظر تسلية أهل المصائب للمنبجي ص٢٩ـ٣٠ وتيسير العزيز الحميد ص٦٦١، والقول السديد لابن سعدي ص١٧٢ـ١٧٣.

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤).

حسن الظن به، والرغبة في ثوابه؛ فذلك عين الفلاح في الدنيا والآخرة[(١)].

وصدق من قال:

ليت شعري وأين مني ليت ... إن ليتاً وإن لوّاً عناء[(٢)]

وما أجمل قول نابغة جعدة[(٣)]:

خليليَّ عوجا ساعةً وتَهَجَّرا ... ولُومَا على ما أحدث الدهرُ أو ذرا

ولا تجزعا إن الحياة قصيرةٌ ... فَخِفَّا لروعات الحوادث أو قِرا

وإن جاء أمرٌ لا تطيقان دفْعَه ... فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا

ألَمْ تريا أن الملامة نَفْعُها ... قليلٌ إذا ما الشيءُ ولى وأدبرا

تهيج البكاء والندامةَ ثم لا ... تُغَيِّر شيئاً غير ما كان قُدِّرا[(٤)]

٤ـ القيام بفعل ما يشعر بالاعتراض على الأقدار: كفعل بعض الجهال عند المصيبة من شق الجيوب، ولطم الخدود، والنياحة، وحلق الشعر، والدعاء

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص٦٦٢.

(٢) بهجة المجالس لابن عبدالبر ١/١٢٧.

(٣) هو قيس بن عبدالله بن عُدَس بن ربيعة الجعدي، شاعر من المعمرين اشتهر في الجاهلية، سُمي النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله، وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمرقبل ظهور الإسلام، وفد على النبي ﷺ فأسلم، وأدرك صفين فشهدها مع علي، ثم سكن الكوفة، فسيَّره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها، فمات فيها وقد كفَّ بصره، وجاوز المائة، وكان ذلك نحو سنة ٥٠هـ. انظر الأعلام ٥/٢٠٧، والنابغة الجعدي حياته وشعره د.خليل إبراهيم أبو ذياب.

(٤) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص٣٥٧.

بالويل والثبور، وغير ذلك من أعمال الجاهلية الأولى التي تنافي الإيمان بالقدر، والتسليم لله ـ عز وجل ـ[١].

جاء في الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «ليس منَّا من لطم الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»[٢].

قال الحافظ ابن حجر ﷺ في شرح الحديث: «قوله (لطم الخدود) خص الخد بذلك لكونه الغالب في ذلك، وإلا فضرب بقية الوجه داخل في ذلك.

قوله: (وشق الجيوب) جمع جيب بالجيم الموحدة وهي ما يُفتح من الثوب؛ ليدخل فيه الرأس، والمراد بشقه: إكمال فتحه إلى آخره وهو من علامات التسخط»[٣].

وقوله: (ودعا بدعوى الجاهلية) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «هو ندب الميت»[٤].

وقال ابن حجر ﷺ: «أي من النياحة ونحوها، وكذا الندبة كقولهم: وا جبلاه، وكذا الدعاء بالويل والثبور»[٥].

٥ـ الحسد: فالحسد داء عضال، وسمٌّ قتَّال، لا يسلم منه إلا من سلَّمه الكبير

---

(١) انظر عدة الصابرين لابن القيم ص١٣١ـ١٣٩ـ٣٢٥، وانظر تسلية أهل المصائب ص٢٤ـ٥١.

(٢) البخاري (١٢٩٤ و ١٢٩٧ و ١٢٩٨ و ٣٥١٩)، ومسلم (١٠٣).

(٣) فتح الباري ١٦٤/٣.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢٠٤/١.

(٥) فتح الباري ١٦٤/٣.

المتعال؛ ولهذا قيل: «لا يخلو جسد من حسد؛ ولكن اللئيم يبديه، والكريم يخفيه»[(١)].

والحسد هو تمني الحاسد زوال نعمة المحسود، أو هو كراهة الحاسد وصول النعمة إلى المحسود.

والحسد في حقيقته إنما هو اعتراض على قدر الله؛ لأن الحاسد لم يرض بقضاء الله، ولم يُسلِّم لقدره.

فلسان حال الحاسد يقول: إن فلاناً أُعطي وهو لا يستحق، وفلاناً منع وهو يستحق العطاء.

فكأنه بحسده هذا يقسم رحمة ربه بين العباد، وكأنه يقترح على ربه ما يراه ملائماً في نظره! فهو بصنيعه هذا يقدح في حكمة الله ـ عز وجل ـ وَوَضْعِهِ الأشياء في مواضعها اللائقة بها؛ فمن تمام الإيمان تركُ الحسدِ، والتسليمُ لله في جميع الأمور، فالمؤمن الحق لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم، وقدر لهم معايشهم؛ فأعطى من شاء لحكمة، ومنع من شاء لحكمة، وأنه حين يحسد غيره إنما يعترض على قدر الله، ويقدح في حكمته[(٢)].

ولهذا قيل: «من رضي بقضاء الله لم يسخطه أحد، ومن قنع بعطائه لم

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/١٢٤ـ١٢٥.

(٢) انظر كلاماً جميلاً في هذا المعنى في مجموع الفتاوى ١٠/١١١ـ١٣٠.

يَدْخُلْهُ حسد »[(١)].

٦ـ تمني الموت: فهناك من إذا ابتلي ببلاء، واشتدت به اللأواء تمنى الموت؛ ليتخلص ـ بزعمه ـ مما ألمَّ به! كما قال أحدهم:

ألا مـــوت يبـــاع فأشـــتريه   فهذا العيش ما لا خير فيه

فهذا خطأ؛ فلا يجوز للمؤمن أن يتمنى الموت؛ فإن كان لابد متمنياً للموت فليدعُ بالدعاء المأثور في ذلك.

قال ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت؛ لضرٍّ نزل به، فإن كان لابد متمنياً للموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»[(٢)].

قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: «لأنَّ في التمني المطلق نوعَ اعتراض، ومراغمة للقدر المحتوم، وفي هذه الصورة المأمور بها نوع تفويض وتسليم للقضاء»[(٣)].

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله في شرح هذا الحديث: «هذا نهي عن تمني الموت للضر الذي ينزل بالعبد، من مرض، أو فقر، أو خوف، أو وقوع في شدة ومهلكة، أو نحوها من الأشياء؛ فإن في تمني الموت لذلك مفاسدَ،

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص٢٦٩.

(٢) رواه البخاري (٦٣٥١ و ٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠).

(٣) فتح الباري ١٢٨/١٠.

ومنها: أنه يؤذن بالتسخط والتضجر من الحالة التي أصيب بها، وهو مأمور بالصبر، والقيام بوظيفته، ومعلوم أن تمني الموت ينافي ذلك.

ومنها: أنه يضعف النفس ويحدث الخور، والكسل، ويوقع في اليأس.

والمطلوب من العبد مقاومة هذه الأمور، والسعي في إضعافها، وتخفيفها بحسب اقتداره، وأن يكون معه من قوة القلب وقوة الطمع في زوال ما نزل به، وذلك موجب لأمرين: اللطف الإلهي لمن أتى بالأسباب المأمور بها، والسعي النافع الذي يوجبه قوة القلب ورجاؤه.

ومنها: أن تمني الموت جهل وحمق؛ فإنه لا يدري ما يكون بعد الموت؛ فربما كان كالمستجير من الضر إلى ما هو أفظع منه، من عذاب البرزخ وأهواله.

ومنها: أن الموت يقطع على العبد الأعمال الصالحة التي هو بصدد فعلها والقيامِ بها، وبقيةُ عُمُرِ المؤمن لا قيمة له، فكيف يتمنى انقطاعَ عملٍ الذَّرَّةُ منه خيرٌ من الدنيا وما عليها؟»[1].

٧ـ الإقدام على قتل النفس ـ الانتحار ـ: فهناك من إذا ضافته الغموم، وحضرت رحلَه الهمومُ، ولم يجد من كُرَبِه متنفساً، ولا من مضايقه مخرجاً ـ أقدم على قتل نفسه؛ رغبة في الخلاص من الدنيا، والراحة من عنائها ولأوائها.

فهذا الصنيع منافٍ للإيمان بالقدر، والتسليم لله ـ عز وجل ـ في كل أمر، وهو من الأمور التي حرمها الله، وحذَّر من فعلها، وتوعد مرتكبها بالوعيد

---

(١) بهجة قلوب الأبرار لابن سعدي ص٢٥١ـ٢٥٢.

الشديد، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً ﴾ سورة النساء: ٢٩ـ٣٠.

ثم إن الذي يقدم على هذه الفعلة ـ إنما أقدم عليها؛ رغبة في الراحة والخلاص من العناء ـ بزعمه ـ!.

فمن أوحى إليه أنه سيجد الراحة وسيتخلص من العناء، وهذا الوعيد الشديد بانتظاره إذا هو أقدم على تلك الفعلة؟

٨ـ التسخط بالبنات: فبعض المسلمين ـ هداه الله ـ إذا رزقه الله بنتاً تسخط بها، وضاق ذرعاً بمقدمها.

فهذا الصنيع ـ ولا شك ـ من أعمال الجاهلية الأولى، وأخلاق أهلها الأجلاف، الذين ورد ذمهم، والتشنيع عليهم في الكتاب والسنة.

وما أشبه الليلة بالبارحة؛ فلو زرت مستشفى للولادة في بلاد المسلمين، وقلبت طرفك في وجوه الحاضرين ممن ولد لهم بنات، وراقبت كلامهم، وسبرت أحوالهم لرأيت توافقاً عجيباً، وتطابقاً غريباً بين حال كثير من هؤلاء وحال أهل الجاهلية الذين قص الله ـ تبارك وتعالى ـ علينا خبرهم، وأنهم ﴿ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ، يَتَوَارَى مِنْ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ سورة النحل: ٥٨ـ٥٩[1].

---

(١) انظر صون المكرمات برعاية البنات للشيخ جاسم الفهيد الدوسري ص١٦.

ومن مظاهر التسخط بالبنات أن يُكتَشفَ في بعض المستشفيات ما برحم المرأة من ذكر أو أنثى، وذلك عبر الأشعة الصوتية، فإن كان ذكراً بَشَّرُوا، وإن كان أنثى أقصروا، بل ربما عزَّوا!

وهذا الأمر جد خطير، ويترتب عليه عدة محاذير، منها:

أ- أنه اعتراض على قدر الله ـ عز وجل ـ.

ب- أنه ردٌّ لهبته ـ سبحانه وتعالى ـ بدلاً من شكرها، وكفى بذلك مقتاً وتعرضاً للعقوبة.

ت- أن فيه إهانةً للمرأة، وحطّاً من قدرها، وتحميلاً لها ما لا تطيق.

ث- أنه دليل على السفاهة والجهل، والحماقة، وقلة العقل.

ج -أن فيه تشبهاً بأخلاق أهل الجاهلية[1].

فما أحرى بالمسلم أن يتجنب هذه المسالك، وأن ينجو بنفسه من تلك المهالك؛ فالتسليم لقدر الله أمر واجب، والرضا به من صفات المؤمنين.

ثم إن فضل البنات لا يخفى؛ فهن الأمهات، وهن الأخوات، وهن الزوجات، وهن نصف المجتمع، ويلدن النصف الآخر؛ فكأنهن المجتمع بأكمله[2].

ومما يدل على فضلهن أن الله ـ عز وجل ـ سمى إيتاءهن هبةً، وقدمهن على

---

(١) انظر: تحفة المودود في أحكام المولود لابن القيم ص١٦.

(٢) انظر عودة الحجاب د. محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، القسم الثاني، المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية.

الذكور في قوله: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ سورة الشورى: ٤٩.

وكذلك الرسول ﷺ بَيَّنَ فضلهن، وحث على الإحسان إليهن، كما في قوله: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»[1].

ولقد أحسن من قال:

حبذا من نعمة اللـ	**ـه البناتُ الصالحاتُ**
هن للأُنس وللنسـ	**ـل وهن الشجراتُ**
وبإحسان إليهـ	**ـن تكون البركاتُ**[2]

٩ـقول بعضهم إذا سمع بوفاة شخص: هل مات بسبب أو قضاءً وقدراً؟: فهذا خطأ، ذلك أن الموت بسبب أو بغير سبب كله بقضاء الله وقدره.

وكان الأولى أن يقال: هل مات بسبب أو بغير سبب؟ أو هل مات بسبب ظاهر أو بسبب غير ظاهر؟

١٠ـ قول بعضهم عند التعزية: البقية في حياتك: فمن الناس من إذا أراد التعزية في الميت قال: البقية في حياتك، أو ما شابه ذلك.

وهذا خطأ؛ فأي بقية بقيت، والله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ سورة الأعراف: ٣٤.

---

(١) رواه البخاري (١٤١٨)، ومسلم (٢٦٢٩).

(٢) انظر صون المكرمات ص٢٧.

فالميت يموت وقد استوفى أجله تماماً، ولم يتقدم ولم يتأخر فأين تلك البقية؟!.

ثم إن في ذلك مخالفةً للسنَّة في التعزية، فالسنة أن يقال: لله ما أخذ ولله ما أعطى، أوأعظم الله أجرك وأحسن عزاءك، وغفر لميتك، وهكذا[1].

---

(١) انظر تسلية أهل المصائب ص١٢٤ـ١٣١ والكلمات المخالفة وآفات اللسان ص٢٦.

الفصل الثاني

أقوال الناس في القدر

وتحته تمهيد، وخمسة مباحث

المبحث الأول: قول الهنود والبابليين والمصريين القدماء في القدر

المبحث الثاني: قول الفلاسفة في القدر

المبحث الثالث: قول اليهود في القدر

المبحث الرابع: قول النصارى في القدر

المبحث الخامس: قول المفكرين والفلاسفة الغربيين المتأخرين في القدر

تمهيد

القدر ـ كما مر في مقدمة البحث ـ من الموضوعات الكبرى التي خاض فيها الناس، وشغلت أذهانهم في القديم والحديث؛ لأنه مرتبط بحياتهم وما فيها من تقلبات الأحوال من صحة ومرض، وفقر وغنى، وموت وحياة، وسعادة وشقاء، وما جرى مجرى ذلك.

ولا يوجد مذهب من المذاهب التي قال بها الفلاسفة المسلمين من أهل الكلام والتصوف إلا وقد قال بمثلها غيرهم ممن سبقهم، ويقول بها بعض علماء أوربة، وفلاسفة الغرب عموماً[1].

والأقوال في القدر ـ بإجمال ـ لم تتغير قبل أو بعد، فهي ترجع إلى ثلاثة أقوال:

١ـ قول أهل الجبر: الذين يقولون: إن الإنسانَ مجبورٌ على أفعاله، وليس له إرادة ولا قدرة.

ويمثل هذا في الفرق الإسلاميةِ الجهميةُ ومَنْ وافقهم، وهو ما يُسمَّى في العصور المتأخرة بالمذهب الحتمي[2].

---

(١) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/١٣٠٨ـ١٣٠٩، ومنهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ص٥٨٦.

(٢) سيأتي الحديث عن المذهب الحتمي في المبحث الخامس من هذا الفصل.

٢ـ قول أهل حريَّةِ الإرادة، واستقلال الإنسان في أفعاله عن خالقه، وأنَّ الإنسانَ له إرادة مستقلة عن إرادة الله، وأنه هو الذي يخلق أفعاله.

ويمثل هذا المذهبَ المعتزلةُ[1] القدرية، ومن وافقهم.

٣ـ وهناك قولٌ وسط بين هؤلاء وهؤلاء؛ حيث يثبت القائلون به القدر، وأنَّ الله خالق كلِّ شيء، ويقولون ـ مع ذلك ـ: إنَّ للإنسان قدرةً يفعل بها، ومشيئةً يختار بها، وقدرته ومشيئته واقعتان بقدرة الله، ومشيئته تابعتان لهما.

وهذا هو قول السلف، وأتباع الأنبياء.

وبين هذه الطوائف الثلاثة قد تنشأ فرق أخرى تميل في بعض المسائل إلى طائفة، وفي المسائل الأخرى إلى طائفة أخرى، ويكون الحكم عليها بحسب ما يغلب على مذهبها، وهذا ما تقرر بعضه فيما مضى، وسيتقرر بعضه بما سيأتي.

---

(١) فرقة نشأت ما بين سنة ١٠٥هـ ـ ١١٠هـ، حين انفصل واصل بن عطاء عن الحسن البصري، حين خالف الحسنَ في حكم مرتكب الكبيرة وزعم أنه في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، فسُمِّي هو ومن تابعه المعتزلة؛ لاعتزالهم الحسن، وقول الأمة في حكم مرتكب الكبيرة، وزعمهم أن صاحب الكبيرة قد اعتزل الكافرين والمؤمنين. انظر الفرق بين الفرق ص٢٠ـ٢١، والمعتزلة وأصولهم الخمسة د.عواد المعتق ص٢٨٣.

المبحث الأول

قول الهنود والبابليين والمصريين القدماء في القدر

أولاً: قول الهنود القدماء في القدر: الهنود الأقدمون يجعلون للقدر الحكمَ الذي لا حكم غيره في جميع الموجودات، ومنها الآلهة، والناس، والأحياء، والنبات، والجماد.

ولا فكاك من قبضة (الكارما)[1] في أدوارها التي تتعاقب بين الوجود والفناء إلى غير انتهاء.

ولا اختيار للإنسان في الحالة التي يولد عليها؛ لأنها مقدورة عليه من قبل ميلاده من أزل الآزال إلى أبد الآباد حتى ينفصل دولاب الخلق باجتناب الولادة، والللياذ بعالم الفناء، أو عالم «النرفانا»[2] المطلق من قيود الوعي، والشعور بالشقاوة والنعيم[3].

ثانياً: قول البابليين القدماء في القدر: البابليون كانوا أصحاب نجوم وأرصاد،

---

(١) الكارما: هو الإله في عرف البرهميين.

(٢) النرفانا: وتعني النجاة والسعادة القصوى، وعند الهندوس والبوذيين نجاة الروح التي ظلت على صلاحها أثناء دورتها التناسخية واتحادها بالخالق. انظر الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة إشراف د.مانع الجهني ٢/١١٦٠ـ١١٦١.

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد ١٣٢/٧، وانظر مقدمة د. أحمد السايح، ود. السيد الجميلي على كتاب القضاء والقدر الذي جمعاه من كلام ابن تيمية ص١١.

فعرفوا الإيمان بالقدر على ما يظهر من طريق الإيمان بالتنجيم؛ لأنهم آمنوا بسيطرة الكواكب على مقادير الأحياء وغير الأحياء؛ فكل مولود يولد فإنما تكون ولادته تحت طالع من الطوالع التي تتعلق بكوكب من كواكب السماء.

والأرض نفسُها وُجدت تحت طالع من هذه الطوالع؛ فلا يجري حدث من الأحداث إلا بحساب مرقوم في سجل الأفلاك والبروج.

وكانوا يعتقدون بالسعود والنحوس؛ فيزعمون أنَّ من النجوم ما يسعد ويعطي، ومنها ما يُشقي ويَحْرِم، وأنه لا مهرب للإنسان من طالعه الذي يلاحقه بالسعد، أو بالنحس مدى حياته.

ولكن المنجمين قد يعلمون مجرى هذه الطوالع فيعالجونها بالحساب[1].

ثالثاً: قول المصريين القدماء في القدر: كان المصريون القدماء وسطاً بين الإيمان بحرية الإنسان والإيمان بسيطرة الأرباب؛ لأنهم آمنوا بالثواب والعقاب في العالم الآخر؛ فكان إيمانهم هذا كالإيمان بأنَّ الإنسان يعمل وأنَّ الأرباب تتولى جزاءَه عن عمله بعد ذلك؛ فهي ـ أي الأرباب ـ قادرة لا شك في قدرتها، ولكنَّ الإنسان قادر على عمل ما يرضيها، فيستحق ثوابَها، أو يغضبها فيستحق عقابها[2].

---

(١) الفلسفة القرآنية للعقاد ص١٣٣، وانظر مقدمة السايح والجميلي ص١١.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد ٥/٨٧، وانظر مقدمة السايح والجميلي ص١٢.

المبحث الثاني

قول الفلاسفة في القدر(١)

عامة الفلاسفة يقولون: إنَّ الله فاعل العالم، وصانعه، والمشهور عنهم قولهم إنَّ الله يعلم الأشياء على وجه كلي ثابت لا يدخل تحت الزمان، وإنه لا يعلم

---

(١) الفلاسفة: جمع فيلسوف من الفلسفة وهي كلمة يونانية معربة.

والفلسفة في أصلها الوضعي مركبة من كلمتين: فيلا أو فيلو: ومعناها المحبة أو الإيثار، والأخرى: سوفيس أو سوفيا: ومعناها الحكمة؛ فيكون معنى كلمة الفلسفة ـ في الأصل الوضعي ـ: محبة الحكمة، أو إيثار الحكمة، ويُعرَّف الفيلسوف بأنه: محب الحكمة، أو المُؤْثِرُ للحكمة.

ـ وقد مرَّت كلمة الفلسفةِ بأطوار، وعلى هذا فإنَّ تعريفها يختلف باختلاف الفلاسفة الذين وضعوا لها حدوداً منها:

أـ البحث عن الحقيقة. بـ حب المعرفة.

جـ ـ وعرفها الكندي بقوله: هي علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان.

دـ وعرفها الفارابي بقوله: هي العلم الوحيد الجامع الذي يضع أمامنا صورة شاملة للكون.

هـ ـ وعرفها ابن سينا بقوله: الحكمة استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور، والتصديق بالحقائق النظرية والعلمية على قدر الطاقة الإنسية. أـهـ.

ـ أما الفلسفة عند الإطلاق العام فيمكن أن يُقال: هي النظر العقلي المتحرر من كل قيدٍ أو سلطةٍ تُفرض عليه من الخارج؛ بحيث يكون العقل حاكماً على الوحي والعرف ونحو ذلك.

ـ وقد دخلت الفلسفة ديارَ الإسلام في القرن الثالث الهجري في عهد المأمون.

ـ أما أشهر فلاسفة اليونان فهما أفلاطون، وأرسطو، وأشهر الفلاسفة المنتسبين للإسلام: الكندي، والفارابي، وابن سينا.

ـ تنقسم الفلسفة باعتبار موضوعاتها إلى ثلاثة أقسام: =

الجزئيات التي تُوجب تجدد الإحاطة بها تغيراً في ذات العالم كما قال ذلك ابن سينا[١].

وإثبات العلم له على هذا الوجه يدل على الإيمان بسبق علمه ـتعالىـ

= أـ الفلسفة الحسية: وهي التي تتصل بالحواس، وموضوعها عالم الطبيعة.

بـ الفلسفة النظرية العقلية: وهي التي تتم بالاستدلال البرهاني، والنظر الاستنباطي وتُسمى بـ: المشائية؛ نسبةً إلى رائدها أرسطو الذي كان يُعلِّم أتباعَه وهو يمشي.

جـ ـ الفلسفة الإشراقية: وهي التي تُنال بالحدس، والإلهام، وما يفيض على النفوس، وموضوعها: العلوم الإلهية.

ـ من ضلالات الفلاسفة:

أـ قولهم بقدم العالم. بـ قولهم: إنَّ الله يعلم الكليات دون الجزئيات.

جـ ـ يقولون بحشر الأرواح دون الأجساد.

د ـ يرون الجنة والنار أمثلة مضروبة؛ لضبط العامة.

انظر المدرسة الفلسفية في الإسلام بين المشائية والإشراقية أ.د محمد إبراهيم الفيومي ضمن أبحاث ندوة «نحو فلسفة إسلامية معاصرة» ص٧٥ و ٨٤ـ٨٥، ونقض المنطق لابن تيمية ص٢٤ـ٢٥، وباعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي للهراس ص٤٩ـ٥٠.

(١) هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن علي بن سينا، الفيلسوف المشهور، المعروف بابن سينا، الملقب بـ: الشيخ الرئيس، كانت حياته غريبة صاخبة مليئة بالمتناقضات؛ فقد كان مكباً على التحصيل والاطلاع، والتصنيف، والتأليف، وكان معايشاً للحياة السياسية في عصره، وكان من أكابر أطباء عصره، وكان ذا لهو وشراب، وطرب، وكان من الأذكياء، وكان والده إسماعيلياً.

ولابن سيناء مؤلفات كثيرة تبلغ العشرات في شتى الفنون منها المجموع، والإنسان، والبر والإثم، والقانون، والشفاء، وغيرها، توفي سنة ٤٢٨. انظر سير أعلام النبلاء ٥٣١/١٧، والمدرسة الفلسفية في الإسلام ص١٠١ـ١١٠.

للحوادث ، لإحاطة علمه بها.

ومع ذلك أنكروا علم الله ـ تعالى ـ بالجزئيات.

وحقيقة قولهم أنه لا يعلم شيئاً؛ فإن كل ما في الخارج هو جزئي[1].

ويكفي في بطلان ذلك قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ سورة الأنعام:٥٩.

أما بالنسبة للجبر والاختيار فيختلف ذلك من فيلسوف إلى فيلسوف ، فهذا أفلاطون[2] ـ على سبيل المثال ـ يرى أنَّ نسبة الشر تكون إلى الجهل وقلة المعرفة ، ويرى أن الإنسان لا يختار الشر وهو يعرف ، بل يُساق إليه بجهله ، أو بعوارض المرض والفساد فيه.

ولكنه لا يُساق بتقدير الآلهة؛ لأنَّ الآلهة ـ كما يرى ـ خيرٌ لا يصدر عنها إلا الخير؛ فالشر موجود في هذا العالم ولكنه ليس من تقدير الآلهة.

---

(١) انظر الرد على المنطقيين لابن تيمية ، ونقض المنطق لابن تيمية ، ودرء تعارض العقل والنقل ٣٩٧/٩ ، وكتاب الصفدية ٧/١ـ٨ ، وشرح الواسطية للهراس ص٩٤ ، وباعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات د. محمد خليل هراس ص١٨٣ـ١٨٧ ، والقضاء والقدر للمحمود ص٧٤ـ٧٦.

(٢) أفلاطون بن أرسطن من كبار فلاسفة اليونان من أهل ملطية ، كان تلميذاً للفيلسوف طاليس وهو أستاذ أرسطو ، له كتاب الجمهورية. انظر الملل والنحل ٦٤/٢.

أما أرسطو[١] فيرى أنْ لا قدر، ولا تقدير؛ فكلٌّ إنسان حرٌّ فيما يختاره لنفسه؛ فإن لم يستطع أن يفعل فهو ـ في الأقل ـ مستطيع أن يمتنع.

وبالجملة فلفلاسفة اليونان غير أفلاطون وأرسطو مذاهب في القدر تتراوح بين مذهب الجبر ومذهب الحرية، وتتوسط بينهما في القول بالاضطرار، أو القول بالاختيار[٢].

---

(١) أرسطو، أو أرسطو طاليس: من أكابر فلاسفة اليونان ومتأخريهم، وهو المقدم المشهو، والمعلِّم الأول عندهم، ولد سنة ٣٨٤ ق.م، وسُمِّي المعلِّم الأول لأنه واضع التعاليم المنطقية، ومخرجها من القوة إلى الفعل، وقد تتلمذ على أفلاطون نيفاً وعشرين سنة، وإليه تُنسب الفلسفة المشائية؛ لأنه كان يعلِّم أتباعه وهو يمشي وهم يمشون معه، فلُقِّبت فلسفته بالمشائية، وأتباعه بالمشائين. انظر الملل والنحل ٢/١١٩.

(٢) انظر المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد ٧/١٣٥ـ١٣٦، ومقدمة السايح والجميلي ص١٣ـ١٤.

المبحث الثالث

قول اليهود في القدر[1]

كان اليهود في الأصل على الدين الذي جاء به موسى ـ عليه السلام ـ وهو التوحيد والإسلام وهو دين جميع الرسل، وهو الدين الحق في شرائعه وعقائده، ومنه القدر.

وبعد موسى ـ عليه السلام ـ تفرق اليهود شيعاً وأحزاباً، وصاروا فرقاً كثيرة كما أشار إلى ذلك الرسول ﷺ في الحديث المشهورة: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة»[2].

واليهود أمة جبلت على التقلب، والتفرق، والاختلاف، ولبس الحق بالباطل خاصة بعد أنبيائهم.

أما بالنسبة للكلام على القدر الإلهي فإنه قديم في الكتب الإلهية، وقد وردت

---

(١) اليهود هم أمة موسى ـ عليه السلام ـ وهم بنو إسرائيل، وهو يعقوب ـ عليه السلام ـ وكتابهم التوراة، وسموا بذلك إما نسبة إلى يهوذا ابن يعقوب الذي ينتمي إليه بنو إسرائيل، أو من الهود وهو التوبة والرجوع، أو من التهود وهو التقرب والعمل الصالح، ولليهود ضلالات كثيرة، وأعمال قبيحة، وعقائد منحرفة ومن ذلك:

الشرك بالله، وعبادة العجل، ونسبة الإبن لله، وفساد اعتقادهم في الأنبياء والملائكة وغير ذلك من ضلالاتهم. انظر المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم د.محمد البار، والأفعى اليهودية، وجذور البلاء لعبدالله التل.

(٢) رواه الترمذي عن أبي هريرة (٢٦٤٠) وقال «حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح».

الإشارة إليه من أول الأسفار المعتمدة إلى آخرها، ولكن على درجات في أساليب التقدير تختلف باختلاف الاعتقادات التي يفرضونها للإله، وباختلاف نصيبه عندهم من عظمة المشيئة، وعظمة القدرة، وعظمة الصفات.

والقدر عنهم مشيئة حاكم يأمر وينهى، ويرجع عما أمر به وقضاه، ولم يفهموا القدر على أنه نظام شامل للوجود محيط بالأكوان.

وإنما كان «يَهْوَه» إله اليهود يجري فيه على حكم، ثم يندم عليه، ويبدله تارة على حسب الحالة التي تطرأ بغير حساب[1].

وبالجملة فقد اشتهر عن اليهود في القدر مذهبان:

الأول: مذهب الربانيين: وهم فرقة من فرق اليهود ويسمون بـ «الفريسيين»، ومعناها: المنعزلون، أو المنشقون.

وقد أطلق أعداؤهم عليهم هذه التسمية؛ لذلك فهم يكرهونها، ويسمون أنفسهم: الربانيين، أو الإخوة في الله.

وكان هؤلاء موجودين قبل الميلاد، وهؤلاء ينفون القدر

الآخر: مذهب القرَّائين: وهو من فرق اليهود.

وهؤلاء لا يعترفون إلا بالتوراة ـ العهد القديم ـ كتاباً مقدساً، وليست عندهم روايات شفوية؛ ولذلك فهم يعترفون بالتلمود.

ومذهب هؤلاء: هو القول بالجبر[2].

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد ١٤٦/٧ـ١٤٧، وانظر مقدمة السايح والجميلي ص٢٣ـ٢٥.

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني ٢١٢/١، واليهودية لأحمد شلبي ص٢٢٦ـ٢٢٩ و ٢٣١، والقضاء والقدر للمحمود ص١٣٧ـ١٣٩.

المبحث الرابع

قول النصارى في القدر(١)

للنصارى في القدر قولان:

فالمسيحيون الشرقيون، ويسمون بـ «اليعاقبة»، أو اليعقوبية وهم أتباع يعقوب البراذعي، فهؤلاء يقولون: إن الإنسان مخير.

والآخرون وهم النساطرة، أو النسطوريون؛ نسبة إلى نسطور الذي كان بَطْرِيَرْك القسطنطينية سنة ٤٣١ فهؤلاء يقولون بالجبر.

وهناك تشابه كبير بين آراء بعض النصارى كالنساطرة والشرقيين وبين آراء بعض المعتزلة؛ مما حدا بكثير من الباحثين إلى القول بأنَّ آراء المعتزلة مستقاة من النصارى السابقين.

---

(١) النصارى: هم أمة عيسى ـ عليه السلام ـ وسموا بذلك؛ لتناصرهم بينهم، أو لنصرهم عيسى ـ عليه السلام ـ أو لأنهم سكنوا مدينة ناصرة، وقد اختلفوا وتفرقوا في زمن عيسى ـ عليه السلام ـ وزاد اختلافهم بعدما رفعه الله إليه.

وللنصارى عقائد باطلة كثيرة منها القول بالتثليث، والصلب والفداء، والعشاء الرباني، ومهزلة صكوك الغفران وغير ذلك.

انظر الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل لأبي حامد الغزالي، وأدلة الوحدانية في الرد على النصرانية للقرافي، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي، ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة، والمسيحية لأحمد شلبي، ودراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية ص٢٦٥ـ٣٩٨.

ويؤيد هذا أن أول من أشاع القدر وهو معبد الجهني[١] قد أخذ عن سوسن النصراني كما أشار إلى ذلك الإمام الأوزاعي[٢] كما سيأتي عند الحديث عن نشأة القول بالقدر[٣].

يقول المستشرق الإيطالي نيلينو: «كان بعض المتكلمين الأولين قد بدأوا تحت تأثير اللاهوت المسيحي في الشرق بطريقة غير مباشرة يبحثون هذا القَدَر، ويحاولون أن يفسروه، بمعنى يوافق اختيار الإنسان وحريته في أفعاله؛ حتى يُمْكِنَ تبريرُ وجود الثوابِ والعقاب في الدارِ الآخرة تبريراً تاماً»[٤].

---

(١) هو معبد بن عبدالله بن عُوَيْن الجهني البصري، سمع الحديث من ابن عباس وابن عمر ومعاوية ومعاوية بن حصين، وكان ذا زهدٍ وعبادة ولكنَّه سنَّ سنة سيئة في القول بالقدر.

قُتلَ عام ٨٠هـ، قيل: صلبه عبدالملك، وقيل: عذبه الحجاج بأنواع العذاب وقتله.

قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١٤١/١٤: «صدوق في نفسه ولكن سنَّ سنة سيئة وكان أول من تكلم في القدر، ونهى الحسنُ الناسَ عن مجالسته، وقال: هو ضال مضل».

انظر شذرات الذهب ٨٨/١، الأعلام ١٧٧/٨، الفرق بين الفرق ص١٨.

(٢) هو عبدالرحمن بن محمد أبو عمرو الأوزاعي إمام أهل الشام، كان فاضلاً كثير العلم والفقه والحديث، حجة، وكان له مذهب مستقل مشهور عمل به فقهاء الشام مدة وفقهاء الأندلس، ثم فني مذهبه، توفي الأوزاعي سنة ١٥٧هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٠٧/٧، وشذرات الذهب ٢٤١/١.

(٣) انظر الشريعة للآجري ٢٢٣، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧٥٠/٤، والملل والنحل ٢٢٥/١، ومحاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ص١٧٣ـ١٧٥، والمسيحية لأحمد شلبي ص٨٩، وفجر الإسلام لأحمد أمين ص٢٨٥، والقضاء والقدر للمحمود ١٣٩ـ١٤١.

(٤) التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ألَّف بينها وترجمها عبدالرحمن بدوي ص٢٠٢ـ٢٠٣، وانظر القضاء والقدر للمحمود ص٤.

وهناك من النصارى من يقرب مذهبه من القول بالتوسط بين الجبر والاختيار، والاعتقاد بعلم الله السابق.

ومن هؤلاء القديس «أوغسطين»[1] الذي لقي عنتاً شديداً من جراء التفكير في موضوع القدر، ولكنه اعتقد بعد هذا القلق أنه استراح من وسواسه هذا بالتوفيق بين النقائض.

وكان مدار راحته النفسية أنَّ سَبْقَ العلم بعمل الأخيار وعمل الأشرار صفةٌ لا تنفصل عن الذات الإلهية، وأنَّ الله عَلِم ما سيكون كما سيكون، ولا بد أن يعلمه العلم الصحيح، ويقدره تقديره على حسب علمه المحيط بجميع الكائنات[2].

ويوافقه على هذا الرأي القديسُ «توماس ألاكويني»[3] ويرى أنَّ الإنسان يقود نفسه، ولا يُقاد كما تُقاد الدواب، وأنَّ الإرادة تتبع العقل، والعقل نعمة من نعم الله على الإنسان.

وغاية التقدير عند توماس ألاكويني كفاية التقدير عند أستاذه القديم أوغسطين[4].

---

(١) أوغسطين ٣٥٤-٤٣٠م، ولد في ناجستا بشمال أفريقيا، ويُعد من أشهر آباء الكنيسة المسيحية، وكان في فلسفته متأثراً بأفلاطون. انظر مدخل إلى الفكر الفلسفي د. زقزوق، هامش ١٩.

(٢) انظر الفلسفة القرآنية ص١٥٢.

(٣) هو توماس ألاكويني ١٢٢٥-١٢٧٤م من أعظم الفلاسفة واللاهوتيين المسيحيين. انظر مقدمة السايح والجميلي ص٢٨.

(٤) انظر الفلسفة القرآنية ص١٥٢، ومقدمة السايح والجميلي ص٢٨.

المبحث الخامس

قول المفكرين والفلاسفة الغربيين المتأخرين في القدر

لا يزال فلاسفة العصر يخوضون في مباحث موضوع القدر على تفاوت كبير بين القول بالجبر، والقول بالحرية الإنسانية، ومنهم من يقول بأن الإنسان يشترك في التقدير ويخضع له؛ لأنه ـ كما يرون ـ جزء من عناصر الطبيعة التي تفعل فعلها في الأحداث الكونية، ولا يقتصر أمرها كله على الانفصال[١].

وحلت الحتمية محل الجبرية القديمة في اصطلاح العلماء.

فالقائلون بالحتمية يقولون بها لأنهم يؤمنون بالنظم الإلهية وحدها، ولا يؤمنون بإرادة إلهية تتعرض لتلك النظم بالتبديل والتحويل.

ومن ثم أصبح القول بالحتمية مناقضاً للجبرية في كلام علماء الأديان؛ لأن الجبرية تحصر الإرادة كلها في الإله المعبود، أما الحتمية فهي ـ في الأقل ـ لا تستلزم وجود إله إلى جانب القوانين التي يفسرون بها حركات الوجود.

ومما يوضح الفرق بينهما أن ضرورة حدوث الأشياء عند الجبريين ضرورة متعالية بمبدأ أعلى منها يسير كما يشاء، وهو قضاء الله وقدره على حين أن هذه الضرورة في نظر الحتميين كامنة في الأشياء سارية فيها وهي الطبيعة بعينها.

وإذا كان بعض الفلاسفة الحتميين يثبتون الحرية الإنسانية فَمَرَدُّ ذلك إلى

---

(١) انظر مقدمة السايح والجميلي ص١٩.

محاولتهم التوفيق بين حتمية الحوادث النفسية وتلقائية الموجود العاقل[١].

وفيما يلي ذكر لبعض أقوال الفلاسفة والمفكرين الغربيين المتأخرين.

١ـ ديكارت[٢]: يقول: إن الجسد محكوم بقوانين الطبيعة كسائر الأجسام المادية، ولكن الروح طليقة من هذه القوانين، وعليها أن تجاهد الجسد، وتلتمس العون من الله بالمعرفة والقداسة في هذا الجهاد.

ومن تلاميذه من يقول: إن كلَّ شيء حُرٌّ في كل فعل من أفعاله، لكن الله يعلم منذ الأزل ما سيفعله كل أنسان؛ لأنه عليم خبير[٣].

٢ـ سبنيوزا[٤]: يرى أنَّ كلَّ شيءٍ يقع في الدنيا فلابد أن يقع كما وقع، ولا يتخيل العقل وقوعه على نحو آخر؛ لأنَّ كلَّ شيء يصدر من طبيعة الجوهر السرمدي[٥] ـ ويعني به الله ـ.

وما في الدنيا من خير وشر على السواء هو من إرادة الله، ولكنه يبدو لنا شراً؛

---

(١) انظر المعجم الفلسفي د.جميل صليبا ١/١٤٤، ومقدمة السايح والجميلي ص٢٠.

(٢) هو الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (١٥٥٦ـ١٦٥٠) عالم رياضي، ابتكر الهندسة التحليلية ثم حاول تطبيق المنهج الرياضي على الفلسفة، أقام فلسفته على الشك المنهجي. انظر كواشف زيوف لعبدالرحمن الميداني ص٣٦٥.

(٣) انظر مقدمة السايح والجميلي ص١٧.

(٤) هو باروخ سبنيوزا (١٦٣٢ـ١٦٧٧) ولد بأمستردام من أسرة يهودية، وضع فلسفته في «الرسالة الموجزة في الله والإنسان وشعادته» . انظر تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم ص١٠٦.

(٥) لا يخفى على القارئ عدم صحة هذا الإطلاق على الله ـ جل وعلا ـ.

لأننا محدودون، وننقص من ناحية، ونتلقى الشر من حيث ننقص.

أما الجوهر السرمدي فلا يعرض له النقص.

٣ـ عمانويل كانت(١): كان يقرر ضرورة الأسباب في عالم التجارب المحسوسة، ولكنه يرى هنالك عالماً أعلى من عالم المحسوس، هو عالم الحقائق الأبدية.

وحرية الإرادة حقيقة من هذه الحقائق عند الفيلسوف؛ فإن لم نجد لها برهاناً من ترابط الأسباب في التجارب الحسية فيكفي أن نعلم أن الإيمان بحرية الإرادة لازم لتقرير الأخلاق البشرية، والتكاليف الأدبية.

ولزوم هذا هو أقوى دليل نستمده من الحس على صدق الإيمان بها، ووجوب العمل على مقتضى هذا الإيمان(٢).

٤ـ هيجل(٣): ويتلخص مذهبه كله في الفلسفة التاريخية التي تقرر أن تاريخ العالم بأجمعه إنما هو ترويض الإرادة الطبيعية الجامحة حتى تخضع مِنْ ثَمَّ لقاعدة

---

(١) هو الفيلسوف الألماني كانت (١٧٢٤ـ١٨٠٤) وهو من أعظم الفلاسفة الألمان، وكانت فلسفته مصدراً للفلسفة الألمانية التي تمثلت في فلسفات كلٍّ من: نيتشه، وشليبنج، وهيجل. انظر مقدمة السايح والجميلي ص١٨.

(٢) انظر مقدمة السايح والجميلي ص١٨.

(٣) هيجل (١٧٧٠ـ١٨٣١)، فيلسوف ألماني درس اللاهوت بجامعة توبنجن، وعُين أستاذاً بجامعة هيدلبرج عام ١٨١٦م، فأستاذاً بجامعة برلين؛ حيث بلغ ذروة الشهرة والمجد.

ومن مؤلفاته «موسوعة العلوم» و«مبادئ فلسفة الفقه» و«تاريخ الفلسفة» و«فلسفة الجمال». انظر تاريخ الفلسفة الحديثة ص٢٧٤.

كونية عامة تتولد منها الحرية الذاتية[١].

٥ـ شوبنهور[٢]: ويقوم مذهبه على الإرادة والفكر، ولكن الإرادة ـ في نظره ـ هي مصدر الشر كلِّه في الكون وفي الإنسان.

والإرادة في الكون توحي إلى إرادة الإنسان أن يستأثر لنفسه بالمتعة ويعاني ما يعانيه من الطلب والكفاح، ولا يزال أسيراً لهذه الإرادة التي تعزله عن ما حوله حتى يخلص إلى عالم الفكرة، فينجو من الأثرة الفردية، وينتقل إلى عالم السكينة والعموم الذي لا تنازع فيه بين أجزاء وأجزاء، ولا بين إرادة وإرادة.

فكلما كانت هناك إرادة فهناك شر، وكل تقدير ـ في رأيه ـ فهو على هذا تقديرُ شرورٍ لا يتأتى الفكاك منه بغير الخروج من عالم التقدير[٣].

٦ـ سارتر[٤]: يرى سارتر وغالب الوجوديين أن الإنسان متفرد بنفسه، وأنه

---

(١)انظر الفلسفة القرآنية ص١٤١.

(٢) شوبنهور (١٧٨٨ـ١٨٦٠)، هو فيلسوف التشاؤم الألماني، وباعث التشاؤمية في الفلسفة الحديثة. انظر كواشف زيوف ص ٤٥٦ـ٤٦٢ ، وتاريخ الفلسفة الحديثة ص٢٧٤.

(٣)انظر مقدمة السايح والجميلي ص١٩.

(٤) سارتر: هو جان بول سارتر، الرجل الذي يعد أكثر الوجوديين شهرة، وهو فيلسوف أديب يهودي فرنسي ولد سنة ١٩٠٥ بباريس، وله مجموعة كتب أودعها نظرياته الوجودية منها الغثيان، والحائط، ومسرحية الذباب، ومسرحية الأيدي القذرة.

وحين حضره الموت سأله من كان عنده: ترى إلى أين قادك مذهبك؟ فأجاب في أسىً عميق: إلى هزيمة كاملة، توفي سنة ١٩٧٩م ـ ١٣٩٩هـ. انظر كواشف زيوف ٣٥٩ـ٣٦٠، والوجودية للكاتب ١٣ـ١٤.

صاحب حرية وإرادة واختيار، ولا يحتاج إلى موجه.

والوجودية عند سارتر هي طاعة النفس، والوجودي في مذهبه هو الذي لا يقبل توجيهاً يأتي إليه من الخارج.

ويرى أن الوجودية لا تتحقق إلا إذا أطلق لنفسه الرغبات بحيث يفعل ما يشاء، ويدع ما يشاء غير مبالٍ بعرف أو دين.

ومن أقواله في ذلك: «إنك تستطيع أن تفعل ما تريد، وليس ثمة من له الحق في توجيه النصح إليك، وليس في نظرك شر وخير إلا إذا خلقتها»[1].

---

(١) انظر المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها د.عبدالرحمن عميرة ص٢٠٧-٢٢٤، والوجودية للكاتب.

الفصل الثالث

القول بالقدر في الإسلام

وتحته ستة مباحث :

المبحث الأول : نشأة القول بالقدر

المبحث الثاني : قول القدرية المعتزلة في القدر

المبحث الثالث : قول الجبرية في القدر

المبحث الرابع : قول الصوفية في القدر

المبحث الخامس : قول الأشاعرة في القدر

المبحث السادس : قول الشيعة في القدر

المبحث الأول

نشأة القول بالقدر

مر بنا أن الإيمان بالقدر أمر فطري، وأنه لم يكن في العرب من ينكر القدر لا في الجاهلية ولا في الإسلام.

وهكذا كان الأمر بعد البعثة النبوية؛ فلم يقع في عهد رسول الله ﷺ أي افتراق، أو ابتداع في أمور العقيدة ومنها القدر.

وهذا لا ينافي وقوع بعض الأسئلة التي يأتي جوابها حاسماً من الرسول ﷺ.

كما لا ينافي وقوع المخاصمة من جانب اليهود أو المشركين.

وقد مرَّ شيءٌ من ذلك عند الحديث عن مسألة حكم الحديث في القدر.

وبعدما انطوى عهد النبوة، وكثرت الفتوحات، واختلط المسلمون بغيرهم ـ ظهرت بدعة القدرية التي تُعد أول شرك في الإسلام.

وكان أول ظهورها في البصرة ودمشق، ولم تظهر في مكة ولا المدينة؛ لانتشار العلم.

وقد ظهرت في أواخر عهد الصحابة كابن عباس، وابن عمر، وأنس بن مالك، وجابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهم ـ فاشتد نكيرهم على تلك البدعة وأصحابها[١].

---

(١) انظر السنة للإمام عبدالله بن أحمد ٢/٤٢٠ـ٤٢١، والحجة في بيان المحجة ٢/١٥ـ١٦، وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤/٦٢٥ و ٦٩٤ـ٧٣٠، ولوامع الأنوار ١/٢٩٩.

وتكاد مصادر أهل السنة تجمع على أن أول من تكلم بالقدر رجل من أهل البصرة يعمل بقالاً ويقال له: «سنسويه»، وبعضهم يسميه «سيسويه»، وبعضهم يسميه «سوسن».

ثم تلقفها عنه معبد الجهني، وأخذ عن معبد غيلان الدمشقي[١].

قال الإمام الأوزاعي إمام أهل الشام رحمه الله: «أو من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له: «سوسن» كان نصرانياً فأسلم، ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد»[٢].

وبعد معبد وغيلان ظهر رؤوس الاعتزال كواصل بن عطاء[٣]، وعمرو ابن

---

(١) هو غيلان بن مسلم الدمشقي، كان من البلغاء، تُنسب إليه فرقة الغيلانية من القدرية، قيل: إنه تاب عن القول في القدر على يد عمر بن عبدالعزيز، فلما مات عمر رجع إلى مذهبه، فطلبه هشام بن عبدالملك، وأحضر الأوزاعي لمناظرته فأفتى بقتله، فقتل على باب كيسان بدمشق.

انظر ميزان الاعتدال ٣٣٨/٣، والأعلام ٣٢٠/٥.

(٢) القدر للفريابي ص٢٤٠-٢٤١، والشريعة للآجري ص٢٤٣، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٧٥٠/٤.

(٣) هو واصل بن عطاء الغزال، المولود سنة ٨٠هـ، المتوفى سنة ١٣١هـ.

تتلمذ على الحسن البصري ولم يفارقه حتى أظهر مقالته في المنزلة بين المنزلتين، وهو من رؤوس الاعتزال، وهناك فرقة من فرق المعتزلة تُنسب إليه يُقال لها الواصلية، يُعد من أئمة البلغاء والمتكلمين، وكان يلثغ بالراء فيجعلها عيناً، فكان يتجنبها في كلامه ولا يُفطن لذلك؛ لقدرته على الكلام، وسهولة ألفاظه، من مؤلفاته: أصناف المرجئة، والمنزلة بين المنزلتين، والتوبة. انظر وفيات الأعيان ٧/٦، والفرق بين الفرق ص٢٠، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١٨٢/١.

عبيد[١]، فنقلوا هذه المقالات ونشروها ـ كما سيأتي بيان ذلك عند الحديث عن القدرية ـ.

والمقصود بالكلام في القدر في بداية الأمر إنما هو نفي القدر.

هذا هو المشهور من الأقوال في بداية القول بالقدر، ويشهد على ذلك ما جاء في قصة الحديث المشهور ـ حديث جبريل ـ في صحيح مسلم، فقد روي عن يحيى بن معمر قال: «كان أول من قال في القدر معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد؛ فاكتنفته أنا وصاحبي: أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سَيَكِل الأمر إلي، فقلت: أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قِبَلنا ناس يقرؤون القرآن، ويَتَقَفَّرون[٢] العلم (وذكر من شأنهم) وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأنَّ الأمرَ أُنف.... » الحديث[٣].

---

(١) هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب البصري، مولى بني تميم، ولد سنة ٨٠ هـ، توفي ١٤٤هـ، جالس الحسن البصري وحفظ عنه، ثم اعتزل مجلسَه، يُعد شيخ المعتزلة في عصره، وكان ذا زهد وتأله، وهو رئيس الفرقة العمروية من المعتزلة. انظر وفيات الأعيان ٨٥/٤، سير أعلام النبلاء ١٠٤/٦.

(٢) يتقفرون العلم: يعني يطلبونه، ويتتبعونه. انظر غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ٤٦٦/٢ـ٤٦٧.

(٣) مسلم (٨).

وهذا يفيد أن معبداً هو أول من قال بالقدر، وقبل ذلك تبين من كلام الأوزاعي أن معبداً أخذه عن النصراني سنسويه، أو سيسويه، أو سوسن.

وقد يكون من المحتمل أن أساس الفكرة كان عند ذاك الرجل النصراني الذي تظاهر بالإسلام، ولكنه لم يستطع أن يجاهر بها؛ لعدم ثقة الناس به، فتلقاها عنه معبد ونشرها، فاشتهرت عنه[1].

فهذا هو القول الأرجح في نشأة القول بالقدر.

وهناك قولان آخران في هذا الشأن:

أحدهما: أن أول ما حدث القول بالقدر بالحجاز قبل معبد الجهني، وأن ذلك وقع لما احترقت الكعبة لما كان عبدالله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ محصوراً بمكة؛ فقال أناس: احترقت بقدر الله ـ تعالى ـ وقال أناس: لم تحترق بقدر الله[2].

والقول الآخر: أن أول من نادى بالقدر في الشام عمرو المقصوص وكان عمرو هذا معلماً لمعاوية الثاني، وهو معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فأثر فيه كثيراً، فاعتنق أقواله في القدر، حتى إنه لما تولَّى الخلافة كان عمرو هذا هو الذي أثر فيه؛ فاعتزلها حتى مات، ووثب بنو أمية على عمرو المقصوص،

(١) انظر القضاء والقدر للمحمود ص١٦٤.

(٢) انظر الإيمان لابن منده ١/١٢٧ـ١٣٢، والفرق بين الفرق للبغدادي ص١١٧، وإكمال المُعْلم، ومكمل الإكمال، وهما شرحان لصحيح مسلم ١/٥، والإيمان لابن تيمية ص٣٦٨، وتاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة ١/١١٢ـ١١٤، والقضاء والقدر للمحمود ص٦٦.

وقالوا: أنت أفسدته، ودفنوه حياً.

وهذا القول ـ كما يقول د. عبدالرحمن المحمود حفظه الله ـ: «ضعيف؛ لأن معاوية بن يزيد كان رجلاً صالحاً، وعمرو المقصوص لم أجد مَنْ ذكر قصته من المؤرخين غير ابن العبري»[(١)].

وهكذا نشأ القول بالقدر، وضل بسببه فرق شتى، وكان منشأ ضلالهم كثرة الجدل، وتقديم العقل على النقل، والنظر إلى النصوص بعين عوراء.

وكردَّة فعل للقدرية النفاة ظهر أناس غلو في الإثبات؛ حيث نشأ في آخر عهد بني أمية أقوام قالوا بالجبر، وزعموا أنَّ العبد ليس له خيار فيما يأخذ أو يدع، وبعضهم يثبت للعبد قدرة غير مؤثرة.

وأول من أظهر هذا القول الشنيع: الجهم بن صفوان[(٢)]، وتفرع عن هذه البدعة أقوال شنيعة، وضلال كبير[(٣)].

هذه هي بدايات القول بالقدر، وقبل الدخول في تفاصيل أقوال الفرق في القدر يحسن تحديد الخلاف في القدر بإيجاز، **فالخلاف فيه يدور حول أمرين**:

---

(١) القضاء والقدر للمحمود ص١٦٦، وانظر مختصر الدول لمؤلفه غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري ص١١١.

(٢) هو أبو محرز الجهم بن صفوان الراسبي من موالي بني راسب السمرقندي رأس الجهمية وإليه تُنسب، له آراؤه المعروفة في الصفات والقدر، كان صاحب مجادلات ومخاصمات. قتله سلمة بن أحوز سنة ٢٨٨هـ. انظر الأعلام للزركلي ٢/١٣٨.

(٣) انظر القضاء والقدر د. عمر الأشقر ص٢٣.

أحدهما: ما يتعلق بالله ـ تعالى ـ وذلك في مراتب القدر الأربع: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق التي يثبتها أهل السنة لله ـ تعالى ـ.

الثاني: ما يتعلق بالعبد: هل له إرادة ومشيئة أَوْ لا؟ وهل له قدرة أَوْ لا؟ وهل هو فاعل لفعله حقيقة أَوْ لا؟

والطوائف ما بين غالٍ في إثبات القدر لله إلى حد أن قالوا بالجبر ونفي القدرة والإرادة عن العبد، ومُفرطٍ في القدر إلى حدٍّ نفي بعضه عن الله، وإثباته للعبد.

وأهل السنة وسط بين هاتين الطائفتين(١).

وهذا ما سيتبين في المباحث التالية، حيث سَيَرِد ذكرٌ لأقوال بعض الفرق التي ضلت في هذا الباب.

---

(١) انظر القضاء والقدر للمحمود ص٣٠١.

المبحث الثاني

قول القدرية المعتزلة في القدر

القدرية: هم أتباع معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، وأتباع واصل ابن عطاء، وعمر بن عبيد من المعتزلة، ومن وافقهم، هؤلاء هم القدرية.

وسموا قدرية ـ كما يقول ابن قتيبة رحمه الله ـ: «لأنهم أضافوا القدر إلى أنفسهم، وغيرهم يجعله له ـ تعالى ـ دون نفسه، ومُدَّعي الشيء لنفسه أولى بأن ينسب إليه ممن جعله لغيره»(١).

وقولهم في القدر: إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله ـ تعالى ـ وقدرته في ذلك أثر.

ويقولون: إن أفعال العباد ليست مخلوقةً لله، وإنما العباد هم الخالقون لها، ويقولون: إن الذنوب الواقعة من العباد ليست واقعة بمشيئة الله.

وقالوا: «نحن نفعل ما لا يريد الله ـ تعالى ـ ونقدر على ما لا يقدر»(٢).

وغلاتهم ينكرون أن يكون الله قد علمها، فيجحدون مشيئته الشاملة، وقدرته النافذة، ولهذا سموا مجوس هذه الأمة؛ لأنهم شابهوا المجوس الذين قالوا: إن للكون إلهين: إلهَ النور: وهو خالق الخير، وإلهَ الظلمة: وهو خالق الشر.

---

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٧٨.

(٢) تأويل مختلف الحديث ص٧٨.

«وقد وردت أحاديث في السنن وغيرها عن النبي ﷺ في ذم القدرية، ووصفهم بأنهم مجوس هذه الأمة.

وهي وإن كانت لا تخلو من مقال إلا أن بعضها يصل إلى درجة الحسن، وبعضها يقوي بعضاً»(١).

ومن ذلك ما جاء عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يحشرهم معه»(٢).

وما جاء عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ «إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم»(٣).

كما وردت آثار كثيرة من السلف في ذم القدرية، وكتب العقيدة مليئة بذلك، ومنها كتاب القدر للفريابي؛ حيث ساق آثاراً كثيرة في هذا الصدد، منها ما أخرجه بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «ما غلا أحد في القدر

---

(١) القضاء والقدر للمحمود ص١٥٠.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٩٢)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (١٩٧٥): «ضعيف».

(٣) رواه أبو داود (٤٧١٠)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٤٧١٢): «ضعيف».

إلا وخرج من الإيمان »[(١)].

وأخرج بسنده عن أبي الزبير المكي أنه قال:« كنت أنا وطاووس نطوف بالبيت، فذكر أن معبداً الجهني تكلم في القدر، وكان أول من تكلم في القدر فعدلت إليه، فقال له طاووس: أنت المفتري على الله، فقال: إنه يُكْذَب علي، قال، فانصرفنا إلى عبدالله بن عباس، فذكر ذلك له، فقال ابن عباس: أروني منهم إنساناً، فوالله لا تُرونيه إلا جعلت يدي في رأسه فلا أفارقه حتى أدق عنقه »[(٢)].

وروى بسنده عن أرطاة بن المنذر قال: «سمعت أنه يُقال: ما فتشت قدرياً إلا وجدته ملطوماً بحمقه »[(٣)].

والقدرية جعلوا لله شريكاً، بل شركاء في خلقه، فزعموا أن العباد يخلقون أفعالهم.

ومنشأ ضلال هؤلاء في البداية أنهم أرادوا تنزيه الله ـ عز وجل ـ عن الشر، ورتبوا على نفيهم الأفعالَ القبيحةَ عن الله قولهم: إن العباد هم الخالقون لأفعالهم؛ فوقعوا في نفي القدر.

وقد استدلوا على مذهبهم استدلالاً أعور ببعض الآيات، ومن ذلك ما يلي:

---

(١) كتاب القدر للفريابي ص١٧٢.

(٢) كتاب القدر ص٢٠٥-٢٠٦.

(٣) كتاب القدر ص٢٠٠.

١ـ استدلالهم بالآيات الدالة على إثبات المشيئة للعباد: كقوله ـتعالىـ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ سورة التكوير:٢٨، وقوله: ﴿فمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ سورة الكهف:٢٩.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ سورة المدثر:٣٧.

وغيرها من الآيات الدالة على إثبات المشيئة للعباد، فقالوا: لو لم تكن أفعالهم لما علق مشيئتهم عليها.

٢ـ واستدلوا بالآيات التي تبين أن العباد هم الذين يؤمنون ويكفرون، ويطيعون ويعصون، كما في قوله ـ تعالى ـ:﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى﴾ سورة الإسراء:٩٤، وقوله ـ تعالى ـ:﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾ سورة البقرة:٢٨، وقوله ـ تعالى ـ:﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ سورة النساء:٣٩، وقوله ـ تعالى ـ:﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سورة آل عمران:٧١.

قالوا: كيف يكون الله خالقاً لأفعال العباد مع أن هذه الآيات تنص على أنهم هم الذين يؤمنون، ويكفرون، ويلبسون الحق بالباطل؟

فلو لم تكن أفعالهم حقيقة لما عاتبهم، وذمهم على ترك الإيمان، وفعل الكفر.

٣ـ وكذلك استدلوا على آيات الجزاء كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة السجدة:١٧، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ سورة التوبة:٨٢.

قالوا: ولو لم يكن العباد هم العاملين والخالقين لأفعالهم، والصانعين لها

لكان هذا الكلام كذباً، وكان الجزاء على ما يخلقه فينا ضعيفاً.

٤ـ واستدلوا بمثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ سورة النمل:٨٨.

ووجه استدلالهم أن الله بين في هذه الآية أن أفعاله كلها متقنة، والإتقان يتضمن الإحكامَ، والحسنَ جميعاً، ومعلومٌ أن في أفعال العباد ما يشتمل على التهود، والتنصر، والتمجس، وليس شيء من ذلك متقناً؛ فلا يجوز أن يكون الله خالقاً لها[1].

ومن أقوالهم في هذا قول عبدالجبار الهمذاني[2]: «اتفق أهل العدل على أن أفعال العباد مِنْ تصرفهم، وقيامهم، وقعودهم حادثةٌ من جهتهم، وأن الله ـ جلَّ وعزَّ ـ أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها، ولا مُحدثَ سواهم، وأن من قال: إن الله ـ سبحانه ـ خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه»[3].

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار الهمذاني ص٣٥٥ـ٣٦٢، وإيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة للصنعاني ص٣٧٧ـ٣٩٥، والقضاء والقدر للمحمود ٣٣٧ـ٣٤١.

(٢) هو أبو الحسن عبدالجبار بن أحمد بن الخليل بن عبدالله الهمذاني الأسد أبادي، القاضي، ولد سنة ٣٢٠هـ على الأرجح، وتوفي سنة٤١٥هـ، كان أشعرياً ثم انتقل إلى الاعتزال، وهو آخر علماء المعتزلة الكبار الذي دافعوا عنهم وألفوا الكتب المطولة منها: شرح الأصول الخمسة، والمغني في أبواب التوحيد والعدل. انظر الأعلام للزركلي ٤/٤٧.

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل لعبدالجبار الهمذاني ٢/٣٤٠.

والإنسان عند المعتزلة «يجوز أن يُفْني فعل الله ـ تعالى ـ الذي هو القدرة بفناء الحياة بأن يقتل نفسه، ويجوز أن يبطل فعل الغير للسكون بتحريك المحل»[(١)].

هذا هو خلاصة مذهب المعتزلة مع ملاحظة أنهم يختلفون في بعض التفصيلات حول القدر، ولكنَّ ما ذُكِرَ هو ما أجمعوا عليه.

والمتأمل في كلامهم، وأقوالهم يجد من التناقض، والتعارض، وقِصَرِ النظرِ الشيءَ الكثير[(٢)].

هذا وقد مر بنا شيء من الرد على ذلك عند الحديث عن مرتبتي الخلق والمشيئة، وعند الحديث عن خلق أفعال العباد، وعند الحديث عن أن الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، وعند خلق الشر والحكمة منه، وعند الحديث عن الحكمة من خلق المعاصي وتقديرها، ويكفي في الرد عليهم قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ سورة الصافات:٩٦.

فأفعال العباد خلق لله، وكسب للعباد؛ فهي من الله خلقاً وإيجاداً، وهي من

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل ٨/٢٨٣.

(٢) انظر القضاء والقدر للمحمود ٣٠٧ـ٣٠٨.

العباد فعلاً وكسباً[(١)].

هذا وسيأتي ـ إن شاء الله ـ مزيد بيان لبطلان مذهب القدرية عند مناقشة قولهم وأدلتهم في المبحث الثاني من الفصل الرابع.

---

(١) انظر المختار في أصول السنة لابن البنا ص٨٧، ورسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، للإمام أبي النصر عبدالله بن سعيد بن حاتم الوائلي السجزي ص٣٣٢، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان لأبي الفضل السكسكي ص١٩ـ٢٣، وبغية المرتاد لابن تيمية ٢٦١، الصفدية ١٠٦/٢ـ١٠٩، والاستقامة ١٤٧/١ و١٧٩ و٤٣١، وانظر مجموع الفتاوى ٢٥٨/٨، والتعريفات للجرجاني ص١٨١، وشرح الواسطية للهراس ص٢٢٩ـ٢٣٠، ورسائل في العقيدة ص٤٠، والمعتزلة وأصولهم الخمسة ص١٥١ـ٢٠٨، والمعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبدة، وطارق عبدالحليم ص٥٧ـ٥٩، وانظر إلى الدرر البهية ص١٧ـ١٨، ومختصر التحفة الاثني عشرية ص٩٠، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ص٢٠٤ـ٢٠٦.

المبحث الثالث

قول الجبرية في القدر

الجبرية أو المجبرة: هم الذين غلوا في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكون للعباد قدرة، أو إرادة، أو اختيار؛ فيرون أن العباد مجبورون على أفعالهم، وأن العبد كالريشة في مهب الريح، وإنما تنسب إليه الأفعال مجازاً، فيقال: صلى، وصام، وقتل، وسرق كما يقال: طلعت الشمس، وجرت الريح؛ فأنكروا قدرة العباد، واختيارهم، واتهموا ربهم بالظلم، وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتهموه بالعبث، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي[(١)].

وأهم الفرق التي حملت لواء الجبر، حتى كاد يصير علماً عليها فرقة الجهمية أتباع الجهم بن صفوان الذي استقى تعاليمه من أستاذه الجعد ابن درهم[(٢)] الذي

---

(١) انظر شرح الواسطية للهراس ص٢٣٠، والاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص٣٠، والبرهان في معرفة عقائد الأديان للسكسكي الحنبلي ص٤٢ـ٤٣، والنبوات لابن تيمية ص١٦٦، ومجموع الفتاوى ٢٥٦/٨، وشرح نونية ابن القيم للهراس ٣٢٢/١، والدرر السنية جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم ٣٥٨/١ـ٣٥٩، والمنتقى من فرائد الفوائد للشيخ محمد بن عثيمين ص١٠٢، والإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ص٥٣ـ٥٤.

(٢) هو الجعد بن درهم من الموالي أصله من خراسان، أخذ بدعته عن بيان بن سمعان وأخذ بيان عن طالوت بن أخت لبيد بن أعصم زوج ابنته، وأخذه لبيد عن أعصم الساحر الذي سحر النبي ﷺ عن يهودي باليمن، والجعدُ مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما، فقُتل في ذلك بالعراق يوم النحر قتله خالد القسري نحو سنة ١١٨هـ. انظر الأعلام ١١٤/٢.

كان يقول بالجبر.

ولكن ذلك اشتهر عن تلميذه الجهم[١].

وقد نقلت كتب المقالات أقوال الجهم في القدر، فيقول البغدادي[٢] عن الجهم: «وقال: لا فعل، ولا عمل لأحد غير الله ـ تعالى ـ.

وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز كما يقال: طلعت الشمس، ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين، أو مستطيعين لما وُصِفتا به»[٣].

ويقول الشهرستاني[٤] عن الجهم: «ومنها قوله في القدرة الحادثة: إن الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له، ولا إرادة، ولا اختيار.

وإنما يخلق الله ـ تعالى ـ الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجماد، وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات، كما يقال: أثمرت الشجرة،

---

(١) انظر القضاء والقدر للمحمود ص٢٠٢ـ٢٠٣ و٣٠٢ـ٣٠٥.

(٢) هو الأستاذ أبو منصور عبدالقاهر بن محمد البغدادي الفقيه الشافعي الأصولي، الأديب، كان ماهراً في فنون عديدة خصوصاً علم الحساب؛ فإن كان متقناً له، وله فيه تواليف نافعة، وكان عارفاً بالفرائض، والنحو، وله أشعار، توفي سنة ٤٢٩هـ، بمدينة إسفرايين ودُفن إلى جانب شيخه أبي إسحاق الإسفراييني. انظر وفيات الأعيان ٢٠٣/٣.

(٣) الفرق بين الفرق ص٢١١.

(٤) هو أبو فتح محمد بن أبي القاسم عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، ولد بشهرستان، تتلمذ على أبي نصر القشيري، وأبي القاسم الأنصاري، ولد سنة ٤٦٩هـ، وتوفي سنة ٥٤٨هـ.

انظر سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٢٠. الأعلام ١٣٨/٢ـ١٣٩.

وجرى الماء، وتحرك الشجر، وطلعت الشمس، وغربت، وتغيمت السماء، وأمطرت، واهتزت الأرض، وأنبتت إلى غير ذلك.

والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال كلها جبر.

قال: وإذا أثبت الجبر فالتكليف ـأيضاًـ كان جبراً»[(١)].

هذا هو مذهب الجهم، وواضح ما في مذهبه من جبر خالص يجعل الإنسان في أعمال كورقة الشجر التي تحركها الرياح.

لكن مع هذا فإن الأشعري[(٢)] في المقالات يذكر رأي الجهم في القدر لكن مع

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/٨٧.

(٢) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل ﷺ وقد اشتهر بأبي الحسن الأشعري، ولد سنة ٢٦٠هـ، وكان على مذهب المعتزلة ثم تركه، ورد على المعتزلة فانتشر مذهبه، ونُسب إليه مذهب الأشاعرة لكنه في المرحلة الأخيرة من حياته لما بلغ الأربعين رجع إلى القول الحق وإن كان قد بقي فيه آثار من مذهب المعتزلة، توفي سنة ٣٣٠هـ على أرجح الأقوال، له كتب منها: الإبانة عن أصول الديانة.

وكان رحمه الله محل ثناء العلماء عليه، خصوصاً علماء الأشاعرة، وتركز ثناؤهم على ما كان له من نسب، وما قام به من الرد على المعتزلة، والملاحدة وغيرهم، وما كان عليه من الذكاء والعلم.

ويقول عنه الذهبي رحمه الله: «ولأبي الحسن ذكاء مفرط وتبحر في العلم، وله أشياء حسنة، وتصانيف جمة، تقضي له بسعة العلم»

ويقول عنه ـ أيضاً ـ: «رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات، وقال فيها: تُمَرُّ كما جاءت، ثم قال: وبذلك أقول وبه أدين، ولا تُؤَوَّل»

انظر سير أعلام النبلاء ١٥/٨٦ـ٨٧، وطبقات الشافعية للسبكي ٣/٣٤٧، والأعلام ٥/٦٩، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة د.عبدالرحمن المحمود ١/٣٢٩ـ٤٣٤.

اختلاف يسير عما ذكره البغدادي والشهرستاني.

يقول الأشعري عن الجهم بأنه زعم «أنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده، وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز.

كما يقال: تحركت الشجرة، ودار الفلك، وزالت الشمس.

وإنما فعل ذلك بالشجر والفلك والشمس ـ سبحانه ـ إلا أنه خلق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل، واختياراً له منفرداً بذلك كما خلق له طولاً كان به طويلاً، ولوناً كان به متلوناً»[1].

هذا هو مذهب الجهمية الجبرية ومن وافقهم.

وقد استدلوا بآيات من القرآن الكريم، وبالعقل، وأهمها[2]:

١ ـ الآيات التي تدل على أن الله خالق كل شيء: مثل قوله ـتعالىـ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وكِيلٌ﴾ سورة الأنعام:١٠٢.

وقوله ـتعالىـ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وكِيلٌ﴾سورة الزمر:٦٢.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ

---

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ٣٣٨/١، وانظر القضاء والقدر، د. عبدالرحمن المحمود ص٣٠٣ـ٣٠٤.

(٢) انظر القضاء والقدر للمحمود ص٣٢٨ـ٣٣١.

يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ سورة فاطر: ٣.

فهذه الآيات تدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه لا خالق إلا هو، وأفعال العباد شيء؛ فالله خالقها وحده، ومن ثم فلا قدرة، ولا إرادة للعباد في أفعالهم؛ فهم مجبورون غير مختارين[1].

٢ـ الآيات التي تثبت المشيئة لله وحده، وأنه لا مشيئة للإنسان إلا تحت مشيئة الله: كقوله ـتعالى ـ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ سورة القصص: ٦٨.

وقوله ـتعالى ـ: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ سورة الإنسان: ٣٠.

وقوله ـعز وجل ـ: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ سورة التكوير: ٢٩.

وقوله ـتعالى ـ: ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ سورة المدثر: ٣١.

وغيرها من الآيات في هذا السياق؛ فهم يرون أن الإنسان إذا كان مسلوب الإرادة، والله هو الذي يشاء ويريد، ويهدي ويضل ـ فهو الخالق لأعمال العباد، وهم مجبورون لا إرادة لهم، ولا مشيئة، ولا خلق[2].

---

(١) انظر القضاء والقدر للمحمود ص٣٢٨.

(٢) انظر القضاء والقدر للمحمود ص٣٣٠

٣ـ ويستدلون بالآيات التي تنفي الفعل عن العبد، وتثبته لله: كقوله ـتعالى ـ: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ﴾ سورة النساء:٧٨.

فهذه الآيات وما جرى مجراها ـ عندهم ـ نص في أنَّ الإنسان لا إرادة له ولا فعل[١].

٤ـ واستدلوا بالعقل فقالوا: إن الله عَلِمَ وأراد أزلاً وجود أفعال العباد، وتعلقت قدرته بوجودها فيما لا يزال؛ فما وقع من أفعال العباد فهو بقضاء الله وقدرته، والعباد مجبورون عليها[٢].

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص٤٩٤.

(٢) انظر في أدلة الجبرية كتاب رد على المجبرة القدرية للإمام يحيى بن الحسين «من أئمة الزيدية ٢٤٥ـ٢٩٨هـ» ص٣٤ وما بعدها من الجزء الثاني ضمن رسائل العدل والتوحيد تحقيق محمد عمارة، وانظر مذاهب الإسلاميين لعبدالرحمن بدوي ٩٨/١، وانظر القضاء والقدر للمحمود ص٢٢٨ـ٣٣١.

المبحث الرابع

قول غلاة الصوفية في القدر[١]

الصوفية وخصوصاً غلاتهم غلوا في الجبر خصوصاً «ممن يزعمون الترقي في مقام الشهود للحقيقة الكونية، والربوبية الشاملة، فيرون كل ما يصدر من العبد من ظلم، وكفر، وفسوق هو طاعة محضة؛ لأنها إنما تجري وفق ما قضاه الله وقدره، وكل ما قضاه وقدَّره فهو محبوب لديه، مرضي عنه؛ فإذا كان قد خالف أمر الشرع بارتكابه هذه المحظورات فقد أطاع إرادة الله ونَفَّذَ مشيئته، فمن أطاع الله وقضاءَه وقدرَه هو كمن أطاعه في أمره ونهيه كلاهما قد قام بحق العبودية لله»[٢].

---

(١) الصوفية: من حيث أصل النسبة مُخْتَلف فيها على أقوال؛ فقيل: نسبة إلى الصفاء، أو إلى الصُفَّة، أو إلى الصُوفانة وهي بغلة صغيرة نُسبوا إليها لزهدهم، وقيل: نسبة إلى رجل يسمى صوفة، وقيل: من سوفيا وهي الحكمة بلغة اليونان، وقيل: نسبة إلى الصف؛ لأنهم في الصف الأول بارتفاع هممهم، ورجَّح شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره أنها نسبة إلى الصوف؛ لزهدهم ولبسهم الصوف.

أما تعريف التصوف في الاصطلاح فقد اختلف فيه اختلافاً كثيراً، فقيل: الإعراض عن الاعتراض، وقيل: هو صفاء المعاملة مع الله، وقيل: الأخذ بالحقائق، والكلام بالدقائق، والإياس مما في أيدي الخلائق.

وبالجملة فالصوفية كانت بداية للزهد ثم تطورت وصارت مذاهب شتَّى وطرائق قددا منها ما يقرب من السنة ومنها ما يَبْعُد، بل منها ما يصل حدَّ الزندقة. انظر تعريفات الجرجاني ص٥٩-٦٠، ومجموع الفتاوى ١١/٦، و«هذه هي الصوفية» للشيخ عبدالرحمن الوكيل.

(٢) شرح النونية للهراس (١/٣٧٢).

«ومِنْ ثَمَّ فلا لوم، ولا تثريب، بل الكل مطيع بفعله لإرادة ربِّه، فصححوا بذلك إيمان فرعون وعبدة العجل، واليهود، والنصارى، والمجوس»[(١)]، كما صرح بذلك ابن عربي[(٢)] الصوفي بقوله:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينه داني

لقد صار قلبي قابلاً كلَّ صورةٍ ... فمرعى لغزلان وديرٌ لرهباني

وبيتٌ لأوثان وكعبةُ طائفٍ ... وألواح توراةٍ ومصحفُ قرآن

أدين بدين الحبِّ أنَّى توجهت ... ركائبه فالحب ديني وإيماني[(٣)]

وكقول عبدالكريم الجيلي[(٤)]، وهو من أهل وحدة الوجود:

وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى ... ومالي عن حكم الحبيب تنازعُ

---

(١) المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبدة، وطارق عبدالحليم ص٥٨ـ٥٩.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الأندلسي ٥٦٠ـ٦٣٨، له كتاب الفتوحات المكية في نحو عشرين مجلداً، وله كتاب فصوص الحكم الذي قال عنه ابن كثير: «فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح». له تصانيف كثيرة، وله شعر، وكلام طويل على طريق التصوف. انظر البداية والنهاية ١٦٧/١٣.

(٣) رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي د. موسى الدويش ص٧٤، والصوفية في نظر الإسلام لسميح عاطف الزين ص٤٧٣، ودراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير ص١١٣، وانظر كتاب نظرات في معتقد ابن عربي د. كمال عيسى ص٤٢ـ٤٤، والشعر الصوفي إلى مطلع القرن التاسع للهجرة د. محمد بن حسين ص١٧٢.

(٤) هو عبدالكريم بن إبراهيم الجيلي أو الجيلاني، توفي نحو سنة ٨٣٠هـ. انظر هذه هي الصوفية للشيخ عبدالرحمن الوكيل ص٤٣.

فطـوراً تراني في المساجد راكعاً ... وأنـي طـوراً في الكنائس راتـعُ

إذا كنتُ في حكم الشريعة عاصياً ... فإني في علم الحقيقة طائعُ[1]

وكما قال أحدهم:

أصبحت منفعلاً بما يختاره ... مني ففعلي كله طاعاتُ

وهذا المذهب من أخبث المذاهب، ولا يُشَك بكفر أصحابه، بل هو من أقبح أنواع الكفر.

قال شيخ الإسلام: «فإن من احتج بالقدر، وشهود الربوبية العامة لجميع المخلوقات، ولم يفرق بين المأمور، والمحظور، والمؤمنين، والكفار، وأهل الطاعة، وأهل المعصية ـ لم يؤمن بأحد من الرسل، ولا بشيء من الكتب، وكان عنده إبليس وآدم سواء، ونوح وقومه سواء، وفرعون وموسى سواء، والسابقون الأولون وكفار مكة سواء»[2].

---

(١) هذه هي الصوفية، عبدالرحمن الوكيل ص٩٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٨/١٠٠.

المبحث الخامس

قول الأشاعرة في القدر

يرى جمهور الأشاعرة ومتأخروهم أن الله ـ عز وجل ـ خالق أفعال العباد فيثبتون مرتبتي المشيئة والخلق، ولكنهم يقولون: «إن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله ـتعالى ـ وحدها، وليس لقدرتهم تأثير فيها، بل الله ـسبحانه ـ أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختياراً؛ فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارناً لهما؛ فيكون الفعل مخلوقاً لله إبداعاً وإحداثاً، ومكسوباً للعبد.

والمراد بكسبه إياه: مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك من تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلاً له»[1].

فهم ـ إذاً ـ يرون أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله ـتعالى ـ وهي كسب للعباد.

وعلى ذلك يترتب الثواب والعقاب، ولا تأثير لقدرة العبد في الفعل.

وهذا قول جمهور الأشاعرة، وهو القول الذي شنع بسببه المعتزلة على الأشاعرة؛ لأنهم لما لم يثبتوا للعبد قدرة مؤثرة لم يكونوا بعيدين من قول الجبرية الجهمية؛ فهم أرادوا أن يوفقوا بين الجبرية والقدرية؛ **فجاءوا بنظرية الكسب**،

---

(١) شرح المواقف للزنجاني ص٢٣٧.

وهي في مآلها جبرية خالصة؛ لأنها ـكما مرـ تنفي أي قدرة للعبد أو تأثير[١].

ولهذا اشتهر المذهب الأشعري ـ بناءاً على مقالتهم تلك ـ بنظرية الكسب التي صارت علماً عليهم، فما معنى الكسب عندهم؟

للكسب عندهم تعريفات أهمها:

١ـ أنه ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به[٢].

٢ـ أنه ما يقع به المقدور في محل قدرته[٣].

٣ـ أنه ما وجد بالقادر، وله عليه قدرة محدثة[٤].

ويضرب بعضهم للكسب مثلاً «في الحجر الكبير قد يعجز عن حمله رجل، ويقدر آخر على حمله منفرداً به، إذا اجتمعا جميعاً على حمله كان حصول الحمل بأقواهما، ولا خرج أضعفهما بذلك من كونه حاملاً.

كذلك العبد لا يقدر على الانفراد بفعله، ولو أراد الله الانفراد بإحداث ما هو كسب للعبد قدر عليه، وَوُجِدَ مقدوره؛ فوجوده على الحقيقة بقدرة الله ـتعالىـ

---

(١) انظر الروض الباسم لابن الوزير ٢/٢١، والروضة البهية في ما بين الأشاعرة والماتريدية لأبي عذبة ص٤٢، ولوامع الأنوار ١/٢٩١ـ٢٩٢، ومنهج الأشاعرة في العقيدة د.سفر الحوالي ص٤٣، والقضاء والقدر د.عبدالرحمن المحمود ص٣١١ـ٣١٦، والرد الأثري المفيد على البيجوري ص١٠٣ـ١٠٨.

(٢) الإنسان هل هو مسير أم مخير د. فؤاد عقلي ص١١.

(٣) شرح جوهرة التوحيد للباجوري ص٢١٩.

(٤) المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى الحنبلي ص١٢٨.

ولا يخرج ـ مع ذلك ـ المُكْتَسبُ من كونه فاعلاً، وإن وجد الفعل بقدرة الله ـتعالى ـ»[(١)].

وهكذا تؤول هذه النظرية جبرية خالصة ـكما مرـ، ويبقى الخلاف بينهم وبين الجبرية خلافاً لفظياً بل طريقتهم أكثر غموضاً.

أما حقيقتها النظرية الفلسفية فقد عجز الأشاعرة عن فهمها فضلاً عن إفهامها غيرهم، ولهذا قيل:

مما يقال ولا حقيقة تحته معقولة تدنو إلى الأفهام
الكسب عند الأشعري والحال عند البهشمي وطفرة النَّظَّام[(٢)]

(١) أصول الدين للبغدادي ص١٣٣ـ١٣٤، وانظر القضاء والقدر للمحمود ص٣١٣.

(٢) المقصود بالكسب قد مر، وقوله: «الحال عند البهشمي»: البهشمي هو أبو هاشم عبدالسلام بن محمد الجبائي رئيس معتزلة البصرة بعد أبيه توفي سنة ٣٢٧هـ.

والمقصود بالحال أو الأحوال هي: النسبة بين الصفة والموصوف، فيقولون: العالِم صفة، والعالِمية نسبة بين الصفة والموصوف، وهي عندهم معنى زائد على العلم، ومثله القادرية والفاعلية وغيرها.

ويقولون: إنها لا موجودة بذاتها، ولا معدومة، بل هي واسطة بينهما.

وبعبارة أخرى هي الصفات المعنوية التي انفرد بإثباتها أبو هاشم دون سائر المعتزلة مع نفيه لصفات المعاني، أي أنه ينفي العلم والقدرة والإرادة، ثم يُثبت كونه عالماً وقادراً ومُريداً.

وهذه «الكوكنة» هي الأحوال.

وهذا القول باطل، ولا فرق بين العلم والعالمية والقدرة والقادرية، وتفسيره للأحوال ممتنع؛ فهي لا وجود لها إلا في الأذهان لا الأعيان؛ لذلك يقال: من المحالات أحوال أبي هاشم. انظر الفرق بين الفرق ص١٤٥، والمعتزلة وأصولهم الخمسة د.عواد المعتق ص٧٥،والعقل والنقل عند ابن رشد، د.محمد أمان ص٥٢، والتوضيحات الأثرية على متن الرسالة التدمرية لفخر الدين المحيسي ص٢٤١.

=

وقد دار حول الكسب جدال طويل، ولم ينته الأشاعرة فيه إلى قول مستقيم(١).

ومن الأشاعرة من يرى أن الفعل واقع بقدرة العبد، وأن العبد له كسب، وليس مجبوراً، وهذا هو قول الباقلاني(٢).

وقوله: وطفرة النَّظَّام: النَّظَّام هو إبراهيم بن سيار بن هانئ المعروف بالنظام سمي بهذا لأنه كان ينظم الخرز في شبابه، وإليه تنسب فرقة النظامية من المعتزلة، ولد سنة ١٨٥هـ، وتوفي سنة٢٣١هـ.

وأما طفرته فهي قوله بالطفرة التي لم يسبق إليها، ومفادها دعواه أن الجسم قد يكون في المكان الأول ثم يصير منه إلى المكان العاشر من غير المرور بالأمكنة المتوسطة بينه وبين العاشر، ومن غير أن يصير معدوماً في الأول ومعاداً في العاشر. انظر المعتزلة وأصولهم الخمسة د. عواد المعتق ص٥٩، ٥٦.

وبعبارة أخرى هي القول بأن الله خلق هذه الموجودات دُفعة واحدة على ما هي عليه الآن من نبات وحيوان، وجبال وبحار، ولم يتقدم خلقُ آدم على ذريته، غيرَ أن الله أكمل بعضها في بعض؛ فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهور هذه الموجودات في أماكنها دونَ حدوثها ووجودها.

وكان النظَّام متأثراً بأصحاب الكمون والظهور في الفلاسفة وهي طفرة لم يسبقه إليها أحد. انظر العقل والنقل عند ابن رشد، ص٥٢-٥٣.

(١) انظر القضاء والقدر للمحمود ص٣١٣، ومنهج الأشاعرة في العقيدة ص٤٣٦، وباعث النهضة الإسلامية للهراس ص١٨٣-١٨٧.

(٢) هو محمد بن الطيب أبو بكر القاضي المعروف بالباقلاني، من كبار متكلمي الأشاعرة وفضلائهم، كان يثبت كثيراً من الصفات التي نفاها متأخرو الأشاعرة، ويُعد من علماء الأشاعرة الذين خطوا بالمذهب الأشعري خطوات كبيرة، ولد سنة ٣٣٨هـ، وتوفي سنة ٤٠٣هـ، له عدد من الكتب منها: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، وإعجاز القرآن، والإنصاف.

انظر سير أعلام النبلاء ١٧/١٩٠، والأعلام ٧/٤٦.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ :« ويجب أن يعلم أن العبد له كسب ، وليس مجبوراً ، بل مكتسب لأفعاله من طاعة ومعصية؛ لأنه ـ تعالى ـ قال : ﴿لَهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ سورة البقرة : ٢٨٦ ، يعني من ثواب طاعةٍ ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ سورة البقرة : ٢٨٦ ، يعني من عقاب معصية.

وقوله : ﴿ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاس ﴾ الروم :٤١ ، وقوله : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ سورة الشورى :٣٠ ، وقوله : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً﴾ سورة فاطر : ٤٥.

ويدل على صحة هذا أن العاقل منا يفرق بين تحرك يده جبراً ، وسائر بدنه عند وقوع الهم به ، أو الارتعاش وبين أن يحرك هو عضواً من أعضائه قاصداً إلى ذلك باختياره؛ فأفعال العباد هي كسب لهم ، وهي خلق الله ـ تعالى ـ فما يتصف به الحق لا يتصف به الخلق ، وما يتصف به الخلق لا يتصف به الحق ، وكما لا يُقال لله ـ تعالى ـ إنه مكتسب ، كذلك لا يُقال للعبد : إنه خالق »[1].

(١) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلاني ص٧٠-٧١.

المبحث السادس

قول الشيعة في القدر[(١)]

ليس للشيعة مذهب خاص بهم، وإنما أفردوا في هذا البحث لأن كثيراً منهم وممن يكتب عنهم يخطؤون في نقل مذهبهم في القدر؛نظراً لاختلاف متقدمي الشيعة عن متأخريهم.

وأفضل من وضح حقيقة مذهبهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فقد قال في معرض رده على صاحب «منهاج الكرامة» عند عرضه لمذهب أهل السنة والإمامية في الإمامة[(٢)]: «إن إدخال مسائل القدر والتعديل، والتجوير في هذا الباب كلام باطل من الجانبين؛ إذ كل من القولين قد قال به طوائف من أهل السنة

---

(١) تعريف الشيعة مرتبط أساساً بأطوار نشأتهم ومراحل التطور العقدي لهم، ذلك أن الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغير وتطور مستمر؛ فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده، ولهذا كان في الصدر الأول لا يسمى شيعياً إلا من قدم علياً على عثمان، ولذلك قيل شيعي؛ وعثماني فالشيعي من قدم علياً على عثمان، والعثماني من قدم عثمان على علي.

فعلى هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول أنهم الذين يقدمون علياً على عثمان فقط.

إلا أن التشيع لم يستمر على هذا النقاء والصفاء والسلامة والسمو بل إن مبدأ التشيع تغير فأصبحت الشيعة شيعاً، وصار التشيع قناعاً يستتر به كل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين من الأعداء الموتورين الحاسدين، وأصبحت الشيعة هي القسيم لأهل السنة حين انفردت بعقائدها وآرائها المخالفة للحق.

وأخيراً استوعبت الشيعة الإمامية الاثنا عشرية معظم آراء الشيعة واعتقاداتها وصار التشيع علماً عليها. انظر أصول مذهب الشيعة د.ناصر القفاري ٣١/١ـ٥٣ و٥٥، ومسألة التقريب للقفاري١٢٠/١.

(٢) انظر القضاء والقدر للمحمود. ص٣١٩ـ٣٢٠.

والشيعة؛ فالشيعة فيهم طوائف تثبت القدر، وتنكر مسائل التعديل والتجوير، والذين يقرون بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان فيهم طوائف تقول بما ذكره من التعديل والتجوير كالمعتزلة وغيرهم» (١)

ويقول: «ولكن هذه مسألة القدر، والنزاع فيها معروف بين المسلمين؛ فأما نفاة القدر ـ كالمعتزلة ـ وغيرهم، فقولهم هو الذي ذهب إليه متأخرو الإمامية.

وأما المثبتون للقدر، وهم جمهور الأمة وأئمتها، كالصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأهل البيت وغيرهم ـ فهؤلاء تنازعوا في تفسير عدل الله وحكمته، والظلم الذي يجب تنزيهه عنه، وفي تعليل أفعاله وأحكامه ونحو ذلك» (٢)

«وهذا الكلام الدقيق الذي ذكره ابن تيمية يؤيده ما في كتب الشيعة، وما في كتب المقالات من بيان لمذهبهم في القدر.

وخلاصة أقوالهم أن متقدميهم منهم من يوافق أهل السنة، وفيهم من يوافق المعتزلة.

أما متأخروهم فأغلبهم معتزلة سواء كانوا رافضة، أو زيدية» (٣)

وأبوالحسن الأشعري رحمه الله ذكر في «مقالات الإسلاميين»: أن الرافضة اختلفوا في أعمال العباد هل هي مخلوقة؟ على ثلاثة فرق:

---

(١) منهاج السنة النبوية ١/١٢٧ـ١٢٨.

(٢) منهاج السنة ١/١٣٤.

(٣) القضاء والقدر للمحمود. ص٣٢٠ـ٣٢١

«**فالفرقة الأولى منهم، وهو هشام بن الحكم**[1]: يزعمون أن أعمال العباد مخلوقة لله.

وحكى جعفر بن حرب عن هشام بن الحكم أنه كان يقول: إن أفعال الإنسان اختيار له من وجهٍ، اضطرار من وجه؛ اختار[2] من جهة أنه أرادها واكتسبها، واضطرار من جهة أنها لا تكون منه إلا عند حدوث السبب المهيج عليها.

الفرقة الثانية منهم: يزعمون أنه لاجبر كما قال الجهمي، ولا تفويض كما قالت المعتزلة؛ لأن الرواية عن الأئمة ـ زعموا ـ جاءت بذلك، ولم يتكلفوا أن يقولوا في أعمال العباد هل هي مخلوقة أم لا شيئاً.

والفرقة الثالثة منهم: يزعمون أن أعمال العباد غير مخلوقة لله، وهذا قول قوم يقولون بالاعتزال والإمامية»[3]

ويعلق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على ما نقله الأشعري من أقوال الرافضة في القدر فيقول: «والمقصود أن الإمامية إذا كان لهم قولان كانوا متنازعين في ذلك؛ لتنازع سائر الناس.

لكنهم فرع على غيرهم في هذا أو غيره؛ فإن مثبتيهم تبع للمثبتة، ونفاتهم

---

(١) هو هشام بن الحكم الشيباني بالولاء الكوفي الرافضي، من الشيعة الإمامية الذين غلوا في التجسيم، متكلم مناظر كان يقول بالجبر، توفي سنة ١٩٠هـ.

انظر الفرق بين الفرق ص٦٥، والملل والنحل ١/١٨٤، ومنهاج السنة ١/٤٥، والأعلام ٨/١٠٦.

(٢) هكذا في الأصل، ولعل الصواب (اختيار).

(٣) مقالات الإسلاميين، واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري. ص٤٠ـ٤١

تبع للنفاة إلا ما اختصوا به من افتراء الرافضة؛ فإن الكذب والجهل والتكذيب بالحق الذي اختصوا به لم يشاركهم فيه أحد من طوائف الأمة.

وأما ما يتكلمون به في سائر مسائل العلم: أصوله وفروعه فهم فيه تبع لغيرهم من الطوائف يستعيرون كلام الناس، فيتكلمون به، وما فيه من حق فهو من أهل السنة لا ينفردون عنهم بمسألة واحدة صحيحة لا في الأصول ولا في الفروع؛ إذ كان مبدأ بدعة القوم من قوم منافقين لا مؤمنين» (١)

وهذا الكلام العلمي الدقيق الرصين العادل تشهد له كتب الشيعة نفسها؛ فهذا الشيخ المفيد(٢) يقول في أوائل المقالات في المذاهب المختارات: «أقول: إن الخلق يفعلون، ويُحْدثون، ويخترعون، ويصنعون، ويكتسبون، ولا أطلق عليهم القول بأنهم يَخْلُقون، ولا لها خالقون....

وعلى هذا القول إجماع الإمامية، والزيدية، والبغداديين من المعتزلة والمرجئة، وأصحاب الحديث» (٣)

ويقول محمد رضا المظفر ـ وهو شيعي معاصر ـ: «واعتقادنا في ذلك تبع لما جاء عن أئمتنا الأطهار ـ عليهم السلام ـ وأن الأمر بين الأمرين، والطريق الوسط بين

---

(١) منهاج السنة.٢/٢٢٩ـ٢٣٠

(٢) هو محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري البغدادي، يعرف بابن المعلم، ويلقب بالمفيد، محقق إمامي انتهت إليه رئاسة الإمامية في عهده ولد سنة ٣٣٦ وتوفي سنة ٤١٣. انظر الأعلام٧/٢٤٥.

(٣) أوائل المقالات في المذاهب المختارات للشيخ المفيد. ص٦٤ـ٦٥.

القولين الذي يعجز عن فهمه أمثال أولئك المجادلين من أهل الكلام، ففرط منهم أقوام، وأفرط آخرون....

فقد قال إمامنا الصادق ـ عليه السلام ـ لبيان الطريق الوسط كلمته المشهورة: «لاجبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين».

ما أجل هذا المغزى، وما أدق معناه، وخلاصته أن أفعالنا من جهة هي أفعالنا حقيقة، ونحن أسبابها الطبيعية، وهي تحت قدرتنا واختيارنا، ومن جهة أخرى هي مقدورة لله ـ تعالى ـ وداخلة في سلطانه»[(١)]

ويلحظ أن كلام المظفر هذا موافق لأهل السنة، مخالف لغيره من الشيعة.

أما الزيدية فهم ـ كما يقول د.عبد الرحمن المحمود ـ في الغالب معتزلة، وكبار المعتزلة منهم، والمذهب المعتزلي عُثر على كثير من تراثه عند الزيدية في اليمن مثل مؤلفات عبد الجبار الهمذاني، وغيرها.

يقول أحد أئمتهم وعلمائهم: «فصل :فإن قيل :أَرَبُّك عدل حكيم؟ فقل :أجَلْ؛ فإنه لايفعل القبح، ولا يخل بالواجب عليه من جهة الحكمة.

فإن قيل: هل ربك خلق أفعال العباد؛ فقل: لايقول ذلك ألا أهل الضلال والعناد»[(٢)].

---

(١) عقائد الإمامية محمد رضا المظفر ص ٦٧ـ٦٨.

(٢) كتاب العقد الثمين في معرفة رب العالمين ص٣٧ـ٣٨ للأمير الحسين بن بدر الدين محمد ابن أحمد بن يحي إمام العترة وعالم الزيدية ولد حوالي ٥٨٢ وتوفي ٦٦٢، وانظر القضاء والقدر للمحمود ص٣٢٥.

وخلاصة القول أن الشيعة عموماً فيهم من يقول بقول أهل السنة وإن كانوا في الغالب على مذهب المعتزلة، وهذا يكثر في الرافضة الزيدية خاصة المتأخرين منهم، علماً بأن المعتزلة يخالفون الشيعة في بعض المسائل كالإمامة.

وعلى هذا فمقالات الشيعة داخلة ضمن المقالات الأخرى التي سبق عرضها[1].

---

(١) انظر القضاء والقدر للمحمود ص٣٢٦، وانظر أصول مذهب الشيعة الإمامية الأثنى عشرية عرض ونقد د.ناصر القفاري ٢/٦٣٨ـ٦٤٧ ، ومسألة التقريب د. ناصر القفاري ١/٣٣٤ ، والشيعة والسنة للشيخ إحسان إلهي ظهير ص٦٣و٦٦، والرد الكافي على مغالطات د. علي عبدالواحد وافي للشيخ إحسان إلهي ظهير ص٩٩، وبطلان عقائد الشيعة للشيخ محمد عبد الستار التونسوي ص٢٩، وانظر الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ص٦٩، والموجز في الأديان المعاصرة د.ناصر العقل ود.ناصر القفاري ص١٢٤، والشيعة الإمامية الاثنا عشرية لربيع بن محمد السعودي ص١٩٠ـ١٩٣.

الفصل الرابع

مناقشة أقوال الفرق

وتحته تمهيد ، وثلاثة مباحث :

المبحث الأول: المناقشة الإجمالية لأقوال الفرق

المبحث الثاني : مناقشة قول المعتزلة القدرية

المبحث الثالث : مناقشة قول الجبرية

تمهيد

قبل الشروع في مناقشة أقوال الفرق يحسن التنبيه على الأمور التالية:

١ـ أن الأقوال في القدر ترجع إلى قولي: القدرية والجبرية، وإن كان هناك بعض الاختلاف اليسير كنظرية الكسب عند الأشعرية.

٢ـ أن فهم القدر على الوجه الصحيح يغني عن كثرة التفصيل في الرد.

٣ـ أن تصور بعض الأقوال المخالفة في القدر كافٍ في الرد عليها؛ إذ فسادها يغني عن إفسادها.

٤ـ أن أدلة بعض الفرق تكفي في هدم بعضها بعضاً ـ في الغالب ـ[1].

---

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعليقاً على اعتراف الرازي في آخر مصنفاته: «وأكثر الانتفاع بكلام هؤلاء هو فيما يثبتونه من فساد أقوال سائر الطوائف وتناقضها.

وكذلك كلام عامة طوائف المتكلمين؛ ينتفع بكلام كل طائفة في بيان فساد قول الطائفة الأخرى، لا في معرفة ما جاء به الرسول؛ فليس في طوائف أهل الأهواء والبدع من يعرف حقيقة ما جاء به الرسول، ولكن يعرف كل طائفة منه ما يعرفه، فليسوا كفاراً جاحدين به، وليسوا عارفين به». النبوات ٢/٩٤٣ تحقيق د.عبدالعزيز الطويان.

وقال في مجموع الفتاوى ١٢/٣١٤ في معرض حديث له عن تناقض أقوال المعتزلة والأشاعرة وأن كل فريق يرد أدلة الفريق الآخر:«وهذا أعظم ما يستفاد من أقوال المختلفين الذين أقوالهم باطلة، فإنه يستفاد من قول كل طائفة بيان فساد قول الطائفة الأخرى، فيعرف الطالب فساد تلك الأقوال، ويكون ذلك داعياً له إلى طلب الحق، ولا تجد الحق إلا موافقاً لما جاء به الرسول ﷺ ولا تجد ما جاء به الرسول إلا موافقاً لصريح المعقول».

٥ـ أن كثيراً من أوجه الرد التي تبين بطلان هذه المذاهب قد مرت عرضاً في كثير من المباحث.

٦ـ وبناء على ما مضى فإن مناقشة الأقوال لن تطول وستتركز على قولي القدرية والجبرية.

المبحث الأول

المناقشة الإجمالية لأقوال الفرق

أولاً : جاءت أدلة الجبرية؛ لتثبت أن الله خالق أفعال العباد ، وأن العباد لا قدرة لهم ، بل هم مجبورون على أعمالهم.

وهذا فيه حق من جانب ، وباطل من جانب ، وأدلتهم تؤيد ما في مذهبهم من حق وهو أن الله خالق أفعال العباد.

أما دعوى الجبر فمردودة بالأدلة الأخرى التي استدل بها المعتزلة.

ثانياً: جاء المعتزلة ـ بالمقابل ـ بأدلة؛ لتثبت أن العباد خالقون لأفعالهم ، وأن الله غير خالق لأفعال العباد.

وهذا ـ أيضاً ـ فيه حق وباطل؛ فإثبات أن العباد لهم إرادة ومشيئة داخلة تحت مشيئة الله ، وأن أعمالهم هي أفعالهم حقيقة ـ هذا حق تؤيده أدلتهم.

وأما دعوى أن الله غير خالق لأفعال العباد فذلك باطل ترده أدلة الجبرية.

ثالثاً: كل دليل من أدلة الجبرية هو رد على أدلة المعتزلة القدرية ، وكل دليل من أدلة المعتزلة القدرية هو رد على أدلة الجبرية.

لذلك حاول الأشاعرة أن يتوسطوا بين الفريقين ، فقالوا: إن الله خالق أفعال العباد ، وهي منهم كسب.

لكنهم ـ وإن قربوا أكثر من أهل السنة ـ لم يحالفهم التوفيق في مذهبهم هذا؛

لأنهم أثبتوا للعبد قدرة غير مؤثرة، وسموها كسباً؛ فمال مذهبهم إلى الجبرية كثيراً.

رابعاً: أن المذهب الحق الذي يؤيده العقل، ومجموع الأدلة ـ هو خلاصة القول الحق في كل مذهب من هذه المذاهب[١].

(١) انظر القضاء والقدر للمحمود ص٣٤٦ـ٣٤٧.

المبحث الثاني

مناقشة قول المعتزلة القدرية (١)

١ـ أن استدلالهم بالآيات التي تثبت المشيئة للعباد حق، ولكن هذه الآيات وغيرها كثير يدل على إثبات المشيئة لله ـ عز وجل ـ.

فأدلتهم معارضة بأدلة الجبرية التي ساقوها لإثبات مشيئة الله.

ونحن نثبت للعبد مشيئة وإرادة يختار بها، وقدرة يفعل بها، ولكنها خاضعة لمشيئة الله وإرادته وقدرته.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة التكوير:٢٨ـ٢٩

٢ـ أن الآيات التي ساقوها في بيان أن العباد هم الذين يؤمنون، ويكفرون، ويطيعون، ويعصون حق لا مرية فيه؛ فالعبد فاعل لفعله حقيقة.

ولكن ذلك لا يدل على استقلاله في الفعل؛ فالزعم بأنَّ ذلك يدل على أن لا يكون الله هو الخالق لأفعال العباد هو الباطل الذي نرده ونمنعه؛ لأنه لا تعارض بين الأمرين؛ فالعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم؛ فهي من الله خلق وإيجاد، وهي منهم فعل وكسب.

ولهذا يذمون على القبيح ويعاقبون، ويحمدون على الحسن ويثابون.

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٤٣٦ـ٤٤٤، والقضاء والقدر للمحمود ص ٣٥٨ـ٣٦٤، ومنهج الإمام ابن العز الحنفي وآراؤه في العقيدة من خلال شرحه للطحاوية لعبدالله الحافي ص٣٢٢ـ٣٢٥.

٣ـ أما استدلالهم بالآيات التي تدل على ترتيب الجزاء على الأعمال ـ فإن ذلك قد ضلت فيه القدرية والجبرية، وهدى الله له أهل السنة؛ فإن الباء المنفية في قوله ﷺ: «واعلموا أنه لن ينجوَ أحدٌ منكم بعمله»[1] غير الباء المثبتة في قوله ـتعالىـ: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ سورة السجدة: ١٧.

فالأولى المنفية هي باء العوض والثمنية وهي أن يكون العمل كالثمن لدخول الجنة كما زعمت المعتزلة؛ حيث يرون أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله.

وليس الأمر كذلك، بل برحمة الله وفضله.

والثانية المُثْبَتة هي الباء السببية؛ فالعاملون يدخلون الجنة بسبب أعمالهم، والله ـ عز وجل ـ خالق الأسباب والمسببات؛ فرجع ذلك كله إلى محض فضله ورحمته.

٤ـ وأما استدلالهم بقوله ـ تعالى ـ ﴿صُنْعَ اللهِ الذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ سورة النمل: ٨٨، على أن أفعال العباد غير مخلوقة لله بحجة ما يقع منهم من الفساد والمخالفة فباطل؛ ذلك أن معنى الآية أن الجبال صنع الله ـتعالىـ وهو ـ سبحانه ـ أتقن كلَّ شيء، أي أتقن كلَّ ما خلق، وأحكمه، وأودع فيه من الحكمة ما أودع؛ ﴿ إِنَّهُ خَبِيْرٌ بِمَا تَفْعَلُوْن ﴾ سورة النمل: ٨٨، تعليلٌ لما قبلها من كونه صنع ما صنع، وأتقن كلَّ شيء.

ومعناها: أنه عليم بما يفعل عباده من خير وشر، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء.

---

(١) أخرجه مسلم بألفاظ متقاربة، وبوب عليه بقوله: «باب لن يدخل أحدٌ الجنة بعمله، بل برحمة الله ـ تعالى ـ».

أما ما يقع من الكفر والمعاصي والقبائح فقد قدرها ـ سبحانه ـ أزلاً، ولو شاء ألا توجد ما وجدت.

والعباد هم الفاعلون لها، وهي منسوبة إليهم، وهي مخلوقة لله، ولكنه ـ عز وجل ـ لم يجبرهم عليها، وهم يدركون ذلك من أنفسهم.

والكفر، والتهود، والتنصر، والتمجس وإن كان غير متقن في ذاته، بل هو أعظم الباطل إلا أن الله شاءه لحكم عظيمة مرَّ شيءٌ منها عند الحديث عن الحكمة من خلق المعاصي وتقديرها.

ووجه غلط المعتزلة القدرية وغيرهم في هذا الباب ـ كما مر ـ هو الخلط بين ما هو خلق لله ينسب إليه، وبين ما هو من مخلوقاته، أو بعبارة أخرى بين فعله ومفعولاته؛ فكونها مقدرة من الله فذلك خير، والله لا يفعل إلا الخير، والشر ليس إليه ـ عز وجل ـ لأن فعلَه حكمة، وعدل، ورحمة، ولكنها شر من جهة وقوعها من البشر.

وهذا ما تقرر عند الحديث عن نسبة الشر إلى الله ـ عز وجل ـ.

قال ابن حزم[1] رحمه الله: «ومن زعم أن الله ـ تعالى ـ لم يخلق أعمالنا فقد ألحد؛ إذ

---

(١) هو الإمام المشهور أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي اليزيدي، ولد سنة ٣٨٤هـ، وتوفي سنة ٤٥٦هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٨/١٨٤ـ٢١٢.

قال عنه الذهبي رحمه الله: «وأن لي مَيْلٌ إلى أبي محمد، عجبته في الحديث الصحيح ومعرفته به، وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل، والمسائل البشعة في الأصول والفروع، وأقطع بخطئه في غير مسألة، ولكن لا أكفره، ولا أضلله، وأرجو له العفو والمسامحة وللمسلمين، وأخضع لفرط ذكائه، وسعة علومه». سير أعلام النبلاء ١٨/٢٠١ـ٢٠٢.

قد ردَّ قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ ﴾ سورة الأنعام:١٠١، فزعم أن أشياء كثيرة لم يخلقها الله ـ عز وجل ـ وهذا تكذيب للقرآن»[١].

وبالجملة فإنَّ مذهب القدرية باطل في الشرع، والعقل والفطر السوية؛ ولهذا لم يستطع منطق القدرية أن يقف في مجال الحجاج مع عوام أهل السنة فضلاً عن علمائهم[٢].

---

(١) الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم ص٣١٠.

(٢) ولهذا تذكر كتب العقيدة وغيرها قصصاً ومحاورات مع القدرية ومما يذكر من القصص في هذا الصدد ما يلي:

أـ قال الطوفي ﵀: «قال عيسى بن يونس: حدثني جار لي يقال له واصل، قال: اختصم قدري وحروري ومرجئ، فقال كل منهم: ديني أصوب من دينكما؛ فتراضوا أن يحكم بينهم أول من يستقبلهم؛ فاستقبلهم أعرابي على قعود له، فذكروا له اختلافهم في أديانهم، وقالوا له: قد تراضينا بأول من نلقاه أن يحكم بيننا؛ فكنت أنت.

فأناخ الأعرابي بعيره، ثم أخذ كساءاً كان تحته، فطواه، ثم جلس عليه، وقال لهم: اجلسوا بين يدي، ثم قال للحروري: ما تقول أنت؟ قال: أزعم أن كل من عصى الله ـ عز وجل ـ فقد كفر، واسْتُحلَّ دمُه.

فقال له: أنت رجل سوء؛ تَحْظُر على العباد ما وسع الله عليهم من التوبة، تَنَحَّ.

ثم قال للقدري: ما تقول أنت؟ قال: أزعم أن ما عمل العباد من خير فمن الله، وما عملوا من شر فليس لله ـ تعالى ـ فيه قضية ولا مشيئة.

فقال: أنت أكفر من هذا؛ تزعم أن الله ـ تعالى ـ يريد شيئاً من العباد فلا يعملونه، ويعمل العباد شيئاً لا يريده؛ تَنَحَّ.

ثم للمرجئ: ما تقول أنت؟ قال: أزعم أنَّ من قال لا إله إلا الله فهو مؤمن لا يضره عَمِلَ أو لم يعمل.

=

= فقال الأعرابي: ما في الثلاثة أكفر منك؛ حيث تشهد لهذين أنهما مؤمنان».

بـ يروى أن أعرابياً أضل ناقته، فجاء إلى عمرو بن عبيد ـ وهو من أكابر القدرية ـ فقال: أيها الشيخ: إن ناقتي قد سرقت؛ فادع الله أن يردها علي.

فرفع عمرو بن عبيد يديه، وقال: «اللهم إن ناقة هذا سُرِقتْ ولم تُرِدْ أن تسرق؛ فأمسك الأعرابي يديه، وقال: الآن ضاعت ناقتي يا شيخ، قال له: ولِمَ؟ قال: لأنه إذا أراد ألا تسرق فسرقت فلا آمن أن يريد رَدَّها فلا تُرَدْ؛ فوجم عمرو بن عبيد، ولم يجد جواباً». شرح جواب ابن تيمية في قصيدته التائية في القدر للطوفي، مخطوط ص٦، وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧٣٩/٤، وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٠، والقصيدة التائية في القدر لابن تيمية شرح وتحقيق محمد بن إبراهيم الحمد ص٤٨ـ٥٠.

جـ ـ وقال ابن قتيبة رحمه الله في تأويل مختلف الحديث ص٧٨:«بلغني أنَّ رجلاً من أصحاب الكلام قال لرجل من أهل الذمة: ألا تُسْلِم يا فلان! فقال: حتى يريد الله ـ تعالى ـ فقال: قد أراد الله، ولكنَّ إبليس لا يَدَعُك، فقال الذمي: فأنا مع أقواهما».

د ـ دخل القاضي عبدالجبار الهمذاني ـ أحد شيوخ المعتزلة ـ على الصاحب بن عباد، وعنده أبوإسحاق الاسفراييني ـ أحد أئمة السنة ـ فلما رأى الأستاذ قال: سبحان من تنزه عن الفحشاء، فقال الأستاذ: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، فقال القاضي: أيشاء ربُنا أن يُعصى؟ قال الأستاذ: أيعصى ربُنا قهراً؟ قال القاضي: أرأيت إن منعني الهدى، وقضى عليَّ بالردى أحسن إليَّ أم أساء؟ قال الأستاذ: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء، فبُهت القاضي عبدالجبار»، انظر هامش شرح العقيدة الطحاوية ٢٥١، وانظر: دفع إيهام الاضطراب ٢٨٦ـ٢٨٧، وانظر كتاب القدر للفريابي ففيه قصص ومحاورات كثيرة مع القدرية، وانظر حزَّ الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر لابن الحاج القفطي ص٣١، وانظر تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة ١١٧/١ـ١١٩.

المبحث الثالث

مناقشة قول الجبرية

١ـ أن الآيات التي استدلوا بها على أنَّ الله خالق كلِّ شيء ـ دلالتها حق.

ولكن أنَّى لهم أن يثبتوا أن العبد غير قادرٍ ولا مريدٍ ولا فاعلٍ بمشيئته وقدرته ومن أين يفهم من الأدلة التي ساقوها أن العبد ليس هو الفاعل حقيقة، أو أن أفعاله ليست قائمة به؟!

فليس لدى الجبرية دليل صحيح ينفي أن يكون العباد فاعلين لأفعالهم، بل غاية أدلتهم أنها تثبت أن الله خالق، وهذا حق لا يُنكر.

٢ـ أن استدلالهم بآيات المشيئة، وأنها تثبت المشيئة لله وحده ـ حق.

ولكن الآيات نفسها وغيرها كثير تدل على إثبات المشيئة للعباد؛ ولذلك استدل بها المعتزلة على مذهبهم.

وبناء على ذلك فكل من الجبرية والمعتزلة ترد أدلتهم أدلة الطرف الآخر، وبمجموع تلك الأدلة يتبين الحق، وهو إثبات المشيئة للعباد، وكونها واقعة بمشيئة الله تابعة لها.

٣ـ أما استدلالهم بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ سورة الأنفال:١٧، وما جرى مجرى هذه الآية، وزَعْمُهم أن ذلك نص في أنَّ الإنسان لا قدرة له ولا إرادة ـ فذلك جهلٌ وضلال.

فقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ ....﴾ الآية، خطاب للمؤمنين في وقعة بدر؛ حيث أنزل الله ملائكته فقتلوا أعداءه، فلم ينفرد المسلمون بقتلهم، بل قتلتهم الملائكة.

وكذلك لما أخذ الرسول ﷺ حفنة من تراب، فرمى بها وجوه المشركين؛ فما من المشركين أحدٌ إلا وأصاب عينيه وفمَه ومنخريه ترابٌ من تلك القبضة، فولوا مدبرين، فقال ـ تعالى ـ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

فأثبت للرسول الرمي وهو الحذف والإلقاء.

أما إيصال ما رمى إلى الوجوه مع بعدها عنه، وإيصال ذلك إلى وجوههم جميعاً ـ فلم يكن من فعله، ولكنَّه فعلُ الله وحده.

٤ـ **أما دليلهم العقلي** فهو مردود بأن تعلق علم الله وإرادته بأفعال العباد لا يجعلهم مجبورين في أفعالهم؛ لأن علمَ الله أزلاً بأفعالهم، وبأنَّ العبدَ يختارها ـ ليس سلباً لاختيار العبد، وإنما هو محقِّق لاختياره.

وهذا معلوم عند كافة العقلاء.

كما أنَّ تعلقَ قدرته ـ سبحانه ـ بوجودها لا ينافي أن تكون أفعال العباد واقعة بقدرتهم، وأنهم الفاعلون لها.

وبالجملة فكما أنَّ مذهب القدرية المعتزلة مخالفٌ للشرع والعقل والفطرة فكذلك مذهب الجبرية[1].

ولهذا وردت حكايات عن الجبرية تبين أن المعاند في القدر، والقائل في الجبر

---

(١) انظر في مناقشة قول الجبرية في القدر إلى شرح العقيدة الطحاوية ص٤٣٦ـ٤٣٨، وانظر القضاء والقدر للمحمود ص٣٤٧ـ٣٥٤، وانظر منهج الإمام ابن أبي العز الحنفي وآراؤه في العقيدة ص٣٢٠.

مغلوب، وحجته داحضة، بل ربما صار أضحوكة لمن قرأ عنه، أو سمع له[1].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في كتاب طريق الهجرتين ص١٥٧ـ١٥٨، متحدثاً عن بعض أحوال من يقولون بالجبر: «صعد رجل على سطح دار له، فأشرف على غلام يفجر بجاريته، فنزل، وأخذهما؛ ليعاقبهما، فقال الغلام: إن القضاء والقدر لم يدعانا حتى فعلنا ذلك.

فقال: لَعِلْمُك بالقضاء والقدر أحب إلي من كلِّ شيء، أنت حرٌّ لوجه الله!!

ورآى آخر يفجر بامرأته، فبادر؛ ليأخذه فهرب، فأقبل يضرب المرأة، وهي تقول: القضاء والقدر.

فقال: يا عدوة الله أتزنين وتعتذرين بمثل هذا؟

فقالت: أَوَتركتَ السنة، وأخذت بمذهب ابن عباس؟ فتنبه، ورمى بالسوط من يده، واعتذر إليها، وقال: لولاكِ لضللتُ!!».

هذا وقد ذكر الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله في كتابه الدرة البهية عدداً من الأمثلة التي تكشف مسألة القضاء والقدر، ومن تلك الأمثلة: قصة الرجل الجبري، حيث قال فيها: «كان رجل قد غلا في الجبر والقدر غلوّاً عظيماً، فكان يعتذر بالقدر عند كل جليل وحقير، حتى آلت به الحال إلى الاستهتار، وانتهاك أصناف المعاصي، وكلما نُصح وليم على أفعاله، جعل القدر حجة له في كل أحواله

وكان له صاحب يعذله، وينصحه عن هذه المقالة التي تخالف العقل، والنقل، والحس، ولا يزيده العذل إلا إغراءً، وكان صاحبه ينتظر وينتهز الفرصة في إلزامه بأمور تختص به، وتتعلق.

وكان هذا الجبري صاحبَ ثروة، له أموال منوعة، وقد وكل عليها الوكلاء، والعَمَلَة، فصادف في وقت متقارب أن جاءه صاحبُ ماشيته، فقال: إن الماشية هلكت، وتلفت جميعُها؛ لأني رعيتها في أرض مجدبة، ليس فيها عود أخضر.

فقال له: وعملت ذلك وأنت تعلم أن الأرض الفلانية مخصبة، فما عذرك في ذلك؟ فقال: قضاء الله وقدره، وكان ممتلئاً غضباً قبل ذلك، فزاد غضبه من هذا الكلام، واستشاط غضبه، وكاد يتقطع من هذا الاعتذار.

وجاءه صاحب البضائع، فقال: إني سلكت هذا الطريق المخوف، فاقتطع المال قُطَّاعُ الطريق، فقال له: كيف تسلك هذا الطريق المخوف ـ مع علمك أنه مخوف ـ وتترك الطريق الآمن الذي لا تشك في أمنه؟

=

= فأجابه بمثل جواب الراعي للماشية، وعمل معه الجبري ما عمله مع صاحبه.

ثم جاء وكيله على تربية أولاده، وحفظهم، فقال: إني أمرتهم أن ينزلوا في البئر الفلانية؛ ليتعلموا السباحة فغرقوا، فقال: لم فعلت ذلك وأنت تعلم أنهم لا يحسنون السباحة؟ والبئر المذكورة تعلم أن ماءها غزير؟ فكيف تتركهم ينزلون وحدهم وأنت لست معهم؟

فقال: هكذا قضاء الله وقدره.

فغضب عليه غضباً لا يشبه الغضب على الأولين، وكاد الغضب أن يقتله، وكل واحد من هؤلاء الذين وكلهم على ما ذكرنا يزداد غضبه عليه إذا قال له: هذا قضاء الله وقدره، فحينئذ قال له صاحبه: يا عجباً لك يافلان! كيف قابلت هؤلاء المذكورين بهذا الغضب البليغ، ولم تعذرهم حين اعتذروا بالقدر، بل زاد هذا الاعتذار في جرمهم عندك، وأنت مع ربك ـ في أحوالك المخجلة ـ قد سلكت مسلكهم، وحذوت حذوهم؟!

فإن كان لك عذر ـ فهم من باب أولى أعذر وأعذر، وإن كانت أعذارهم تشبه التهكم والاستهزاء فكيف ترضى أن تكون مع ربك هكذا؟!

فانتبه الجبري حينئذٍ، وصحا بعدما كان غارقاً في غلوه، وقال: الحمد لله الذي أنقذني مما كنت فيه، وجعل لي موعظةً وتذكيراً من هذه الوقائع التي وقعت لي، ولمست فيها غلطي الفاحش، والآن: أعتقد أن ما حصل لي من نعمة الهداية إلى الحق أعظم عندي من هذه المصائب الكبيرة، كما تحققت في قوله ـتعالىـ: ﴿ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢١٦. انظر الدرة البهية شرح القصيدة التائية، في حل المشكلة القدرية ص٦٣ـ٦٥.

الخاتمة

وبعد هذا التطواف في مباحث القضاء والقدر ـ هذا إجمال لأهم ما ورد في تلك المباحث، وذلك من خلال النقاط الآتية:

١ـ الإيمان بالقدر من أهم مباحث العقيدة، فهو ركن من أركان الإيمان، والإيمان به تمام التوحيد، وكتب السلف الصالح في العقيدة اهتمت به، وأطنبت في ذكره، والناس على اختلاف طبقاتهم يشغلهم موضوع القدر؛ لارتباطه بحياتهم اليومية.

٢ـ الإيمان بالقدر أمر فطري، ومع ذلك فهو أعوصُ أبواب العقيدة، لدقة مسائله، وتشعبها، وكثرة الشبهات المثارة حوله؛ ولهذا لا يمكن أن يفهم إلا بفهم السلف الصالح ـ أهل السنة والجماعة ـ ولا يمكن لكل أحد أن يفهمه على وجه التفصيل.

٣ـ القدر هو تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمُه، واقتضته حكمتُه.

أو: هو علم الله، وكتابته للأشياء، ومشيئته وخلقه لها.

٤ـ الحديث عن القدر لا يُمنع بإطلاق، ولا يُفتح بإطلاق، بل إن الأمر فيه تفصيل، فإن كان الحديث عن القدر بالمنهج العلمي الصحيح المعتمد على الكتاب والسنة، وكان الحديث عنه مراداً به الوصول إلى الحق ـ فإنه لا يمنع ولا يُنهى عنه، بل قد يجب.

وإن كان الحديث عنه خوضاً بالباطل، واعتماداً في فهمه على العقل المجرد أو كان للاعتراض أو التنازع أو التعنت فإنه لا يجوز البتة.

٥ـ الإيمان بالقدر على الوجه الصحيح يثمر ثمرات جليلة على الأفراد والمجتمعات في الدنيا والآخرة.

٦ـ الإيمان بالقدر دلَّ عليه الكتاب، والسنة، والإجماع، والفطرة، والعقل، والحس.

٧ـ الإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان تسمى: مراتب القدر وهي العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق.

٨ـ أفعال العباد داخلة في عموم خلقه ـ عز وجل ـ ولا يخرجها عن ذلك العموم شيء.

٩ـ التقدير ينقسم إلى خمسة أقسام وهي:

أـ التقدير العام لجميع الكائنات.

بـ التقدير البشري: وهو التقدير الذي أخذ الله فيه الميثاق على جميع البشر بأنه ربهم، وأنه أشهدهم على أنفسهم بذلك، والذي قدَّر الله فيه أهل السعادة وأهل الشقاوة.

جـ ـالتقدير العمري: وهو تقدير كل ما يجري على العبد من لدن نفخ الروح فيه إلى نهاية أجله.

د ـ التقدير السنوي: وهو تقدير ما يجري كل سنة، وذلك ليلة القدر من كل السنة.

هـ ـالتقدير اليومي: وهو تقدير ما يجري كل يوم، كما قال ـتعالى ـ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ سورة الرحمن: ٢٩.

١٠ـ الواجب على العبد في باب القدر أن يؤمن بقضاء الله وقدره، ويؤمن

بشرع الله وأمره ونهيه، فعليه تصديق الخبر وطاعة الأمر، فإذا أحسن حمد الله ـ تعالى ـ وإذا أساء استغفر الله ـ تعالى ـ وعلم أن ذلك بقدر الله، فهذا هو الواجب على العبد، ولا يلزم كل أحدٍ أن يعرف مباحث القدر على وجه التفصيل، كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة؛ فهم لا يوجبون على العاجز ما يوجبون على القادر.

١١ـ الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، وأن يكون له قدرة عليها، بل له مشيئة وقدرة، وهما تابعتان لمشيئة الله وقدرته، واقعتان بها.

١٢ـ فعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقضاء والقدر، بل إن ذلك من تمام الإيمان به.

١٣ـ الاحتجاج بالقدر إنما يسوغ عند المصائب لا المعائب.

١٤ـ الإرادة الربانية تنقسم إلى قسمين:

١ـ كونية قدرية: وهي مرادفة للمشيئة ولا يخرج عن مرادها شيءٌ أبداً ولابد أن تقع.

٢ـ شرعية دينية: وتتضمن محبة الرب ورضاه، ولا يلزم وقوعها، فقد تقع وقد لا تقع.

١٥ـ الشر لا ينسب إلى الله ـ عز وجل ـ فهو منزه عن الشر، ولا يفعل إلا الخير، والقدر من حيث نسبتُه إلى الله لا شر فيه بوجه من الوجوه؛ فإنه علم الله، وكتابته، ومشيئته، وخلقه، وذلك خيرٌ محضٌ، فالشر إنما هو في المقضي لا في القضاء، وفي مفعولات الله لا في أفعاله ـ عز وجل ـ.

١٦ـ قد يريد الله أمراً، ويشاؤه، وفي الوقت نفسه لا يحبه؛ لأن المراد نوعان:

١ـ مراد لنفسه إرادة الغايات مثل خلق جبريل ـ عليه السلام ـ.

٢ـ مراد لغيره: فهو وسيلة إلى غيره مثل خلق إبليس، فهو مكروه لله من حيث نفسه وذاته، مراد له ـ عز وجل ـ من حيث قضاؤه وإيصاله إلى مراده، فهو سبب لحصول محابَّ كثيرة، فيجتمع الأمران بُغْضُه له، وإرادتُه له، ولا يتنافيان.

١٧ـ لله ـ عز وجل ـ الحكمة البالغة في كل فعل من أفعاله، وقد تظهر لنا الحكمةُ، وقد تخفى، ولا يلزم أن ندرك حكمته ـ عز وجل ـ في كل شيء، أو أن يدرك ذلك كل أحد.

١٨ـ وجوب الرضا بقضاء الله ـ عز وجل ـ فيه تفصيل؛ فإن كان ما قُضي وقُدِّر مرضيَّاً لله محبوباً له ـ كالإيمان وسائر الطاعات ـ رضينا به، وإن كان غير مرضي لله ولا محبوب له ـ كالمعاصي والكفر ـ فلا نرضى به، فعلينا موافقة ربنا في رضاه وفي سخطه؛ فالدين موافقة ربنا في كراهة الكفر والفسوق والعصيان مع تركها، وموافقته في محبة الشكر والطاعة مع فعلها.

أو يقال: نرضى بالقضاء الذي هو فعل الله ـ تعالى ـ.

وأما المقضي الذي هو فعل العبد ـ ففيه تفصيل؛ فإن كان مرضياً لله رضينا به، وإن كان غير مرضي لله لم نرض به.

١٩ـ القدر قدران أحدهما: القدر المثبت أو المبرم؛ وهو ما في أم الكتاب، فهذا لا يتغير ولا يتبدل، والثاني :القدر المعلق أو المقيد وهومافي كتب الملائكة فهذا هو الذي يقع فيه المحو والإثبات.

٢٠ـ الإنسان مخير باعتبار ومسير باعتبار؛ فهو مخيَّر باعتبار أن له قدرة ومشيئة واختياراً، ومسيَّر باعتبار أنه في جميع أفعاله داخل في القدر راجع إليه، ولكونه لا يخرج عما قدره الله له.

٢١ـ ورد في البحث ذكر لبعض الأخطاء التي تقع في باب القضاء والقدر.

٢٢ـ إنكار القدر لم يكن معروفاً عند العرب لا في جاهليتها ولا في إسلامها، وإنما أتاهم ذلك من الأمم الأخرى.

٢٣ـ ورد في البحث ذكر لبعض أقوال الطوائف والملل في القدر.

٢٤ـ أول من قال بالقدر في هذه الأمة رجل يقال له: سوسن، أو سيسويه، أو سنسويه، وكان نصرانيَّاً فأسلم ثم تنصَّر، وأخذ عنه هذه البدعةَ مَعْبَدُ الجهني، وأخذها عن معبدٍ غيلانُ الدمشقي، ثم تلقفها بعد ذلك رؤوس الاعتزال ونشروها.

٢٥ـ ظهرت هذه البدعة أول ما ظهرت في عهد صغار الصحابة كابن عباس، وابن عمر، وجابر ـ رضي الله عنهم ـ وقد اشتد نكيرهم على هذه البدعة، وأعلنوا براءتهم منها.

٢٦ـ ضل في باب القدر فِرَقٌ عديدة، وقد ورد في هذا البحث ذكر أقوالهم وبيان ضلالهم.

هذا ملخص ما ورد في هذا البحث، وفي الختام أسأل الله ـ تبارك وتعالى ـ أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه؛ إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

آيات سورة آل عمران

آيات سورة النساء

آيات سورة المائدة

آيات سورة الأنعام

آيات سورة يونس

آيات سورة يوسف

آيات سورة الرعد

آيات سورة إبراهيم

آيات سورة الحجر

آيات سورة النحل

آيات سورة الإسراء

آيات سورة الكهف

آيات سورة مريم

آيات سورة طه

آيات سورة فاطر

آيات سورة يس

آيات سورة الصافات

آيات سورة ص

آيات سورة الزمر

آيات سورة غافر

آيات سورة التحريم

آيات سورة الملك

آيات سورة المدثر

آيات سورة الإنسان

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس قوافي الأشعار

مطلع البيت	القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
وإن جاء	واصبرا	البسيط	----	٢٢٧
أَلمْ تريا	وأدبرا	البسيط	----	٢٧٧
تهيج البكاء	قُدِّرا	البسيط	----	٢٧٧
وعليهما	تبع	الكامل	أبو ذؤيب الهذلي	٢٩
كتب الرحمن	الضَّلَعْ	الرمل	سويد بن أبي كاهل	٤٤
لعمرك ما	صانع	الطويل	لبيد بن أبي ربيعة	٩٩
سلوهن إن	واقع	الطويل	----	٩٩
وأحسن	رفيع	الطويل		١٠١
أفادتني	القناعة	الوافر	الشافعي	١١٠
فصيرها	بضاعة	الوافر	----	١١٠
تحز	ساعة	الوافر	----	١١٠
وأسلمت	تنازع	الطويل	عبدالكريم الجيلي	٢٧٦
فطوراً	راتع	طويل	----	٢٧٧
إذا كنت	طائع	الطويل	----	٢٧٧
كن	المكتفي	الرمل	ابن طباطبا	١١١
إن في نيل	السرف	الرمل	----	١١١

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس بعض الطوائف والمصطلحات

فهرس المصادر والمراجع

«أ»

١ـ الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح المقدسي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٢ـ الإبانة عن أصول الديانة، لأبي حسن الأشعري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ.

٣ـ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لابن بطة العكبري، تحقيق ودراسة رضا بن نعسان معطي، ط٢، ١٤٠٩هـ.

٤ـ الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري، مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ١٩٨٣م.

٥ـ الاحتجاج بالقدر، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط٢، ١٣٩٩هـ، نشره قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة.

٦ـ الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، لابن قتيبة، قدم له، وعلق عليه، وخرَّج أحاديثه عمر بن محمود أبو عمر، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٧ـ أدب الدنيا والدين، للماوردي، تحقيق د. محمد الصباح، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٧م.

٨ـ أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، لأحمد بن إدريس القرافي، تحقيق

عبدالرحمن دمشقية، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٩- الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت، دار القلم، ط٣، ١٩٦٦م.

١٠- الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، توزيع مكتبة السنة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ.

١١- الإسلام قوة الغد العالمية، باول شمتز، نقله إلى العربية د. محمد شامة، مكتبة وهبة.

١٢- الأصمعيات، لأبي سعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام محمد هارون، بيروت، لبنان، ط٥.

١٣- أصول أهل السنة والجماعة، المسماة برسالة الثغر، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق الدكتور محمد السيد الجليند، دار اللواء للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

١٤- أصول الدين، لعبدالقاهر البغدادي، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٥- أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، عرض ونقد د.ناصر القفاري، ط١، ١٤١٤هـ.

١٦- الاعتقاد على مذهب السلف، أهل السنة والجماعة، للبيهقي، السلام العالمية للطبع والنشر والتوزيع.

١٧- الأعلام، لخير الدين الزركلي، ط٢، بدون تاريخ، ط٤، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.

١٨ـ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، للإمام القرطبي، تقديم وتحقيق د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي.

١٩ـ الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، للحافظ عمر بن علي البزار، حققه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، ط٢، ١٣٩٦هـ.

٢٠ـ أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، أو **٢٠٠** سؤال في العقيدة الإسلامية، تأليف الشيخ: حافظ الحكمي، خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه مصطفى أبو النصر الشلبي، ط٣، ١٤١٠هـ، مكتبة السوادي جدة.

٢١ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم الجوزية، تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي.

٢٢ـ أفول شمس الحضارة الغربية، تأليف مصطفى فوزي غزال، دار السلام للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٦م.

٢٣ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، تحقيق د. ناصر العقل، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٤ـ إكمال المعلم، شرح لصحيح مسلم، لأبي عبدالله محمد ابن خليفة الوسناني الأبي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٥ـ الأمالي لأبي الفداء علي القالي، منشورات المكتب الإسلامي.

٢٦ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة، للوزير علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٣٦٩هـ ـ١٩٥٠م.

٢٧ـ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، تأليف الإمام الحافظ أبي عمر

يوسف بن عبدالبر القرطبي النميري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٨ـ الإنسان هل هو مسير أم مخير، د.فؤاد العقلي، ط١، ١٩٨٠م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٩ـ الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للقاضي أبي بكر الطيب الباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣٠ـ أوائل المقالات في المذاهب المختارات، للشيخ المفيد، تعليق الزنجاني، ط٣، ١٣٩٣هـ، الطبعة الحيدرية، النجف.

٣١ـ إيقاظ الفكرة بمراجعة الفكرة، تأليف محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه محمد صبحي بن حسن حلاق، دار ابن حزم، ط١، ١٤٠٢هـ ـ١٩٩٩م.

٣٢ـ الإيمان، للإمام ابن مندة، حققه، وعلق عليه وخرج أحاديثه د. علي بن محمد الفقيهي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٣ـ الإيمان: أركانه ـ حقيقته ـ نواقضه د. محمد نعيم ياسين.

٣٤ـ الإيمان بالقضاء والقدر، وأثره على القلق النفسي، طريفة بنت سعود الشويعر، دار البيان العربي، ط١، ١٤٠٨هـ.

«ب»

٣٥ـ باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات، د. محمد خليل هراس، مكتبة الصحابة، طنطا،

١٤٠٥هـ، ط٢.

٣٦ـ بدائع الفوائد لابن القيم، مكتبة الرياض الحديثة.

٣٧ـ البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق أحمد عبدالوهاب فتيح، دار زمزم، الرياض ١٤١٤هـ، وط دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠٧هـ، تحقيق أحمد أبو ملحم وزملائه.

٣٨ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.

٣٩ـ برد الأكباد عند فقد الأولاد، للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، قدم له عبدالقادر بن شيبة الحمد، مطابع السفراء، الرياض، ١٤٠٠هـ.

٤٠ـ البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، لأبي الفضل عباس ابن منصور التريني السكسكي الحنبلي، تحقيق د.بسام علي سلامة العموش، مكتبة المنارة، الزرقاء الأردن.

٤١ـ بطلان عقائد الشيعة، لمحمد عبدالستار التونسي، المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة ١٤٠٨هـ.

٤٢ـ بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والإتحاد، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د.موسى ابن سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٣ـ بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، خرج أحاديثه الشيخ بدر البدر، مكتبة السندس،

ط٣، ١٤٠٨هـ.

٤٤ـ بهجة المجالس وأنس المجالس، وشحذ الذاهن والهاجس للإمام ابن عبدالبر، تحقيق د. محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

٤٥ـ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أو نقض تأسيس الجهمية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، بتصحيح وتكميل وتعليق الشيخ محمد ابن عبدالرحمن بن قاسم، ط٢، ١٤٢١هـ، دار القاسم.

«ت»

٤٦ـ تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار الثقافة العربية، بيروت، لبنان.

٤٧ـ تاريخ مختصر الدول لابن العبري، وقف على طبعه انطون صالحاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٨.

٤٨ـ تأريخ مدينة السلام، للخطيب البغدادي، حققه وضبط نصه وعلَّق عليه د.بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ ـ٢٠٠١م.

٤٩ـ تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٧م.

٥٠ـ تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة ط١، ١٤٠٥هـ.

٥١ـ تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة

العلمية ، بيروت.
٥٢ـ التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ، تحقيق محمد شريف سكر ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٩هـ.
٥٣ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، للمباركفوري ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.
٥٤ـ تحفة المودود في أحكام المولود لابن القيم ، تحقيق : بشير عيون ، الناشر مكتبة دار البيان ، التوزيع : مكتبة المؤيد ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ.
٥٥ـ التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ، للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ.
٥٦ـ التدمرية ، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات ، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع ، لابن تيمية ، تحقيق د.محمد بن عودة السعوي ، ط١ ، ١٤٠٥هـ.
٥٧ـ التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، ألَّف بينها ، وترجمها عبدالرحمن بدوي ، ط٤ ، ١٩٨٠م ، وكالة المطبوعات الكويت ، دار القلم بيروت.
٥٨ـ ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ، لابن الوزير ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط١ ، ١٤٠٤هـ ـ١٩٨٤م.
٥٩ـ تسلية أهل المصائب للإمام محمد بن محمد المنبجي الحنبلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٦٠ـ التعريفات ، للجرجاني ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٥٥م.

٦١ـ التعليقات على متن لمعة الاعتقاد، للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن ابن جبرين، دار الصميعي، ط١، ١٤١٢هـ.

٦٢ـ تفسير البغوي، معالم التنزيل، للإمام البغوي، تحقيق محمد ابن عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان الحرش، دار طيبة، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٦٣ـ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٦٤ـ التفسير القيم، لابن القيم، دار الفكر، تحقيق محمد حامد الفقي ١٤٠٨هـ.

٦٥ـ تقريب التدمرية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، ط١، ١٤١٢هـ.

٦٦ـ التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة، للعلامة عبدالرحمن ابن سعدي، مع تعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، تخريج الشيخ علي بن حسن بن عبدالحميد الحلبي، ط١، ١٤٠٩هـ، دار ابن القيم.

٦٧ـ تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل، للإمام الشوكاني، علق عليها وخرَّجها الشيخ مشهور بن حسن سلمان، ط١، ١٤١٠هـ، دار ابن حزم، بيروت.

٦٨ـ تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة، تأليف الشيخ سليمان بن سمحان، دار العاصمة، الرياض.

٦٩ـ التوبة وظيفة العمر، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٧٠ـ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم الموسومة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لأحمد ابن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٧١ـ التوضيحات الأثرية على متن الرسالة التدمرية، للشيخ فخر الدين المحيسي، مكتبة الفرقان عجمان، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٧٢ـ التوكل على الله وعلاقته بالأسباب، د. عبدالله بن عمر الدميجي، دار الوطن، ط٢، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٧٣ـ تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان ابن عبدالله ابن محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الثامنة ١٤٠٩هـ، المكتب الإسلامي.

٧٤ـ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لابن سعدي، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، مكتبة الأقصى عنيزة.

« ج »

٧٥ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ.

٧٦ـ جامع الرسائل، لابن تيمية، د. محمد رشاد سالم، مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٥هـ.

٧٧ـ الجامع الصحيح في القدر، للشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٧٨ـ الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، عام ١٩٦٦م.

٧٩ـ جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٨٠ـ الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، جمعه ووضع فهارسه الشيخ محمد عزير شمس والشيخ علي بن محمد العمران إشراف وتقديم الشيخ بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد مكة، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٨١ـ جذور البلاء، عبدالله التل، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٨م.

٨٢ـ جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي، شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٨٣ـ جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت، البابي الحلبي، ط٢، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م.

٨٤ـ جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، لأبي يحيى محمد ابن عاصم الغرناطي، تحقيق د. صلاح جرار، دار البشير ١٤١٠هـ.

« ح »

٨٥ـ حاشية كتاب التوحيد، للشيخ عبدالرحمن بن قاسم، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٨٦ـ الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق د.مروان قباني ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٦م.

٨٧ـ الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، إملاء : الحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني ، تحقيق ودراسة د. محمد بن ربيع المدخلي ومحمد بن محمود أبو رحيم ، ط١ ، ١٤١١هـ ، دار الراية للنشر والتوزيع الرياض.

٨٨ـ الحرية في الإسلام ، للشيخ محمد الخضر حسين ، دار الاعتصام.

٨٩ـ جز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر ، تأليف شيث بن إبراهيم بن حيدرة، المعروف بابن الحاج القفطي، تحقيق عمر البارودي ، مؤسسة الثقافة ، ومركز الخدمات والأبحاث الثقافية ط١ ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٩٠ـ الحسنة والسيئة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ.

٩١ـ حظك تعرفه من اسمك ، لحميد الأزري ، الناشر مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٨٨م.

٩٢ـ حظك تعرفه من شهر ميلادك ، لحميد الأزري ، الناشر مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٨٨م.

٩٣ـ الحكمة والتعليل في أفعال الله ، تأليف : د. محمد بن ربيع المدخلي ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ، مكتبة لينة للنشر والتوزيع ، دمنهور.

٩٤ـ حلية الأولياء ، لأبي نعيم الأصفهاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

« خ »

٩٥ـ الخطوط العريضة ، لمحب الدين الخطيب ، تقديم وتعليق الشيخ محمد مال الله ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ.

٩٦ـ خلاصة معتقد أهل السنة ، تأليف الشيخ عبدالله بن سليمان المشعلي ، تحقيق الشيخ عبدالله بن جارالله الجارالله ، وخرج أحاديثه ، محمد بن صالح الدحيم ، مكتبة ابن خزيمة الرياض ، ط٣ ، ١٤١٠هـ.

٩٧ـ خلق أفعال العباد أو الرد على الجهمية وأصحاب التعطيل ، للإمام البخاري ، ط١ ، ١٤٠٤هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

« د »

٩٨ـ درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، ط١ ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٩٩ـ دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية ، د.سعود الخلف ، أضواء السلف ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٠٠ـ دراسات في التصوف ، إحسان إلهي ظهير ، الناشر : إدارة ترجمان السنة ، باكستان ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

١٠١ـ دراسات في المعاجم العربية ، د.أمين فاخر ، ط١ ، ١٤٠٤هـ ـ١٩٨٤م ، مطبعة حسان.

١٠٢ـ الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية ، لابن تيمية ،

تأليف الشيخ عبدالرحمن ابن سعدي، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٦هـ.
١٠٣ـ الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع الشيخ عبدالرحمن ابن قاسم، ط٥، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
١٠٤ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، دار الفكر، ط١، ١٤٠٣هـ، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
١٠٥ـ الدرة فيما يجب اعتقاده، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم، دراسة وتحقيق وتعليق د.أحمد بن ناصر الحمد، وسعيد ابن عبدالرحمن القزقي، توزيع مكتبة التراث، مكة المكرمة، مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
١٠٦ـ دع القلق، وابدأ الحياة، ديل كارنيجي، تعريب عبدالمنعم محمد الزيادي، ١٩٨٠م، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة.
١٠٧ـ دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، مطابع الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٧٥هـ.
١٠٨ـ الدين الخالص، تأليف السيد محمد صديق حسن، مكتبة دار التراث، القاهرة.
١٠٩ـ ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق د.محمد محمد حسين، الناشر مكتبة الآداب بالجماميز.
١١٠ـ ديوان الإمام الشافعي، تحقيق د. محمد عبدالمنعم خفاجي، عالم الكتب، ط١، ١٤١٠هـ.

١١١ـ ديوان الإمام الشافعي، جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزعبي، دار المطبوعات الحديثة، ط٥.

١١٢ـ ديوان الإمام علي، جمعه وضبطه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٣ـ ديوان عنترة، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٨هـ.

١١٤ـ ديوان كعب بن زهير، صنعة السكري، شرح ودراسة د. مفيد قميحة، دار الشواف للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

١١٥ـ ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت.

١١٦ـ ديوان المتنبي بشرح العكبري، ضبطه وصححه عبدالحفيظ شلبي، ومصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

« ذ »

١١٧ـ ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، مطبعة السنة المحمدية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ١٣٧٢هـ.

« ر »

١١٨ـ الرد الأثري المفيد على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد، عمر ابن محمود أبو عمر، دار الكتب الأثرية للتحقيق والنشر، ودار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٩هـ.

١١٩ـ الرد الكافي على مغالطات د. علي عبدالواحد وافي، في كتابه بين الشيعة والسنة، لإحسان إلهي ظهير، الناشر إدارة ترجمان السنة، باكستان.

١٢٠ـ الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع ونشر إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان، ط٢، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

١٢١ـ رسائل الإصلاح، للشيخ محمد الخضر حسين، دار الإصلاح، السعودية، الدمام.

١٢٢ـ رسائل العدل والتوحيد «الرد على المُجْبرة»، تحقيق د. محمد عمارة، دار الهلال، ١٩٧١م.

١٢٣ـ رسائل في العقيدة، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٢٤ـ رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي، جمع وتحقيق د.موسى ابن سليمان الدويش، ط١، ١٤١٠هـ.

١٢٥ـ رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، للإمام أبي النصر عبدالله بن سعيد بن حاتم الوائلي السجزي، تحقيق ودراسة د.محمد باكريم، ط٢، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، الجامعة الإسلامية عمادة البحث العلمي.

١٢٦ـ الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، للإمام محمد ابن إبراهيم الوزير اليماني، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٣هـ.

١٢٧ـ الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية لأبي عذبة، حققه د. عبدالرحمن عميرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٢٨ـ الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، للشيخ زيد بن فياض، ط٢، ١٣٨٨هـ، الناشر مكتبة الرياض الحديثة.

١٢٩ـ الرياض الناضرة، والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، تأليف الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، مؤسسة قرطبة، صححه واعتنى به وعلق عليه: أشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم.

«ز»

١٣٠ـ زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٣١ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١٥، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

«س»

١٣٢ـ السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، لمحمد بن عبدالله بن حميد النجدي ثم المكي، حققه وقدَّم له الشيخ د. بكر أبو زيد، ود. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٦هـ ـ١٩٩٦م.

١٣٣ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي.

١٣٤ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشيخ محمد ناصر الدين الإلباني، ط٥، ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي.

١٣٥ـ سنن ابن ماجة، دار الدعوة، دار سحنون، ترقيم محمد عبدالباقي، ط٢.

١٣٦ـ سنن أبي داود، دار الدعوة، دار سحنون، ط٢.

١٣٧ـ السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم زيدان، ط١، ١٤١٣هـ، مؤسسة الرسالة.

١٣٨ـ سنن الترمذي، دار الدعوة، دار سحنون، ط٢.

١٣٩ـ السنة لابن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

١٤٠ـ السنة للإمام عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق ودراسة د. محمد ابن سعيد القحطاني، رمادي للنشر، والمؤتمن للتوزيع، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١٤١ـ سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٦م، تحقيق شعيب الأرناؤوط.

١٤٢ـ سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه مالك بن أنس وأصحابه، تأليف أبي محمد عبدالله بن عبدالحكم، نسخها وصححها وعلق عليها أحمد عبيد، ط٦، ١٤٠٤هـ، عالم الكتب.

«ش»

١٤٣ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبدالحي بن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.

١٤٤ـ شرح الأصول الخمسة، لعبدالجبار الهمذاني، تعليق أحمد ابن الحسين

بن أبي هاشم، تحقيق د.عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة، ١٣٨٤هـ ـ١٩٦٥م.

١٤٥ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، تحقيق: د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض.

١٤٦ـ شرح جواب ابن تيمية في قصيدته التائية في القدر، للطوفي، مخطوط.

١٤٧ـ شرح جوهرة التوحيد، للشيخ إبراهيم الباجوري، نسَّقه وخرج أحاديثه محمد أديب الكيلاني، وعبدالكريم تتان، راجعه وقدم له عبدالكريم الرفاعي، ط، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

١٤٨ـ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، المكتبة الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

١٤٩ـ شرح السنة للإمام أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، تحقيق: د. محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٥٠ـ شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية، حققه سعيد ابن نصر بن محمد، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٥١ـ شرح العقيدة الطحاوية، حققها وراجعها: جماعة من العلماء، خرج أحاديثها: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٨، ١٤٠٤هـ.

١٥٢ـ شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف الشيخ محمد خليل الهراس، ضبط نصه وخرج أحاديثه: الشيخ علوي السقاف، ط١، ١٤١١هـ، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، الثقبة.

١٥٣ـ شرح القصائد المشهورات، لابن النحاس، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٥٤ـ شرح القصيدة النونية، لابن القيم، لمحمد خليل هراس، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

١٥٥ـ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبدالله بن محمد الغنيمان، مكتبة لينة، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٥٦ـ شرح المعلقات العشر، للزوزني، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.

١٥٧ـ شرح المواقف للزنجاني ـ الموقف الخامس ـ تحقيق د.أحمد المهدي، مكتبة الأزهر، ١٣٩٦هـ.

١٥٨ـ الشريعة، للآجري، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

١٥٩ـ الشعر الصوفي إلى مطلع القرن التاسع للهجرة، د. محمد بن سعد ابن حسين، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٦٠ـ شعر لبيد بن ربيعة بين جاهليته وإسلامه، د. زكريا عبدالرحمن صيام، مطابع دار الشعب بالقاهرة، ١٣٩٦هـ.

١٦١ـ الشعر والشعراء، لابن قتيبة، حققه وضبط نصه د.مفيد قميحه، وراجعه الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٦٢ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم

الجوزية، تحرير الحساني حسن عبدالله، مكتبة دار التراث، القاهرة.

١٦٣ـ الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، تحقيق وتعليق نجم عبدالرحمن خلف، دار الفرقان، دار الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

١٦٤ـ الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، د.عبدالرزاق العباد، ط١، ١٤١١هـ، مكتبة الرشد.

١٦٥ـ الشيعة الإمامية الاثني عشرية في ميزان الإسلام، تأليف: ربيع بن محمد السعودي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٦٦ـ الشيعة والسنة، لإحسان إلهي ظهير، الناشر إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط٥، ١٣٩٧هـ.

١٦٧ـ الشيوعية، محمد بن إبراهيم الحمد، ط١، دار ابن خزيمة الرياض، ١٤٢٣هـ ـ٢٠٠٢م.

«ص»

١٦٨ـ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لابن فارس، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ١٩٩٧م.

١٦٩ـ صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، بقلم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١٧٠ـ صحيح البخاري، للإمام البخاري، بيت الأفكار الدولية، عناية أبي

صهيب الكرمي، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٧١ـ صحيح البخاري، للإمام البخاري، دار سحنون، دار الدعوة، ط٢.

١٧٢ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أشرف عليه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٧٣ـ صحيح سنن الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٧٤ـ صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، دار الفكر.

١٧٥ـ صحيح مسلم، عناية أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٧٦ـ صحيح مسلم، للإمام مسلم، من منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، وطبعة دار الدعوة ودار سحنون، بترقيم عبدالباقي.

١٧٧ـ الصوفية في نظر الإسلام، دراسة وتحليل سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

١٧٨ـ صون المكرمات برعاية البنات، للشيخ جاسم الفهيد الدوسري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

١٧٩ـ صيد الخاطر، لابن الجوزي، مكتبة العلم بجدة، مكتبة ابن تيمية.

١٨٠ـ صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، للشيخ محمد بشير السهسواني الهندي، الناشر مكتبة ابن تيمية، ط٤، ١٤١٠هـ.

« ط »

١٨١ـ طبقات الحنابلة، للقاضي أبي يعلى، ط دار المعرفة.

١٨٢ـ طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، تحقيق محمود الطناحي، عبدالفتاح الحلو، ط١، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

١٨٣ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، ضبط نصه وخرج أحاديثه عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٩هـ.

« ع »

١٨٤ـ عالم الجن والشياطين، د. عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط١٥، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٨٥ـ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٨٦ـ عقائد الإمامية، لمحمد رضا المظفر، طبعة دار الغدير، بيروت لبنان، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

١٨٧ـ العقد الثمين في معرفة رب العالمين، للأمير الحسن بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى، تحقيق يحيى الفضيل، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٣٩٢هـ.

١٨٨ـ العقل والنقل عند ابن رشد، د.محمد أمان الجامي، ط٣، ١٤٠٤هـ، الجامعة الإسلامية.

١٨٩ـ عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان إسماعيل ابن عبدالرحمن الصابوني، دراسة وتحقيق د.ناصر بن عبدالرحمن الجديع، ط١،

دار العاصمة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٩٠- العقيدة الواسطية، شرح الشيخ د. صالح الفوزان، ط٥، ١٤١١هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٩١- العقيدة الواسطية، علق حواشيها وأشرف على تصحيحها الشيخ محمد ابن مانع، طبع بمطابع الإشعاع بالرياض.

١٩٢- علماء نجد خلال ثمانية قرون، تأليف الشيخ عبدالله البسام، دار العاصمة الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.

١٩٣- العلمانية، للشيخ د. سفر الحوالي، الدار السلفية، ١٤٠٨هـ.

١٩٤- عنوان المجد في تاريخ نجد، للعلامة عثمان بن بشر، مكتبة الرياض الحديثة.

١٩٥- عودة الحجاب، د. محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، دار طيبة، ط٥.

«غ»

١٩٦- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، للشيخ محمد السفاريني، مؤسسة قرطبة، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٩٧- غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، دار الكتاب العربي، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، ط١، طبعة مصورة عن السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد، الدكن، الهند.

«ف»

١٩٨- الفتاوى التي لخصها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب من فتاوى ابن

تيمية للشيخ محمد بن عبدالوهاب، تحقيق وتعليق السيد ابن عبدالمقصود الأثري، ط١، ١٤٠٨هـ، دار عالم الكتب.

١٩٩- فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع وترتيب الشيخ محمد ابن قاسم، ط١، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ١٣٩٩هـ.

٢٠٠- الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق وتقديم محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٠١- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبدالرزاق الدويش، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٢هـ.

٢٠٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢٠٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، للإمام محمد بن علي الشوكاني، عالم الكتب، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، تحقيق عبدالرزاق المهدي، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٠٤- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، تعليق الشيخ ابن باز، مؤسسة قرطبة.

٢٠٥- الفرق بين الفرق، لعبدالقاهر البغدادي، مطبعة المدني، حقق أصوله وضبط مشكله وعلق عليه محمد محي الدين عبدالحميد.

٢٠٦- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية، تحقيق زهير

الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٨هـ.

٢٠٧ـ الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري، حققه وعلق على حواشيه ووضع فهارسه جمال عبدالغني مدغمش، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٠٨ـ الفلسفة القرآنية، لعباس محمود العقاد، ط. دار الكتاب اللبناني.

٢٠٩ـ الفوائد، لابن القيم، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٢١٠ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، ط٢، ١٣٩١هـ.

٢١١ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط١١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

«ق»

٢١٢ـ القصيدة التائية في القدر، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح وتحقيق محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢١٣ـ القاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان، دراسة وتحقيقاً، حققه سعود بن عبدالعزيز الخلف، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

٢١٤ـ القاموس المحيط، للفيروزأبادي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٢١٥ـ القضاء والقدر، لابن تيمية، ضبط وتنسيق وتعليق د.أحمد ابن عبدالرحيم السايح ود.السيد الجميلي، دار الكتاب العربي بيروت، ط٣، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٢١٦- القدر لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي، تحقيق عمرو عبدالمنعم سليم، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢١٧- القضاء والقدر، أبو الوفاء محمد درويش، المكتبة الإسلامية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢١٨- القضاء والقدر، أسعد محمد سعيد الصاغرجي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤١٢هـ.

٢١٩- القضاء والقدر، د. عمر الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٠هـ.

٢٢٠- القضاء والقدر، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة أسام، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٢٢١- القضاء والقدر، للشيخ محمد متولي الشعراوي، دار الندوة، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٢٢٢- القضاء والقدر حق وعدل، هشام عبدالرزاق الحمصي، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٢٣- القضاء والقدر في الإسلام، د. فاروق أحمد الدسوقي، المكتب الإسلامي، بيروت، مكتبة الخاني، ط٢، ١٤٠٦هـ، الرياض.

٢٢٤- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، ومذاهب الناس فيه، للشيخ د.عبدالرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٢٥- القول السديد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبدالرحمن ابن سعدي، دار

الوطن، ط١، ١٤١٢هـ.

«ك»

٢٢٦ـ كتاب الدعاء، للحافظ الطبراني، تحقيق محمد سعيد البخاري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢٢٧ـ كتاب الصفدية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٢٢٨ـ كشف الأستار عن زوائد البزار، تأليف الحافظ نور الدين الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٢٢٩ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى عبدالله القسطنطي المعروف بحاجي خليفة، دار الفكر، ١٤٠٢هـ.

٢٣٠ـ الكلمات المخالفة وآفات اللسان، سيد عاصم علي، دار الفنون، جدة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٣١ـ كواشف زيوف، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

«ل»

٢٣٢ـ لسان العرب، لابن منظور الأفريقي، دار الفكر.

٢٣٣ـ لماذا انتحر هؤلاء، إعداد وتوثيق هاني الخيِّر، دار دمشق، ط١، ١٩٩٢م.

٢٣٤ـ لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن قدامة، شرح الشيخ محمد ابن عثيمين، ط٢، ١٤١٢هـ، مكتبة الإمام البخاري، الدار السلفية، حققه

وخرَّج أحاديثه : أشرف بن عبدالمقصود ابن عبدالرحيم.

٢٣٥ـ لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، لابن قدامة ، خرَّج أحاديثها وعلَّق عليها بدر بن عبدالله البدر ، الدار السلفية ، ط١ ، ١٤٠٦هـ.

٢٣٦ـ لوامع الأنوار البهية ، وسواطع الأسرار الأثرية ، شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية ، تأليف العلامة محمد بن أحمد السفاريني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، مكتبة أسامة ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ.

« م »

٢٣٧ـ مجلة البحوث الإسلامية ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، عدد ٣٤ لعام ١٤١٣هـ.

٢٣٨ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ، دار الكتاب العربي ، بيروت.

٢٣٩ـ مجموعة دروس وفتاوى الحرم المكي ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، من عام ١٤٠٧هـ إلى عام ١٤١٠هـ ، دار اليقين للنشر والتوزيع ، المنصورة ، توزيع دار طيبة الرياض.

٢٤٠ـ المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن سعدي ، مركز صالح ابن صالح الثقافي ، عنيزة ، ١٤١١هـ.

٢٤١ـ المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد ، ط : دار الكتاب اللبناني.

٢٤٢ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبدالرحمن ابن قاسم وابنه محمد.

٢٤٣ـ مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب الشيخ فهد السليمان، دار الوطن، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٤٤ـ محاضرات في النصرانية، للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ط٣.

٢٤٥ـ المختار في أصول السنة، تأليف أبي الحسن أحمد البنا الحنبلي، تحقيق د. عبدالرزاق العباد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ط١، ١٤١٣هـ.

٢٤٦ـ مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، للشيخ عبدالعزيز السلمان، ط١٠، ١٤٠٣هـ.

٢٤٧ـ مختصر التحفة الاثني عشرية، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤هـ.

٢٤٨ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، تحقيق وتعليق المعتصم بالله البغدادي، توزيع دار النفائس، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

٢٤٩ـ المدرسة الفلسفية في الإسلام بين المشائية والإشراقية، أ.د.محمد إبراهيم الفيومي، ضمن أبحاث ندوة «نحو فلسفة إسلامية معاصرة».

٢٥٠ـ المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، د.محمد علي البار، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٥١ـ مذاهب الإسلاميين، لعبدالرحمن بدوي، ط ١٩٧١م، دار العلم للملايين.

٢٥٢ـ المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، د.عبدالرحمن عميرة، دار اللواء

الرياض، ط٥، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٥٣ـ المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، جمع وتحقيق ودراسة عبدالإله الأحمدي، دار طيبة، ط١، ١٩٩١م ـ ١٤١٢هـ.

٢٥٤ـ مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر القفاري، دار طيبة، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٥٥ـ مسألة القضاء والقدر، تأليف: عبدالحليم قنبس وخالد العك، دار الكتاب العربي، حلب، دمشق.

٢٥٦ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم، الناشر مكتبة النصر الحديثة، الرياض.

٢٥٧ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الدعوة، دار سحنون، ط٢.

٢٥٨ـ المسند للإمام أحمد بن حنبل، شرحه وصنع فهارسه الشيخ أحمد محمد شاكر، مكتبة دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، ط٢.

٢٥٩ـ مشكاة المصابيح، للتبريزي، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٢٦٠ـ معارج القبول لشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، للشيخ حافظ الحكمي، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٢٦١ـ المعتزلة بين القديم والحديث، محمد العبدة، طارق عبدالحليم، دار الأرقم، برمنجهام، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٦٢ـ المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها، د. عواد بن عبدالله

المعتق، دار العاصمة، الرياض، النشرة الأولى ١٤٠٩هـ.
٢٦٣ـ المعتمد في أصول الدين، لأبي يعلى الفراء، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ط١.
٢٦٤ـ معجم الأدباء، أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت الحموي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٢٦٥ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، دار الشروق.
٢٦٦ـ المعجم الفلسفي، د.جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
٢٦٧ـ معجم الطبراني الكبير، ط٢، ١٤٠٤هـ.
٢٦٨ـ معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، بتحقيق وضبط عبدالسلام هارون، طبعة دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ.
٢٦٩ـ معجم المناهي اللفظية، للشيخ د. بكر بن عبدالله أبو زيد، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤١٠هـ.
٢٧٠ـ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، للعراقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٧١ـ المغني في أبواب التوحيد والعدل، عبدالجبار الهمذاني، تحقيق مجموعة من المحققين، ط القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.
٢٧٢ـ مفتاح دار السعادة، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٧٣ـ المفضليات، للمفضل بن محمد الضبي، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦.

٢٧٤ـ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ضبط هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
٢٧٥ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، دار إحياء التراث، بيروت، عني بتصحيحه هلموت ريتر، ط٣.
٢٧٦ـ الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت لبنان.
٢٧٧ـ المنتقى من فرائد الفوائد للشيخ ابن عثيمين، دار الوطن، ١٤١١هـ، ط١.
٢٧٨ـ منهاج السنة النبوية لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٠٦هـ.
٢٧٩ـ منهج الإمام ابن أبي العز الحنفي وآراؤه في العقيدة من خلال شرح الطحاوية، لعبدالله بن عبيد بن عباد الحافي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٤هـ.
٢٨٠ـ منهج الأشاعرة في العقيدة، للشيخ د. سفر الحوالي، الدار السلفية، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ.
٢٨١ـ منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد محمود متولي، دار ماجد عسيري، جدة، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.
٢٨٢ـ منهج القرآن في القضاء والقدر، محمود غريب، مكتبة الثقافة الإسلامية، المكتبة السلفية، ط٥، ١٤٠٥هـ.
٢٨٣ـ المواهب الربانية من الآيات القرآنية للشيخ عبدالرحمن السعدي، اعتنى بها سمير الماضي، رمادي للنشر، المؤتمن للتوزيع، ط١، ١٤١٦هـ.

٢٨٤ـ الموجز في المذاهب والأديان المعاصرة، للشيخ: د. ناصر العقل، د. ناصر القفاري، دار الصميعي، ط١، ١٤١٣هـ.

٢٨٥ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة د.مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٠هـ.

٢٨٦ـ الموطأ للإمام مالك بن أنس، محمد عبدالباقي، دار الحديث.

٢٨٧ـ موقف الشيعة من أهل السنة، لمحمد مال الله، مكتبة ابن تيمية، ط٣، ١٤٠٩هـ.

«ن»

٢٨٨ـ النابغة الجعدي حياته وشعره، د.خليل إبراهيم أبو ذياب، دار القلم دمشق، المنارة بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٨٩ـ النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دراسة وتحقيق محمد عبدالرحمن عوض، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.، وط أضواء السلف، تحقيق د.عبدالعزيز الطويان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٩٠ـ نظرات في معتقد ابن عربي، د. كمال محمد عيسى، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٢٩١ـ نقض المنطق، لشيخ الإسلام ابن تيمية، حققه الشيخ محمد ابن عبدالرزاق حمزة والشيخ سليمان الصنيع، وصححه الشيخ محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.

٢٩٢ـ النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزواوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

«هـ»

٢٩٣ـ الهداية الإسلامية، للشيخ محمد الخضر حسين، جمعها وحققها علي الرضا التونسي، ط١، ١٣٩٤هـ.

٢٩٤ـ هذه هي الصوفية، تأليف الشيخ عبدالرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٩٨٤م.

٢٩٥ـ الهمة العالية، معوقاتها ومقوماتها، محمد بن إبراهيم الحمد، دار القاسم، ط٢، ١٤١٧هـ.

«و»

٢٩٦ـ الوابل الصيب من الكلم الطيب، للإمام ابن قيم الجوزية، دراسة وتحقيق: محمد عبدالرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٩٧ـ الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، مطبعة دار صادر، بيروت، ١٣٩٣هـ.

٢٩٨ـ الوجودية، محمد بن إبراهيم الحمد، دار القاسم، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٩٩ـ الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، دراسة وموازنة د.سليمان ابن صالح القرعاوي، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٠٠ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، حققه إحسان عباد، دار صادر بيروت.

«ي»

٣٠١ـ ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، لأبي عُمَر محمد ابن عبدالواحد البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب، حققه وقدم له د.محمد ابن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢.

٣٠٢ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور عبدالملك ابن إسماعيل الثعالبي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر بيروت، ط٢، ١٩٧٣مـ ١٣٩٢هـ.

٣٠٣ـ اليهودية، د.أحمد شلبي، ط٥، ١٩٧٨م، مكتبة النهضة المصرية.

فهرس الموضوعات